
3
الطبعة
تركي الدخيل
ketab.me
Best Books
13.7.2012
@ketab_n
Follow Me
قال لي
القصيبي
مدارك
تركي الدخيل
www.turkid.net

تركي الدخيل



قال لي القصيبي



قال لي القصيبي

تركي الدخيل



الكتاب: **قال لي القصيبي**

المؤلف: **تركي الدخيل**

التصنيف: **سير ذاتية - تنمية - حوارات**

الناشر: دار **مدارك للنشر**

الطبعة الأولى: مارس (آذار) 2012

الطبعة الثالثة: أبريل (نيسان) 2012

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9953-566-20-7

صورة الغلاف: **ممدوح الدخيل**









www.mdrek.com - read@mdrek.com

دبي:

مجمع إعمار للأعمال، شارع الشيخ زايد، دبي - الإمارات العربية المتحدة

P. O. Box: 333577 Dubai - UAE

Tel.: 00971 4 361 5177 - Fax: 00971 4 361 5178

بيروت:

فرن الشباك، الطريق العام، سنتر غاريوس، بيروت - لبنان

P. O. Box: 50074 Forn Elchebbak - Lebanon

Tel.: 00961 1 282075 - Fax: 00961 1 282074

الإهداء

إلى السيدة سيغريد القصيبي، زوجة غازي التي كانت خلف رجل عظيم ومميز. شكرا لك على ما ساهمت وصبرت من أجل أن يفعل لنا غازي كل ما فعل.

المحتويات

مُقدّمة

لم يغادر غازي القصيبي عالمَنا حتى كتب كل ما يريدُهُ عن نفسهِ وعن شعره، عن حياته الاجتماعية، وعن طفولته ومراهقته، وصبوات الشباب، ونضجِ الكهول وانكسارهم، وحكمة الشيوخ وغربتهم. وفي مؤلّفاته التي تربو على ستين كتاباً من ديوانٍ ودراسةٍ وحوارٍ ورواية أرّخَ القصيبي لسنوات الدراسة الأولى، ومنافسات زملائه في الثانوية، وكتبَ عن الجامعة وشجونها طالباً مبتعثاً ومدرّساً وعميداً. وكشف لنا عن سيرته الإدراية وحياته الوزارية ومهامه الدبلوماسية.

وفي بانوراما من العجائب أَخَذَنا معه على بساطِ علاء الدين في رحلة ممتعة ورومانسية ساخرةٍ وحزينة ليُشركَنا في حديث صريح عن بريقِ المناصب وذُرى المجد، وسحرِ الأضواء، ورفقة الملوكِ والأمراء، وخفايا الرؤساء وأمزجتهم، ودهاليزِ السياسة وأسرارِ الأبواب المغلقة. ومن كوَّته السحرية حلّق بنا معه في عوالم الجميلات والأميراتِ وبناتِ ملوك الجان، وأطلَّ كلمحةِ العابر على مَجالس الفقهاء، وفكرِ العلماء وخَتَمَ حياته المثيرة بمقاربةٍ مثيرة لكشف أسباب تحوّل الإنسان العادي إلى متطرّف، يجعلُ العُنفَ وسيلتَه والتطرف فلسفته.

اكتشاف غازي

لقد كشف لنا غازي في ما ألفه عن تحولاته الفكرية العميقة وعذاباته النفسية، وآلامه الصادقة وآماله الكبيرة وأحلامه الساحرة، وآرائه الجريئة، والجارحة أيضاً، في حاضر العرب، وعوامل هزائمهم، وأسباب تخلّفهم. وفي روايته «العصفورية» كان يناقش بعمق أسباب التأخّر العربي في شتى المجالات، منطلقاً من آلية كتابة مختلفة وحَذِرة، لكنها جريئةٌ في الوقت نفسه.

وأودعَ رواياته كل ما لم يُمكنه أن يكشفَه في غيرها من صنوف الكتابة. كما أودعَها نقدَه اللاذعَ للمثقفين والسياسيين والشعراء، وأعمل سياطَه في العادات الاجتماعية، التي فتكت بمجتمعه وأمّته، وباح بما يصعبُ عليه الكتابة عنه جهاراً، متخذاً من شخوص رواياته متنفساً، ومن مواقف أبطاله وعباراتهم وجنونهم وصراحتهم وغرائبيتهم ومواقفهم الساخرة والمضحكة وسيلة لإيصال ما يريده[1]، وإن كان قد أفلت مراراً من الأسئلة التي حاولتْ أن تنتزعَ منه إقراراً بأن أحداثَ بعض رواياته ليست إلا سيرة ذاتية عنه، وأن بعضَ قصائده التي يتناقلها أصدقاؤه منذ سنوات الجامعة كانت تعكس واقعاً لا خيالاً[2].

---

(1) يرى القصيبي أن من حقِّ الكاتب أن يحدّث قرّاءه عن عالمه الشخصي لسببين: أنه حريص أن يعامل الناس بقدر ما يعاملونه، وهو يحبُّ إذا قرأ لكاتب أعجبه أن يعرفَ بعضَ الأشياء عن حياته بالقدر الذي يراه مناسباً. السبب الثاني: أن الكتابةَ وسيلةٌ من وسائل الاتصال، والاتصال في حقيقته تعبيرٌ صريحٌ أو مبطن عن الحبّ. غازي القصيبي، في رأيي المتواضع: التنفس عبر جدار من الجليد، الطبعة الأولى (مكتبات تهامة: 1994)، ص20.

(2) وأقصدُ هنا شقة الحرية، وكثيراً مما جاء في روايته دنيسكو، وبعض ما رواه صديقُه الشاعر البحريني عبدالرحمن رفيع من قصائد غزل في صفوف الجامعة. انظر على سبيل المثال: «حكايتي: وثائقي عن حياة غازي القصيبي تضمن لقاءات أجرته معه ومع أصدقائه وأبنائه، نيكول تنوري. من إنتاج تلفزيون الإم بي سي 2005. أيضاً أحمد الصياد، «وداعاً أيها الفارس». جريدة الحياة. وسؤاله للقصيبي =

خلال أربعة عقود اصطحَبَنا القصيبي معه في رحلةٍ عن تحدّيات التنمية، وقصص النجاح ونشوته، وأعداء الإنجاز، وأصحاب المصالح، وعذاباته من رؤية المعاقين والبؤساء والمعدمين، وبكائه من معاناة العاطلين. وقد ذكر القصيبي -كما سيأتي في حوار «إضاءات» معه- أنه عانى في تولّيه وزارة العمل، أقسى ما يمكن أن يُواجهه من معارضة وعداء. «أنا أعرفُ باعتباري تلميذاً من تلاميذ علم السياسة أن الناسَ، كل الناس، يدافعون عن مصالحهم بضراوةٍ وشراسة، لا أخصُّ رجالَ الأعمال، أو فئة بعينها، ولكني أتحدّثُ عن كل من تضرَّرَت مصالحُه، بمن فيهم المواطن العادي، الذي كان يعتاشُ من بيع أربع أو خمس تأشيرات في السنة.

كل أصحاب المصالح التي تضرَّرَت شنّوا على الوزارة وعلى شخصي الضعيف، وعلى زملائي، حرباً شعواءَ أبعد ما تكون عنِ الخفاء. وبمواجهة ذلك كلّه لا أقول إلا «قل لن يصيبَنا إلا ما كتبَ الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون». على المسؤول الذي يخشى تبعةَ قراراتِه أن يختفيَ في أقربِ كهفٍ!»[1]، فهو يرى أن «الذي لا يريدُ

= عن روايته دنيسكو. 16 آب/أغسطس 2010. ويروي زياد الدريس، سفير السعودية في اليونيسكو، هذا الحديث الهاتفي مع القصيبي:» بمناسبة وصفك لي بـ«الخبير»، لا بدَّ من أن أجلس معك جلسة خاصة قبل أن تغادر إلى باريس، وأعطيك «خبرتي» في اليونيسكو ودهاليزها، من خلال تجربة الانتخابات السابقة. ز: الخبرة الفانتازية حصلت عليها من رواية «دنيسكو» بقي لي أن أعرف منك الخبرة الواقعية. ق: (دنيسكو) شبه واقعية. ز: أردتُ أن أغيِّرَ مجرى الحديث بعيداً عن جدليات (دنيسكو) النقدية، فقلت: المهم أن تكون «سونيا» بطلة الرواية، شخصيةً واقعيةً، أريدك أن تدلني في أي دهاليز اليونيسكو هي؟! أجابني فوراً: السيدة سونيا هي الفانتازيا الوحيدة في الرواية. للأسف يا زياد لن تجدَ سونيا في اليونيسكو! قلت له في ختام المكالمة: هذه صدمة... فأنا من أهم ما دفعني لقبول العمل في اليونيسكو هو البحث عن سونيا، والانتقام لك منها». جريدة «إيلاف الإلكترونية» الأحد 14 آب/أغسطس 2011.

(1) لقاء أجراه معه موقع «سبق» الإخباري على الإنترنت، أيلول/سبتمبر 2009، وقد أعاد الموقع نشر الحوار في 17 شباط/فبراير 2011.

أعداءً، أفضل له أن يجلسَ في بيته، أو يبقى في وزارته يبصمُ على الأوراق. فالذي يريد الإصلاح لا بدَّ له من أن يُعِدَّ نفسَه لعداء كبير وهجوم، ويَحسُنُ به حتى لا يفقد عقله، ولا اتزانه ألا يرى أن الأمر شخصيٌّ»[1].

حلّق بنا غازي في عالم الحب وأعاجيبه، وأشركَنا معه في التعبير عن لحظات الفقد ورحيل الأحباب، ومناغاة الأطفال وعالمِهم السحري واستبدادهم وقسوتهم[2]. فما عسى أن يكون اليوم مبعثراً بين أوراقه، أو منتظراً من مخطوطات قد يكون خلفها[3]؟

وقد سُئل في آخر حياته عن حقيقة كونه كان قد شرع بكتابةِ تفسير للقرآن الكريم، فنفى ذلك. وإن كان ابنُه سهيل قد أكَّد أنَ أباه «فكّر مرةً في كتابة تفسير للقرآن الكريم، ولكنه غيّرَ رأيه في ما بعد»[4]، وفي رأيي أن كتابيه «من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون»[5]، ومقالاته القصيرة التي جمعها ثم طبعها بعنوان «ثورة في

(1) برنامج حكايتي، مع نيكول تنوري، 5002.

(2) كما نراه في حديثه عن طفولته مع جدّته سعاد في مقالته الحزينة التي تحوّلت كتاباً «المواسم»، وكما نراه في حديثه الممتع عن حفيده فهد في كتابه «الأسطورة». وكما سرد قصصاً مثيرة وممتعةً في قصة سياحته مع عائلته في كاليفورنيا في كتابه «العودة سائحاً إلى كاليفورنيا». وفي عشرات القصائد التي حظيت ابنته يارا بنصيبِ الأسد منها منذ ولادتها وحتى زواجها، وعن حفيديه غازي وفهد، في ديوانيه «عقد من الحجارة»، و«قراءة في وجه لندن» وغيرهما.

(3) في تعليقٍ لرئيس تحرير جريدة الوطن السعودية السابق، جاسر الجاسر، ذكر «أن ما سيصدر من مؤلفات للقصيبي بعد وفاته ستحدثُ ضجيجاً كبيراً، «لأنه لا يمكن أن يكون رجل ظل حتى وهو ميت، ومخطوطاته التي ستطبَع لاحقاً ستتضمن تفاصيلَ كثيرة لم تكن تسمح الظروف الحياتية بنشرها». أدباء عرب: القصيبي شخصية وطنية مخلصة ونموذج للصدق، «العربية نت»، 15 آب/أغسطس 2010.

(4) سُهيل القصيبي: والدي كان متديّناً ولم يؤمن بـ«العلمانية». وفكّرَ في كتابة تفسير للقرآن. لقاء مع جريدة الحياة، الثلاثاء 2 تشرين الثاني/نوفمبر 2010.

(5) دراسة كتبها على طريقة الفقهاء. من منشورات دار الساقي، صدرت في عام 1994. وفي هذه الدراسة تجلّت الروحُ الفقهيةُ عند القصيبي وثقته وشجاعته في مناقشة الفقهاء حول إقرار الشاعر باقتراف ما=

السنة النبوية»[1]، يعكسان ميلاً للقصيبي في السنوات الخمس عشرة الأخيرة نحو الدراسات الشرعية وخوض مجالها، وقد سبقهما قبل ذلك في كتابِهِ المثير للجدل «حتى لا تكون فتنة»[2].

ربما يكون غازي القصيبي هو الأكثرُ حظاً من بين نُظرائه من السعوديين والخليجيين في تعريف القرّاء به، وكشف عوالمه، والغوصِ في مكنونات روحه. وقد كتب في مُقدّمة كتابه «سيرة شعرية»، «أن مهمةَ الباحث تسهُل إلى حدٍّ كبير إذا وجد أمامه مادةً شخصيةً مكتوبةً بقلم الإنسان الذي يدور حوله البحث. وفي هذا ما يُغني الباحث عن الحدس والتخمين، وما يجنّبه مؤونة الغوص في المصادر الثانوية بحثاً

=يوجب الحد في شعره، حيث انتهى إلى «إن الشعر لا يصلح إقراراً، لا لأن الشاعر صادقٌ أو كاذبٌ، بل لأن طبيعةَ الشعر وأسلوبه وخياله وصوره تجعل روحه ولغته بعيدة كل البعد عن روح الإقرار الشرعي ولغته. ص 29. انظر أيضاً خاتمة دراسته، ص 84.

(1) من مطبوعات در الساقي، صدرت في عام 2003.

(2) كان منشوراً يتناقله الناس حينما صدر في عام 1991، ثم طبع بعد ذلك في دار الساقي عام 1997. وهو أربع رسائل كان قد أصدرها عام 1990، تناقشُ وضعَ الصحوة الإسلامية في السعودية. وتتناولُ بالنقد أربعة من وعّاظ الصحوة الدينية في السعودية. يشيرُ الكاتبُ والروائي السعودي تركي الحمد إلى أن الكتاب كان مواجهةً فكريةً، وكان القصيبي على قدرها: «ومن الأمور التي نتذكّرُها جيدًا للراحل القصيبي كتابه «حتى لا تكون فتنة»، الذي أصدره أيام حرب الخليج، وكان أنموذجًا لمحاربة التعصب ونبذه، وإشاعة التسامح، وكان يبيّن لنا هذا التسامح من صور الدين الإسلامي نفسه، وكانت تلك الفترة مواجهة فكرية على الساحة كان القصيبي على قدرها». كما يشيرُ الأديب السعودي عاصم حمدان إلى أهمية صدور كتاب «حتى لاتكون فتنة» لأنه يعتبر «الوزير القصيبي الأكثر قدرة على طرح رؤاه بأسلوب عالٍ ورصين وحتى عندما دخل في حوار مع بعض التيارات الأخرى الفكرية في بلادنا كان نموذجًا للمفكر والمثقف الذي ينتهج أسلوب الحوار الهادئ والمثمر بعيدًا عن الغمز واللمز، وقد استشرف ما يمكن أن يؤدّي إليه التشدد والغلو في الدين، فكتب كتابه «حتى لا تكون فتنة» في التسعينيات الميلادية». جريدة المدينة 16 آب/أغسطس 2010. وقد قام بتسجيل تلك الرسائل قبل طباعتها أيضاً على الكاسيت، لأنه كان يؤمن بأنه «لا يفل الكاسيت إلا الكاسيت» رغم أن المحلات رفضت بيعه». غازي القصيبي، لقاء مع موقع «سبق» الإخباري. أيلول/سبتمبر 2009.

عن معلومات قد لا يتضمّنُها مصدرٌ من هذه المصادر»[1]. ومما لا شكّ فيه أن الإبحار في ما ورَّثه لنا القصيبي من أدب وفكر سيُغني أي باحث عن أي مصادر أخرى. وفوق ذلك فإن ما أحاطَ به طَوال ما يربو على ثلاثة عقود، من نجومية وأضواء، كان عاملاً كبيراً في اهتمام القرّاء به، وشغفهم بما يكتبُهُ، وما ينتجُهُ من أدب. وقد استثمر كل ما منحه الله من مواهب وفرص وملكات وحضور وإبهار، لينسجَ قصته ويصنعَ «اسطورته». وقد كان راضياً بما وصل إليه، مطمئناً لمسار حياته، حيث سُئِلَ مرةً ماذا كان يتمنّى أن يكونَ لو أنه ولد من جديد؟ فأجاب بأنه كان سيختار أن يبدأ الكرَّة من جديد، كما هو، وأن يولد بالاسم نفسه في ظلّ الظروف نفسها، «فحياتي بفضلِ الله ممتلئةٌ وسعيدة ومثيَرة»[2].

كما أن في اعتماد المصادر الأصلية التي كُتبت بيد الشخصية موضوع البحث، ما يساعد على كشف التناقضات والمفارقات والتحوّلات والارتدادات، ويساعد في استشكاف حالاته النفسية والفكرية، وخصوصاً إذا كان نتاجه ممتداً عبر أربعين عاماً، عاصفة بكل التحوّلات والمنعطفات والانكسارات والضمور ثم الانبعاث. لقد كان غازي ذكياً، ومن ذكائه وصدقه مع نفسه ومع الآخرين، أنه كان حذراً من أن يناقضَ نفسَه، لكنه هو في النهاية إنسانٌ، بكل نقائصه وعيوبه ونجاحاته وخسائره، وعرضةٌ لوهن الذاكرة، وتفلّتِ المعلومات، وتزحزح المواقف.

في لقاء عاصف مع جريدة «الشرق الأوسط» في تشرين الأول/ أكتوبر 1990 قال القصيبي: «لقد بلغتُ كل ما يمكنُ لإنسانٍ مثلي أن يبلغه من مجدٍ في هذه الحياة، ولم يعد هناك ما أتطلّعُ إليه، سوى

---

(1) غازي القصيبي، سيرة شعرية، الطبعة الثالثة (تهامة للنشر والمكتبات:2003)، ص 7.

(2) المصدر السابق، ص145.

الباقيات الصالحات. ماذا يمكن لإنسانٍ كان شاعراً معروفاً قبل سنٍ التاسعة عشرة، وأصبح عميدَ كليّة في حدودٍ الثلاثين، وأصبح وزيراً في الخامسة والثلاثين - أن ينتظرً الآن؟ أملي الوحيد هو أن أقضيَ ما تبقّى من حياتي في القراءة والكتابة... ولم أفقد الطموح، بل وصلتُ أقصى ما يمكنُ أن يصلَ إليه الطموحُ، عندما يصل المرءُ إلى القمة، لا توجد هناك أي تحديات يتطلّعُ إليها». ولما سُئل هل وصل إلى القمة. أجاب: «نعم. وأعتقد أن عشر سنوات في الوزارة، هي فترةٌ أكثر من كافية، بالنسبة للإنسان الطبيعي»[1].

الشهرة والأنا

كان للأضواء والشهرة التي أحاطت به ثمنُها وأعداؤها، فقد واجه غازي ذلك منذ فترة مبكرةٍ من سبعينيات القرن الماضي، قبل أن يتولّى عمادة كلية التجارية فيٍ جامعة الملك سعود، في تلك الحقبة من بداية المشوار العملي الحقيقي، كان لا بدَّ من أن يكون لبزوغ هذا الاسم ثمن، وحديث حول «عاشق الأضواء»، و«عاشق الظهور»، وهو يُعلِّق على ذلك: «تعلّمتُ في تلك الأيام ولم أنس قط، أنه إذا كان ثمنُ الفشلِ باهظاً، فللنجاح بدوره ثمنُهُ المرتفعُ... أعزو السببَ لظهور هذه الأقاويل إلى نزعة فطرية في نفوس البشر، تنفر من الإنسان المختلف، الإنسان الذي لا يتصرّف كما يتصرفون»2.

---

(1) استجواب غازي القصيبي. ستة لقاءات صحفية أُجريت معه في عدد من الصحف والمجلات العربية، ما بين كانون الثاني/يناير 1990 وأيلول/سبتمبر 1991، (الرياض: دار المداد للنشر والتوزيع، 1996)، ص 134 - 135. واللقاء كان مع جريدة الشرق الأوسط، أجرته معه هدى الحسيني، العدد 4336 في 12 تشرين أوّل/أكتوبر 1990، خلال أزمة الخليج الثانية. كان وقتها سفيراً في البحرين قبل انتقاله إلى لندن، وبعد هذا اللقاء بأحد عشر عاماً 2002، تولى القصيبي منصب وزير المياه، ثم وزير العمل حتى وفاته في آب/أغسطس 2010.

(2) رباح القويعي، «غازي القصيبي: بداياته ورحلة عمره»، جريدة شمس السعودية، 16 آب/أغسطس 2010.

إن كل ما خلّفه غازي من روايات وقصائد ومقالات كان يحمل في باطنه أو «لاوعيه» -كما كان يحبُّ أن يعبّر- قصةً واحدةً، وفكرةً منتظمة: هي غازي القصيبي، في كل وجوهه المتنوعة ومراحله المتعددة، وشخصياته الثرية. كان للقصيبي قبل أكثر من عقدين رأيٌ حول الشكل الأمثل لكتابة سيرته الذاتية، فكان يرى أن الرواية هي الأنسبُ، حيث يتاحُ للكاتب حرية كبيرة، وهو يشكّل شخوصَها ويصنعُ عوالمها، حيث تمتزج الواقعية بالخيال، مشيراً إلى أنه يفضّلُ أن تكون لكل مرحلة روايتُها: الأستاذ، الموظف... إلخ. يقول: «هذا مشروع في الأعماقِ لا يزال يعتمل ولم يختمر»[1]. «إن القصيبي يعي تماماً أن الذكريات الصادقة فنٌّ توثيقيٌّ فاضحٌ، فغضَّ الطرفَ عن النشر الفاضح، وتلفَّف بعباءة الشعر الفياضة، التي تجعل الشاعر يقول كل شيء من دون أن يقول شيئاً!»[2]. وقد تحدّث غازي عن «أناه» بوجوهها الاثني عشر بسخريةٍ وخفّةِ ظلٍّ في إجابته لسؤال عن: «ما أنت؟ وما هوية ركضك؟ وما لون نبضك؟ وهواك؟»[3].

الإنسان

في شهر رمضان 1432هـ - 15 آب/أغسطس 2011، كانت الذكرى الأولى لرحيل غازي القصيبي. حيث جابت مجموعةٌ من اليافعين طرقَ العاصمة الرياض لتوزيع كتبه على المارّة والسائقين،

(1) استجواب غازي القصيبي مصدر سابق، ص25. مقابلة أجراها محمد جابر الأنصاري – مجلة العربي، العدد 382 أيلول/سبتمبر 1991.

(2) عبدالله حامد، «الشعر والزوجة الحضور والغياب»، جريدة المدينة (ملحق الأربعاء)، 27 تشرين الأوّل/أكتوبر 2010.

(3) سيرة شعرية، مصدر سابق، ص143-144.

وقد كتبوا على قمصانهم التي ارتدوها «غازي في عقولنا»[1]. وبعد وفاته بشهور تبرّع ملكُ البحرين حمد بن عيسى آل خليفة بأرض لبناء معلم يخلّد ذكرى الراحل[2]، كما أصدر ملكُ البحرين قراراً بإطلاق اسمَ القصيبي على مدرسة ثانوية للبنات جديدة في مدينة حمد[3]. وبعد رحيل غازي احتفلت به المملكة العربية السعودية شخصيةَ العام الثقافية في الجنادرية 26 عام 2011، كما مُنح وسام الملك عبدالعزيز، عرفاناً بكل ما قدّمه لبلده طوال أربعين عاماً من العمل في الحياة العامة.

في البحرين عاش غازي أحلى سنوات اليفاع والمراهقة، ثم عاد إليها -ولم ينقطع عنها يوماً- وهو في الرابعة والأربعين، سفيراً لسبعة أعوام[4] كانت ثريةً ومتخمةً بتجديدِ صداقات الطفولة وشغب الأيام الأولى في المدرسة، التي استمرت ظلالُها وشخوصُها ترافقه في أيام سعده وأنسه، وفي «مواسمه»، كما هو تعبيره المحبّب والشفيف في أحلك الظروف، وأكثر المناسبات حزناً. فيها وجدَ غازي موسمه للقراءة النهمة والكتابة والتأليف. واستمرَّ عشقُه للبحرين كامناً في روحه وذاته حتى بنى فيها بيتَه الأخير في حي الجسرة الذي ادَّخر له «شقا عمره»[5]. وشيّد فيه مكتبته التي تحوي

---

(1) جريدة الرياض، 18 آب/أغسطس 2011.

(2) جريدة إيلاف الإلكترونية، 30 تشرين الأول/أكتوبر 2010.

(3) إيلاف 27 أيلول/سبتمبر 2010.

(4) تذكر الصحافية البحرينية، أمل المرزوق، أن القصيبي أبلغَها في لقائه معها بمنزله في منطقة الجسرة بالبحرين أن عينيه لم تدمعا قط إلا يوم غادر البحرين من بعد تعيينه سفيراً للرياض في لندن. جريدة الوطن السعودية 11 آب/أغسطس 2011.

(5) بارعة علم الدين، مصدر سابق.

عشرات الألوف من الكتب[1]، مكتبته التي طالما تغنّى بها لأنها «أعز ما يملك»[2].

هذا شيءٌ من إنسانية غازي، لكن قصة غازي أكبر من ذلك.

لحظة التحوّل فكراً وسياسة

كانت هزيمةُ حزيران/يونيو 1967 لحظةَ ولادة أخرى لغازي، فقد كان ذلك الحدث الضخم هو أكبر الأحداث التي أثّرت في حياته لاثنتين وأربعين سنة مقبلة، يقول «على المستوى الفكري، فقدتُ بعد حزيران كل ثقة بالشعارات السياسية، وأصبحَتْ لا تثيرُ في نفسي سوى الاشمئزاز والاحتقار. لقد تجسَّدَ العدوُّ في نظري فأصبح عدواً واحداً وإن تعدَّدَت أسماؤه ووجوهه وأشكاله. إن العدوَّ الأول ليس إسرائيل، فليست قوة إسرائيل سوى انعكاس لضعفنا الرهيب. ولا الاستعمار العالمي، فالمستعمرون لا يستعمرون إلا من يجدون لديه قابليةً لأن يُستعمر. وليست الزعامات العربية، فكل إناء بالذي فيه ينضحُ، وكما تكونون يولّى عليكم. منذ تلك اللحظة أصبح العدوُّ الأول - في نظري - هو التخلّف، كل خطوةٍ نخطوها للابتعاد عن التخلّف، بأنواعه المادية والفكرية والاجتماعية والسياسية هو خطوة للتخلص من الهزيمة والانطلاق إلى الانتصار. وأعتقدُ أنني لا أبالغُ إذا قلت إنني منذ ذلك الحين كنت أسأل نفسي، بوعي أو على مستوى اللاوعي، وأنا أجابه أيَّ حدث من الأحداث: هل يساعد هذا الحدث على التخلص من التخلّف، فأُصنّفه ضمن التطورات الإيجابية، أم يُكرّس التخلّف

(1) بارعة علم الدين، مصدر سابق.

(2) محمد رضا نصر الله.

ويؤصّله، فأعتبره تطوراً سلبياً. منذ ذلك الحين جعلتُ محاربةَ التخلّف هدفاً سخَّرتُ له إمكاناتي وطاقاتي المحدودة كلها، وسأمضي في هذا الطريق حتى آخر لحظة من لحظات حياتي بإذن الله»[1].

أشار غازي في أكثر من كتاب وحوار إلى تلك اللحظة الفاصلة في تفكيره، قارناً معها حدثاً خاصاً آخر، وضعَ بصمته وحفرَ في أعماقِ نفسه، وهو وفاةُ شقيقه نبيل عن أربعة وثلاثين عاماً، وعمر غازي حينها كان ثمانية وعشرين عاماً، وذلك في عام 1968، ويُذكرُ أن موتَ نبيل ترك زلزالاً نفسياً، وخلَّف في شعره، وفي نفسه بصمة ما زالت باقية حتى اليوم[2].

وقد لخّص رؤيتَه في الحلّ العملي لأزمة الأمة العربية بأنه يكمنُ في التعليم، والتسامُح، والتنمية في مناخ حرٍّ، فالتحدي عند القصيبي هو «أن تنحازَ في كل قراراتك إلى الحلِّ لا إلى الأزمة»، لكن هناك «عذاب العذابات»، الذي يواجه أمثاله من أصحاب المسؤوليات الكبيرة. يقول رحمه الله: «ذلك السؤال المرتبط هو «سؤال الأسئلة»: «هل أستطيعُ أن أقرِّرَ أني كنت جزءاً من الحل، ولم أكن جزءاً من الأزمة، ومن يضمن لي أني لم أكن -بقضي وقضيضي-

---

(1) غازي القصيبي، سيرة شعرية، الطبعة الثالثة (مكتبات تهامة: 2003)، ص 74. وكانت الطبعة الأولى منه قد صدرت في عام 1980 (دار تهامه). يعبّر القصيبي عن ذلك الأثر «... هذه الفاجعة التي تغلغلت إلى أعماق كل عربي. هذه الهزيمة كانت نقطة تحوّل في حياتي بالمعنى الحقيقي. لقد وضعتني حزيران الأسود وجهاً لوجه أمام التمزّق العربي والعجز العربي والذل العربي. لقد كتبت عدداً من القصائد بعد مأساة حزيران. ولكنني أعتقد أن أثر الهزيمة في نفسي كان أعمق وأوسع صدى من مجرد تفجير قصائد معدودة. لم يكن إحساسي بهزيمة حزيران تجربةً عقليةً أو فكريةً، ولكنه كان إحساساً شخصياً مباشراً. لقد شعرت- بالفعل - أن الهزيمة هزيمتي أنا لا هزيمة «أنظمة» أو «دول»»، ص 74.

(2) استجواب غازي القصيبي، مصدر سابق، ص75 -76. مقابلة أجراها معه وهيب غراب، مجلة الشرق الأوسط، العدد 209، 27 حزيران/يونيه 1990.

عرضاً من مرض: التخلّف، الجهل، التعصب، التسلّط. ثم يسألونني لماذا الكآبة؟!»[1]. عقب حرب حزيران/يونيو، كتب القصيبي مقالةً بعنوان «دروسٌ من الهزيمة»، أثار نشرها في الصحف في ذلك الوقت، عاصفةً من الاستحسان والاستهجان. رأى غازي في عام 2006 بعد مرور ربع قرن على المقالة أن شيئاً لم يتغيّر، وأنه «لا تزالُ الحاجة إلى الدروس كما كانت عليه -وربما أشد- خصوصاً بعد أزمة الخليج»[2]. وقد لخّص في تلك المقالاتِ رؤيته للخروج من الهزيمة في ثلاثة حلول: الخضوع التام، أو وضع الرأس في الرمال وإلقاء التُهَم على عوامل خارجية وتبرئة الذات، والثالث الاعتراف بشجاعةٍ بالهزيمة، ومواجهة ما حصل والسعي للخروج منه، وأن نرى الأمةَ بجهلها وضعفها، ثم الانطلاق لبناء جيلٍ جديد، بناء «الأمة الطفل». ويتحدّث في مقالتِه المهمّة عن أوهامٍ العَرب والمرض العربي وتصوير الهزائم انتصارات، والخذلان حصافة، واتخاذ ردّ الفعل المناسب تجاه الحقائق، فهو يرى أن العربي عقدة العقد، وأعجوبة الأعاجيب في ردود فعله، وأن الأخلاقَ العربية التقليدية من الشهامةِ والتسامحِ والكرم ليست صالحةً للعصرِ الحديث. وأن ردودَ الفعل العاطفية لا يمكنُ الاعتمادُ عليها، فالعالَمُ «قد يستظرفُ شعباً كريماً فارساً، ولكنه لا يحترمه»[3].

(1) استجواب غازي القصيبي، مصدر سابق، ص25. مقابلة أجراها محمد جابر الأنصاري – مجلة العربي،العدد 382 أيلول/سبتمبر 1991.

(2) غازي القصيبي، الغزو الثقافي ومقالات أخرى، الطبعة الثانية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006).

(3) المصدر نفسه.ا،صفحات 43- 48.

التعصّب للأفكار

مثّلت دراسةُ غازي القصيبي في لندن عام 1968 لحظةَ تحوّلٍ كبير في رؤيته وتفكيره، فقد كانت «اللحظة التي تخلّى فيها عن كل تطرّف وتعصّب لأي نظرية من النظريات - وتجاوزه سحر عالم السياسة الألماني «مورجنثاو» الذي كانت نظريتُه في أن عالمَ السياسة ليس إلا صراع قوى، وكانت هي موضوع أطروحة الماجستير - «فمنذ ذلك الوقت وأنا أدركُ أن النظريات التي تحاول اختزالَ مجموعة هائلة من الظواهر إلى «عامل» أوحد أعجز من أن تشكّل تفسيراً موضوعياً دقيقاً لهذه الظواهر. وأستطيعُ أن أقولَ من دون مبالغة إنني منذ ذلك الحين فقدت القدرةَ فكرياً على التعصّب والتطرّف لصالح أي نظرية من النظريات، بل أي فكرةٍ من الأفكار، منذ ذلك الحين وأنا أدركُ أنه لا يمكن أن نقسم الألوان إلى لونين اثنين، أسود وأبيض. وأن هناك آفاقاً لا تنتهي من الظلال والألوان»[1].

اكتشاف الإدارة

اكتشف القصيبي حقيقةَ الإدراة وسرّ الشخصية القوية والإشعاع الذي يحيط بها منذ صغره، يقول: «بداية لقائي في الإدارة في الطابور، حيث كان يتولّى التفتيش على نظافة الأظافر مدرّسٌ يختلفُ كل يوم، وكان من بين المدرسين مدرّسٌ يسألُ كل طالب إذا كان قد استحم ذلك الصباح. كانت نواياه حسنةً، وكانت هي المرةُ الأولى وليست الأخيرة التي ألتقي فيها بالنوايا الحسنة التي تقودُ إلى

(1) سيرة شعرية، ص 70.

أوخم العواقب، فقد كان الأستاذ يكتفي بقول الطفل إنه استحم حتى ولو كانت كل الشواهد تكذّب ذلك، أعتقد أنه كان يريد تشجيعنا على الصدق والاستحمام. ما يبقى عند الطالب حتى تخرجه من المرحلة الجامعية هو التمييز بين الشخصية القوية وغيرها. وهو سؤالٌ ما زال يحيّر البشرية ولا يزال، ولكن الشخصية القوية تشعُّ إشعاعاً لا يخطئه أحدٌ في الفصل وخارج الفصل، في المدرسة وفي كل مكان... ويكتشفُ الطفلُ في سنٍّ مبكرة معنى تغيّر البقعة. يتغير السلوك بتغير الموقع... الموقع الجديد يفرض على شاغله سلوكاً جديداً»[1].

إن الشجى يبعثُ الشجى

كنت قد كتبتُ قبل أكثر من عام من وفاة أمي مُزنة العطيشان تشرين الأول/أكتوبر 2008، أن الحياةَ بلا أمٍّ رخيصةٌ، مقيتةٌ، بسيطةٌ حدّ التفاهة، لا تصلنا بماضٍ، ولا تقدّمُنا إلى مستقبل، ولا تعلّمُنا التؤدة والاستعداد، والجاهزية لمواجهة الصعاب. لقد كنتُ محظوظاً طوال أربعة وثلاثين عاماً بقرب الحبيبة الراحلة، ملتصقاً بها ابناً وصديقاً ورفيقاً وكانت لي أباً ثانياً وريحانتي من الدنيا وحناناً من الله. وجاءَت ذكراها الثالثةُ قبل أيام مجدولةٍ بذكرى رحيل غازي الأولى. ألم يقل الشاعرُ العربي القديم «إن الشجى يبعث الشجى».

في يوم عيد الفطر الماضي[2] جاشت نفسي بلواعجَ متضاربةٍ وأنا أعملُ على إعداد مقدمة هذا الكتاب. إن أسطورةَ غازي القصيبي

---

(1) غازي القصيبي، حياة في الإدارة، الطبعة الرابعة عشرة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2010)، ص 13-14.

(2) 1432هـ- 30 آب/أغسطس 2011.

شاعراً في الحماسة والحبّ والوجدانيات والفراقيات، وروائياً، ومثقفاً، وأكاديمياً، وسفيراً، ووزيراً، هي قصةٌ تثيرُ العجبَ والإعجاب. لقد كان غازي وطنياً مخلصاً مثقفاً مشاكساً وإنساناً مرهفَ الحسِّ، خفيفَ الظلِّ، سريعَ البديهةِ، وفوق ذلك كان قلباً مُثقلاً بالحبّ واللوعة والأحزان، وفقدِ الأم ورحيل الجدة وانقراض الأحباب والأقربين. غازي القصيبي -لعمري- واحدةٌ من أكثر قصصِ النجاح إثارةً ودهشةً وإلهاماً، على الرغم مما كان يبوحُ به لأقرب الناس إليه من شعور باليأس أحياناً[1].

بعد وفاة عادل شقيق غازي الأكبر سأل سهيل والدَه غازي: «كنتُ أتوقّعُك أكثر حزناً وتأثراً مما بدوتَ عليه؟». فأجابه والدُه ببيت لابن الرومي:» أمرُّ البُكائين البكاء المولَّج»، ذلك البكاء الدفين الذي ينخرُ في الروح ويفتكُ بها: «وتشعرُ أثناء العزاء بآلام ممضَّة، ثم تتطورُ فتلجئُكَ إلى الفراش. ويجيء الطبيبُ، وأكياسُ الأدويَة، وقبلَ أن تشفى من العلة تتنابك علةٌ أخرى. وتنتقلُ بين أجهزة الفحص الحديثة والأطباء. وترجعُ محمَّلاً بالأدوية، ثم تباغتك علةٌ ثالثةٌ. وتشخيصٌ جديدٌ وأدويةٌ جديدة، وتعرفُ أنت مشكلتَك، تعرفُ أن المناعةَ الجسديةَ لا تستطيعُ مقاومةَ الأمراضِ بلا مناعة نفسية، وتدركُ أن جراثيمَ الكآبةِ بدأت تتسلّلُ إلى نفسك، وأن الجسدَ تلقَّى إشارةً من النفس أضعفت مناعته. عندما يحدث شيءٌ للمناعة يمكن أن يحدثَ للجسد أي شيء»[2].

---

(1) بارعة علم الدين، صديقة عائلة القصيبي، لقاء مع «تلفزيون المستقبل»، 28 آب/أغسطس2010. http://www.youtube.com/watch?v=kS8hjqygb3Q وهو لقاء جاء بعد نشرها مقالتها: «غازي القصيبي، اللقاء الأخير والصورة الأخيرة»، جريدة الحياة، 20 آب/أغسطس 2010.

(2) غازي القصيبي، المواسم، الطبعة الأولى (جدة: دامة للدراسات والنشر، 2006)، ص 42.

اتسم شعرُ غازي برومانسية بالغة وغيمة من الحزن، خلافاً لنثره الذي كان يُظهِرُه شخصاً مرحاً وخفيفَ الظلِّ سليطاً. ويشرحُ القصيبي ذلك بـ: «أن الشعر من اللاوعي، والنثر من الوعي. يغوص الشعرُ ويخرج بأشياء لا يفاجأ بها الآخرون فحسب، بل أكون أنا أحياناً أول من يفاجأ بها! ومنها ذلك الشعور بالكآبة، وهو شعورٌ لا أحسُّ به في عقلي الظاهر، ولا في تصرفاتي. إذا سلَّمنا أن هناك وعياً ولاوعياً كان لنا أن نقول: النثر يعكسُ الجانبَ الظاهر من شخصيتي «الوعي»، أما الشعر فيمثِّلُ المختفي «اللاوعي»[1]. ويحاولُ غازي أن يجدَ تفسيراً للحزنِ في شعره: «أعتقدُ أن الجوَّ المأساويَ الذي أحاط بولادتي وبنشأتي الأولى قد تركَ بصمات لا تنمحي في أعماقي من الكآبةِ الخفيفة. وإذا كنتُ قد نجحتُ في إخفائها حتى عن أقرب الناس إلي فإنها -في ما يبدو- قد نجحت في التسلّلِ إلى أشعاري».

الحب وسر السعادة

الحياةُ السعيدةُ المطمئنةُ عنوانُها عند القصيبي العطاءُ المستمرّ والكرم الذي ينبعُ من الروح والنفوس «... إذا نظرتَ إلى الحياة على أنها عمليةُ أخذ، فسوف تظلّ طوال عمرك محروماً، ومهما أخذت فلن تشبعَ من الأَخذ! أما إذا نظرتَ إلى الحياة على أنها عطاءٌ فالعطاءُ -في حدِّ ذاته- هو الذي يحقِّقُ لك السعادة. ومن هذا المنطلق، لا أعتقدُ أنه يهم جداً طبيعة العمل، أو طبيعة الصداقة، أو طبيعة الحب، إنما يهم طبيعتك أنت»[2].

---

(1) استجواب غازي القصيبي، ص29. وهي مقابلة أجراها محمد جابر الأنصاري، مجلة العربي، العدد 382 أيلول/سبتمبر 1991.

(2) استجواب غازي القصيبي، ص75 -76. مقابلة أجراها وهيب غراب، مجلة الشرق الأوسط، العدد 209، 27حزيران/يونيو 1990.

كان غازي في حياته العائلية سعيداً، وهو السرُّ الذي لم يجعل للزوجة حضوراً في شعره، لأنه كان يشعر بالرضى والاستقرار، كما يحدّثنا هو عن نفسه: «في عام 1968/1388هـ تزوجتُ، ولقد كان الزواج بحمدِ الله سعيداً وموفّقاً، وكان له أثرٌ كبيرٌ في حالة الاستقرار النفسي والسكينة التي عشتها منذ تلك اللحظة. هناك من يقولُ إن الشعرَ الحقيقيَّ لا ينبعُ إلا من الحرمان أو من الحب الفاشل. إن هذا القولَ بالنسبة إليَّ على الأقل، مرفوضٌ جملةً وتفصيلاً، صحيحٌ أن الحب في ظلّ الزواج أكثر هدوءاً ووقاراً من حب النزوة العابرة، إن جاز لنا أن نُسمّي هذا حباً، ولكنه بالتأكيد أكثر عمقاً وصدقاً وأبعد أثراً. حب الزواج هو تلك «المودّة والرحمة التي تحدّث عنها القرآن الكريم، وهو أعلى درجات الحب. إنني أودُّ القول إن إنتاجي الشعري في ما أعتقد لم يُصب بأي نكسةٍ نتيجة الزواج»[1]. ويقدم غازي تفسيرا آخر لعدم حضور الزوجة في شعره: «نحن نتحدّث عن تعاستنا، عندما نشعرُ بالتعاسة، ولا نتحدّثُ عن فرحنا عندما نحسُّ بالفرح، ونحن نتحدّث عن مرضنا أكثر من حديثنا عن صحتنا، عن فقرنا أكثر من غنانا، عن النكبات أكثر من المناسبات السارّة، إن مشاعرَ الحزن قد لا تكون هي الغالبة علينا، ولكنها عندما تمرّ بنا عنيفةً تترك أثراً واضحاً على حياتنا، وعلى شعرنا إن كنا شعراء»[2].

---

(1) سيرة شعرية، مصدر سابق، ص 70-71.

(2) سيرة شعرية، ص48. ويشير الباحث السعودي أحمد اللهيب في حديثه عن شعر القصيبي إلى «أن الشاعر أياً كان يتأثر بالمصائب والنكبات ويتفاعل مع الآثار السلبية في حياته أكثر من الآثار الإيجابية هذا من جانب. ومن جانب ثانٍ يجعلنا نعلل غيابهما (الزوجة والأخت)، هو الحياة الإيجابية لهما وعدم تعرضهما لما تعرّض له الآخرون. بالإضافة إلى أن الأثر الذي تركه فقده لأمه وما تعاور حياته من مصائب متمثلاً ذلك بجدته وزوجة أخيه «ملك» و«صبا» ابنة أخيه «عادل». كان عظيماً ما جعل كثيراً من الأشياء تتوارى في ظل هذه الأحزان. كما أن العاطفة القطرية/ الأبوية تجاه ابنته «يارا» جعلتها تغيّب الشخصيات الأخرى». أحمد اللهيب لـ«ثقافة الخميس»: «المرأة/الوطن من أكثر الصور حضوراً في شعر القصيبي»، جريدة الرياض، 13 كانون الثاني/يناير 2005.

في قصيدته «حديقة الغروب»، يُخاطب رفيقةَ عمرِه:

أيـا رفـيـقـةَ دربي! لو لديّ سـوى

عمري، لقلتُ: فدى عينيكِ أعماري

أحببـتـنـي، وشـبابـي في فـتـوّته

وما تـغـيّـرت والأوجـاعُ سُـمّـاري

منحتـنـي من كنوز الحُبّ أَنفَـسها

وكنتُ لـولا نداكِ الجائـعَ العاري

ماذا أقـولُ؟ وددتُ البـحرَ قافيتي

والغيم مـحـبرتي والأفقَ أشـعاري

إنْ ساءلوكِ فقولي: كان يعشقني

بكـلّ ما فـيـهِ من عُـنفٍ وإصـرار

وكان يـأوي إلى قلـبـي ويسـكـنه

وكان يحـمل في أضـلاعـهِ داري

وإنْ مضيتُ فقولي: لم يكن بَطَلاً

لكـنــه لم يـقـبّـل جـبـهةَ العــارِ

كان غازي يرى زواجه من «سيغريت» أفضل قرار اتخذه في حياته. وهو القرار الذي وافقه عليه المستشار الألماني الأسبق هيلموت كول في زيارته السعودية عام 1983. وهي قصة ظريفة ذكرها في كتابه «الوزير المرافق»، فكما يروي القصيبي، أن وليَّ العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، أشار إلى غازي والأمير يتحدث مع المستشار، فقال له: «هل تعلم أنه من أنسبائكم. إنه متزوجٌ من ألمانية. فالتفت

المستشار إليَّ، وقال: أعتقد أن هذا هو أفضل قرار اتخذته في حياتك. فأجبته بأنني أتفق معه في الرأي»[1].

وقد حصل موقفٌ مشابهٌ للقصيبي مع الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر بحضور الأمير فهد بن عبدالعزيز، وليّ العهد حينها، حينما اقترح القصيبي حلاً لمشكلة الشرق الأوسط لم يجرّبه أحدٌ من قبل. «اسمح لي أن أتزوجَ فتاةً أمريكيةً يهوديةً. وفتاةً أمريكيةً مسيحية. وبهذا سيحدث تفاهمٌ يؤدّي بمرور الأيام إلى إحلال الوئام في المنطقة. ابتسم كارتر وقال: دعني أفكّر في الأمر، فهناك جوانب قانونية للموضوع (يشير إلى القانون الأمريكي الذي يمنع تعدد الزوجات). وهنا تدخّل الأمير فهد: لا تصدق يا فخامة الرئيس. إنه يقول ولا يفعل، حتى لو سمحت له فإنه لن يجرؤ على ذلك. إنه يحب زوجته ولن يتزوج غيرها»[2]. وخلال اثنين وأربعين عاماً كان غازي يحتفظ لزوجته بكل مشاعر الحب والوفاء، وحينما تسافرُ بعيداً عنه كان يصبحها على هاتفها المحمول، ويتصلُ بها مرتين أو ثلاثاً كل يوم للاطمئنان عليها[3].

في عام 1986 زارت الأميرة ديانا السعودية، وقد قامت بزيارة جمعية المعاقين في الرياض التي يرئسُها القصيبي، وكان لأسبابٍ لم يوضحها قد اعتذر عن حضور الحفل، «قررت الحضور لأستقبلها ثم غيّرت رأيي، وقررت عدم الحضور، لماذا؟ لا أدري بالضبط. لم

---

(1) غازي القصيبي، الوزير المرافق، الطبعة الأولى (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2010)، ص 97.

(2) الوزير المرافق، ص25.

(3) بارعة علم الدين، لقاء مع «تلفزيون المستقبل»، 28 17 آب/أغسطس 2010.

أشأ أن أكونَ واحداً من المعجبين الذين يتبعونها حيث تذهب. لم أرد أن أصبحَ نجماً بالتبعية». كانت السفارة البريطانية قد أبدت رغبتها بحضور القصيبي للحفل، لكنه أيضاً اعتذر حتى جاءه الأمر فامتثل له[1]. في تلك الزيارة سألته زوجته، سيغريت، التي كانت حاضرةً في أثناء الاستقبال عن سبب حضوره، على الرغم من أنه كان يعتذر عن عدم الحضور في ما سبق من مناسبات، ولم تكن إجابتُهُ مقنعةً حينما تعلّلَ بأن البروتوكول يحتمُّ عليه ذلك. لم تقدم سيغريت دعوة للأميرة ديانا لتناول الشاي في منزلها كما كان يتمنّى غازي. في خاتمة كتابه «الأسطورة»، الذي خصَّصه غازي للأميرة ديانا، وبخفة روحه يوصي حفيدَه فهداً «أن تعدَني سواء كنتُ أنا هنا في ذلك الحين أو لم أكن. عدني أن تذهبَ إلى تلك المرأة التي نحبها كثيراً أنت وأنا. وتقول لها: «جدتي لماذا لم توافقي على دعوة ديانا إلى الشاي؟ وأريد منكَ وعداً ثانياً يا فهد. عندما تقول لك كما أعرف أنها ستقول:» لم أدعُها خوفاً على جدك. كنت أريد حمايته من موت محقق في شوارع باريس». أريدُ أن تبتسمَ. ولا تصدق. جدتُك تشاغب أحياناً، كما تشاغب أنت طيلة الوقت. لن نعرف أبداً، لماذا لم تدع جدتك ديانا لشرب الشاي في منزلنا»[2].

---

(1) غازي القصيبي، الأسطورة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997)، ص 23. كان غازي يومها سفيراً في البحرين، ولم يكن قد مضى أكثر من سنتين على قصيدته «رسالة المتنبي الأخيرة إلى سيف الدولة» وإعفائه إثرها من منصبه وزيراً للصحة، والقصيبي في حياة في الإدارة يرد سبب ما حصل وأزمة علاقته بالملك فهد إلى دور الصحافة والإعلام وصناعة النجم، ولقرب عهده بتلك الحادثة، فيبدو لي أن آثار ذلك «الجرح» هي السبب الخفي لامتناعه في بداية الأمر من الحضور أثناء زيارة الأميرة ديانا للجمعية. كان يحتاج إلى وقت كاف، وحدث ضخم بمستوى احتلال الكويت، ليستعيد طاقته وحماسته وليتجاوز آثار ما حصل.

(2) الأسطورة، ص 69.

هو يتحدّث بصراحة عن سعادته في بيته ومع زوجته، «أكثر الرجال الذين يهاجرون من بيوتهم إلى المقاهي أو بيوت زملائهم أو لعب الورق أو لعب الطاولة أو السفر – يدفعهم إلى ذلك أنهم لا يجدون راحةً نفسيةً في منازلهم، وبالعكس الأشخاص الذين يقضون أوقاتاً طويلة في منازلهم، وأنا أعتبر نفسي سعيداً، لأنني أستطيع أن أقضي وقتي بأكمله في المنزل، دون أن أشعر بأي رغبة، أو دافع للخروج»[1].

لم يسمح القصيبي، أو لم يشجع زوجته «سيغريت» للظهور إعلامياً، ما عدا صورتين تسلَّلَتا عبر الأصدقاء والمعارف[2]. كان غازي يشيرُ بسخرية إلى أثر الجينات في عائلة القصيبي[3]، ربما تكون قد سَرَت إليه جينات والده عبدالرحمن القصيبي، أو أنه اقتفى أثر حكمة والده وبُعد نظره، ورؤيته للمجتمع كما وصفه في مقالته الحزينة «المواسم»: «كان في صراع صامت مع التقاليد الخانقة التي تحيطُ به، ومع قيود المجتمع التي لاً ترحمُ أحداً. كان يحترم التقاليد من دون أن يخلط قط بينها وبين الدين. وكان يعيش في الحدود التي يرسمها المجتمع من دون أن يسمح للمجتمع أن يصوغه على مثاله»[4]، وإن كان قد ذكر في لقائه مع «الإم بي سي» أن زوجته هي نفسها التي لا ترغبُ بالظهور، وأنها تفضّلُ دائماً أن تكون وراءه[5].

---

(1) استجواب غازي القصيبي، ص97. مقابلة أجراها معه وهيب غراب، مصدر سابق.

(2) نشرت جريدة الحياة اللندنية لقاءً مع الإعلامية اللبنانية بارعة علم الدين وهي صديقةُ العائلة ونشرت مع اللقاء صورة تجمع غازي وزوجته وأبناءه وبناته في أيامه الأخيرة، التقطتها بارعة. انظر «في آخر حوار مع القصيبي قبل وفاته. الفئة الضالة لا تزال موجودة والمؤسف أن العدالة اليوم لا تتحقق إلا بالقوة»، 02 آب/أغسطس 0102.

(3) غازي القصيبي، برنامج «حكايتي» مع نيكول تنوري، «تلفزيون الإم بي سي».

(4) غازي القصيبي، المواسم، مصدر سابق، ص 88.

(5) غازي القصيبي، حكايتي.

صراع لأجل المرأة

واجه القصيبي، وهو عميد كلية التجارة في عام 1971، أول معاركه مع العادات الاجتماعية، حينما ألزم الطالبات بوضع صورهن على بطاقات تؤكد هوياتهن، ففوجئ أن خمسين بالمئة منهن انسحبن من صفوف الجامعة[1]. وعلى كلٍّ فقد كان مؤمناً إيماناً عميقاً أن «أعداء المرأة يعادون التاريخ، وعداء التاريخ قصير»[2]. كان القصيبي يؤكّد في مناسبات عديدة أن التغيير الاجتماعي لا يأتي من السلطة وإنما من المجتمع، وهي قضيةٌ تناوَلَها بالنقاش حتى مع زعماء ورؤساء دول كان لهم تأثيرٌ كبيرٌ في مجتمعاتهم، مثل رئيسة وزراء الهند، أنديرا غاندي، التي ناقش معها قضيةَ تحديدَ النسل وبرنامجَ التعقيم الاختياري الذي رعته حكومتها والاتهامات التي وُجِّهت إليها بأنها كانت تُجبر النساء على التعقيم. مشيراً إلى أنها «تدرك تماماً أن التغيير الاجتماعي لا يمكن أن يفرضَ عن طريق السلطة. وفي هذا الموضوع قالت: لقد كانت الرغبة في فرض التطوّر غلطة الشاه الأساسية. وكانت غلطة أتاتورك قبله. لقد تصوّروا أن التغيير يمكن أن يتمَّ بقرار حكومي. هذه نظرةٌ خاطئة. الناس أنفسُهم هم الذين يحدِّدون سرعةَ التغيير ولا يمكن أن تفرضَ عليهم الدولة أن يتغيّروا حسب هواها»[3]. كما يروي نقاشاً دار بينه وبين الزعيم التونسي، الحبيب بورقيبة، حول تعدّد الزوجات والحجاب وقضايا أخرى[4]. كما يروي قصةً طريفةً للعقيد معمر القذافي، حينما أرادت زوجة العقيد في عام 1979 أن تزور سوق الرياض مع عدد من السيدات الليبيات من أقاربها. وصادفت جولتهن وقت صلاة الظهر

---

(1) المصدر نفسه.

(2) غازي القصيبي، لقاء مع موقع «سبق»، أيلول/سبتمبر 2009.

(3) غازي القصيبي، الوزير المرافق، ص 36 و37.

(4) المصدر نفسه، ص 64 و68.

حيث تقفلُ الأسواق وينشطُ رجال الهيئة في الاحتساب، وكما يروي القصيبي، فقد كانت إحدى المربيات المرافقات لزوجة العقيد ترتدي ثوباً قصيراً بعض الشيء بمقاييس الرياض، الأمر الذي أدّى برجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى زجرها. وكان مع زوجة العقيد شقيقها الذي ثارت ثائرته فصبَّ جام غضبه على عضو الهيئة، وتجمّعَ الناس وتكهرب الجو، وغضب العقيد، واعتبر الحادثة إهانة مقصودة وقرر قطع الزيارة، وأن تستعدَّ طائرتُه للإقلاع الفوري. حتى تدخَّل الملك خالد وولي العهد الأمير فهد لتهدئته، وأوضحوا له أنه لولا إصرار زوجته ومن معها على عدم اصطحاب رجال الأمن معهم لما حدث ما حدث، فاقتنع القذافي على مضض، لكنه أصرَّ على أن يقابلَ رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الرياض، ليحاوره عن نظرة الإسلام إلى المرأة والحجاب، رُتب الموعد بالفعل وقضى رئيس الهيئة أكثر من ساعة في جدلٍ مع العقيد. «أشك كثيراً أن أحداً من الطرفين قد استطاع أن يقنع الطرف الآخر بوجهة نظره»[1].

آلام غازي وأحزانه

فقد غازي أمَّه وهو طفلٌ رضيعٌ ابن تسعة شهور: «الصور الفوتوغرافية البكماء تقول شيئاً وتعجز عن قول أشياء، ما تعرفه أن موتها ترك غمامة صغيرة من الحزن لا تزول عن أفق العائلة الصغيرة، ظلَّ القسم الذي لا يجيزه الشرع شائعاً في البيت سنين طويلة: ودفنت أمي»[2].

(1) المصدر نفسه، ص117 و118.

(2) غازي القصيبي، المواسم، مصدر سابق، ص 74. برنامج «حكايتي»، «تلفزيون الإم بي سي»، تشرين الأول/أكتوبر 2005.

احتضنته جدته «سته»، سعاد، وأغدقت عليه حنانها طوال خمسة وعشرين عاماً، وكانت مواجهته الأولى للموت هي حين بلغه موتها في عام 1965، وهو في اليمن ضمن وفد للسلام لإنهاء حرب الملكيين والجمهوريين: «كنت تخاف عليها الموت. تخاف عليها وتخاف على نفسك، تخاف أن تواجه الحياة بدونها، هل تذكر كيف كنتَ تدعو الله أن يؤجِّلَ موتها حتى تستطيعَ أن تتحمّل وطأته؟ لم تمت وأنت طفلٌ كما كنتَ تخاف، ولا وأنت مراهقٌ كما كنت تخشى. ماتت وأنت رجلٌ يتحمّل الصدمة دون أن ينقصم ظهره»[1].

ومع كونه ابن عائلةٍ كانت في الأربعينيات الميلادية من القرن الماضي من أغنى العوائل في الخليج، وعلى الرغم من كونه طوال حياته المهنية، كان مثال النجاح والمثابرة والوطنية، ونجماً تتبع الصحافة ذيله حيث اتجه وباحَ أو ناحَ وكتبَ، إلا أن روح اليتم التي كان يغالب كآبتها قد أسقمت روحه، والوجل من الفقد ورحيل الأحباب قد صبغ مزاجه، فانبعث الجرح مرةً أخرى وطغى في سنواته الأخيرة واصطبغت بعض قصائده بالرثاء وذكر الموت منذ قصيدته «خمسون»، مروراً بـ«صدى الأطلال» حين بلغ الستين، إلى قصيدته الأسيفة بـ«حديقة الغروب»، حين اقتحم الخامسة والستين، حتى ختمها بقصيدته «سبعون». وهو الشعور الكئيب الذي استبطنته روايته الأخيرة» ألزهايمر» التي رأت النور بعد وفاته[2]، فـ«عندما يُصاب

(1) توفيت في عام 1965، المواسم، ص 15- 16.

(2) يذكر محمد رضا نصر الله: «أن أقصوصته ألزهايمر هي الكتاب الوحيد الذي لم يره، فقد صدرَ يوم وفاته. وقد فوَّضني قبل وفاته بأيام على لسان هزاع العاصمي متابعة صدورها، وفعلاً فقد أعطيت للناشر بالنيابة عن غازي الإذنَ بطباعتها، بعدما زوّدها ببعض الرسومات تلافياً لقلة عدد صفحات الأقصوصة». محمد رضا نصر الله، «العشاء الأخير مع غازي»، جريدة الشرق الأوسط. 28 آب/ أغسطس 2010.

الإنسان بمرض لا يشفيه سوى الموت، فمن الطبيعي أن تدور خواطر الموت في ذهنه بين الحين، والحين»[1]. وقد سُئل في آخر حياته: «قبل سنوات قليلة قال أحد القريبين منك: «لا تنتظروا أن تسمعوا من غازي القصيبي في قادم الأيام إلا الرثاء»، ما بال الحزن يترصَّدُك في أيامك الأخيرة؟ فأجاب: أعتقد أنك ستجد الجوابَ عند الشاعر عزيز أباظه: «من يعمّر يجد أحبّاءه في الأرض أوفى ممن عليها وأحنى»[2].

ولأنه ابن الحياة فقد رفض أن يُسمى أيٍ من أحفاده بغازي، لأنه ليس من الطبيعي أن يعيش إنسانٌ في ظلِّ شخص آخر، غادر الدنيا[3]، كما يقول، لكن ابنته يارا وزوجها فواز أصرّا على تسمية بكرهما بغازي، لهذا يوجّهُ إلى غازي الصغير نصيحته مشيراً إلى عصيانهما لرغبته:

سامح الله يا صغيري يارا   وتغاضى عن الفتى فوازِ

وفيها يوصي حفيده بالهدوء والسكون، وأن يتجنَّب غضب الناس، لأن الجرأة «مطرّزة بالتعازي»، وأن يهجر الشعر كله إلا الأحاجي والألغاز[4].

---

(1) غازي القصيبي، ألزهايمر، الطبعة الأولى (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، آب/أغسطس 2010)، ص28. يقول محمد رضا نصر الله: «... وعزمه على إرسال «ألزهايمر» إلى عيسى أحوش، صاحب مكتبة ومطبعة «بيسان» في بيروت. وحين قلت له: تمهّل حتى تستكملَ النص... أجابني... كنت مخطّطاً لأن أنهي فصول رواية «ألزهايمر» على مدى سنة ونصف السنة، إلا أن وضعي الصحي كما ترى... فأنا الآن في حالة صراع مع الزمن، لهذا اضطُررت لاختزالها إلى أقصوصة». نصر الله، المصدر نفسه.

(2) موقع «سبق» الإخباري على الإنترنت، أيلول/سبتمبر 2009.

(3) «حكايتي»، «تلفزيون الإم بي سي».

(4) غازي القصيبي، قراءة في وجه لندن، «نصيحة إلى غازي الصغير»، الطبعة الثانية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2002)، ص 6.

المُلهم والمثال

من حسنِ حظ جيلي من السعوديين ومن سبقنا، أن تكون ملحمة القصيبي قد نُسِجتْ كثير من خيوطها وأكثر فصولها إثارة ونحن شهودٌ عليها، نتنفَّسُ هواءها ونعيش مواسمها، وقد شكّلت السنوات التسع (1983 حتى 1992) ذروة ملحمته الدرامية، ونحن في خضمِّها مراهقين وشباباً، فكبرنا وشبَّ طوقنا، حتى سمحت الأيام بأن أقابله وأناقشه، وأستفهمه وأعارضه وأرى فيه -كغيره- عيوبه ومزاياه وألمس عثراته ونجاحه.

كان للقصيبي محبّوه والمعجبون به والسابحون في فلكه، وله أعداؤه الذين عرفهم منذ ظهرت بواكير إنتاجه في أوائل السبعينيات مع ديوانه «معركة بلا راية». وكان حينها قد بزغ نجمُهُ منذ أن كان أستاذاً مساعداً للعلوم السياسية والعلاقات الدولية - كلية التجارة[1] في جامعة الملك سعود. وقد كان وقتها، كما يصفه واحدٌ من الطلاب الذين عرفوه في صفوف الدراسة ثم ارتبط به حتى لحظاته الأخيرة: «ملءُ السمع والبصر، حديثُ الوسط الطلابي والأدبي، بتجديداته الجامعية، وتحديثاته الشعرية... وكتاباته السياسية»[2]. ويقول أحدُ طلابه في الجامعة: «حين التحقتُ بكلية التجارة طالباً

---

(1) تندّر غازي على هذه التسمية في إحدى قفشاته.

(2) محمد رضا نصر الله. مصدر سابق. ويحكي الأديب الدكتور تركي الحمد أن بداية معرفته بالدكتور غازي القصيبي (عليه رحمة الله) بدأت من أيام الجامعة تقريباً في عام 1971، وذلك كما يقول: «عندما درّسني مادة العلوم السياسية، ومنذ ذلك الوقت بدأت علاقتي مع الدكتور القصيبي، وكان في الحقيقة شعلة من النشاط والتميّز في الجامعة، ويُشارُ إليه كمثالٍ للأستاذ الجامعي الواعي. كان مثقفاً كبيراً بكل ما تعنيه الكلمة منذ ذلك الوقت، ولم يكن فقط منظّراً للثقافة، بل كان أيضاً ممارساً لها في سلوكه وفي حياته، وتعامله مع الآخرين». وهو الأمر نفسه الذي أكّده زميله في التدريس منصور الحازمي. جريدة المدينة السعودية، 18 آب/أغسطس 2010.

كان غازي القصيبي يمثّل أحدَ المعالم الرئيسة، كان عائداً للتوّ من دراسة الماجستير من جامعة جنوب كاليفورنيا، وشاهدته في إحدى المحاضرات يقوم بالترجمة، فكان متألّقاً في العربية والإنكليزية بالقدر نفسه، ثم غاب قرابة السنتين لإكمال الدكتوراه قبل أن يعود عميداً لكلية التجارة، وكان وقتها شديد القرب من الطلاب، يستجيبُ لمطالِبهم واحتياجاتهم، وأذكرُ في هذا الإطار تعاملَه مع مشكلة النقل، حيث كانت الكلية بعيدةً عن مدينة الرياض، وكان من مقترحاته حينها أن يستخدمَ الطلاب الدرّاجاتِ للوصولِ إلى الكلية، كما عرض أن يسهمَ جزئياً في حلٍّ المشكلة بسيارته الخاصة»[1].

المُتسامِح

كان غازي وطنياً حقيقياً متعالياً على المناطقية والطبقية والانتماءات الاجتماعية الضيّقة، ومجافياً للمذهبية والطائفية والضغائن الدينية. فهو يؤكد «أن الحقائق والأرقام تقول لنا إننا قتلنا أنفسَنا قتلاً ذريعاً لم يبلغ عشر معشارِه فعل أعدائنا. وسقط في حروبنا الأهلية أضعافُ من سقط في حروبنا مع الآخرين. وقتلَ المسلمون من المسلمين ما لم يقتله غير المسلمين. وفي هذا عبرةٌ بالغةٌ»[2].

---

(1) نقلاً عن سعد عطية الغامدي وهيثم السيد، «المثقفون يتداركون مشاعر الوفاء والحزن في القصيبي»، جريدة الاقتصادية السعودية، 16 آب/أغسطس 2010.

(2) غازي القصيبي، «حسن الصفار والدعوة إلى الحوار»، المجلة العربية (السعودية)، شوال 1420هـ، ص 20-21. والمقالة منشورة في كتابه: «الخليج يتحدث شعراً ونثراً»، ط1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003)، ص 203. وفي لقاء للصفار مع عبدالعزيز قاسم في «مكاشفات» جريدة المدينة، سأله عن حقيقة ما قيل من أن القصيبي كان أحد الوسطاء في إغلاق ملف المعارضة الشيعية في الخارج فأجاب: «لا لم يكن ضمن الوسطاء. ونحن نقدّر جداً تعاطفه مع ما يخدم الوحدة الوطنية، فقد نشأ في منطقة الأحساء وعاش مع الشيعة هناك وكذلك في البحرين، جريدة المدينة، 29 تشرين الأول/أكتوبر 2004.

يصف غازي والدَه عبدالرحمن القصيبي[1] بأنه «كان رجلاً سبق جيله بأجيال. وسبق مجتمعه بمراحل، كان متديّناً على الطريقة السلفية، وكانت له علاقاتٌ قويةٌ مع أصدقاء من مختلف المذاهب والأديان، طبعَ على نفقته عشرات الألوف من الكتب -كتب الفقه الحنبلي المعتمدة- ووزَّعها على أوسع نطاق، الظاهر المحقّق أنه لم يجد في شيء من هذه الكتب (الولاء والبراء)، كما يفهمُه ويدرسه، ويحاول أن يفرضَه البعضُ هذه الأيام. تعلّم كيف يحترمُ الآخرين، ويحترمُ حقَّهم في الاختلاف...»[2].

كما تعبِّر قصيدتُه «أجل نحن الحجاز ونحن نجد 1990»، عن تجاوزه للانتماءات الإقليمية والمناطقية.

كما أن الدماء الحجازية النجدية التي اختلطت في كيانه[3] وتربيته على يد جدّته بنت مكة المكرمة، مع قضاء سنوات طفولته ومراهقته في البحرين، تلك العوامل ساعدت أيضاً في نشأته إنساناً منفتحاً مُتسامِحاً[4].

---

(1) يذكر القصيبي أن والده عبدالرحمن القصيبي توفي في عام 1396هـ- 1975م، عن مئة عام، صوت من الخليج، ط1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997)، ص 53.

(2) المواسم، ص 87- 88.

(3) يذكر غازي أن والدته فاطمة أصيبت بصدمة بعد انتقالها إلى الأحساء، وكان أهلُها قد اشترطوا على زوجها أن يبقيها في الحجاز حيث كان يقيم، لكن الظروف اضطرته بعد ذلك إلى الانتقال وهي برفقته، وهو الأمرُ الذي كان له تأثيرٌ سلبيٌّ في صحتها، «حكايتي»، مصدر سابق.

(4) توفيت أمّه فاطمة آل كاتب في الثامنة والعشرين من عمرها بمرض التفوئيد (1941)، وهي من عائلة مكّاوية، أصولها تركية، كانت تتوارثُ وظيفة الكتابة لأشراف مكة المكرمة، ويبدو أن الكتابة - كما ذكر القصيبي - «كانت شيئاً بين الحجابة والوزارة»، المواسم، ص 43.

تأثير الأب

كان والدُه، كما يصفه ابنه: «في صراع صامت مع التقاليد الخانقة التي تحيطُ به، ومع قيود المجتمع التي لا ترحمُ أحداً. كان يحترمُ التقاليد من دون أن يخلط قط بينها وبين الدين. وكان يعيشُ في الحدود التي يرسمها المجتمع. من دون أن يسمحَ للمجتمع بأن يصوغَه على مثاله»[1].

كان غازي قد استأذن والدَه في زواجه من تلك الشابة الألمانية التي تعرّف إليها صغيرةً، حيث كان والدُها يعملُ في مصنع والده في البحرين. وكان غازي يومها برفقة والده في رحلة إلى بيروت للعلاج، كان والدُه قد شارف على السابعة والثمانين من عمره، لكنه تركَ لابنه الخيارَ بعد أن حاول مرتين أن يحملَ ابنه على إخباره باسمها ومن أي عائلة هي، لكن غازي استأذنه ألا يخبره باسمها حتى تقبل هي بعرضِه الزواج منها، فاحترم الأبُ خصوصية ابنه[2].

كان لعبدالرحمن القصيبي تأثيرٌ كبيرٌ في ابنه، إذ رأى فيه مثال القُدوة الأخلاقية، فهو لم يكن يغضبُ من أحد يشتمه بكلمة نابية، كان يكتفي بوصفه بـ«الترس»، موضحاً لابنه أنها «لا تعني شيئاً، لا تعنيَ سباً ولا شتماً ولا قدحاً، ولهذا فهو يستخدمُها بدلاً من استخدام كلمات السبّ والشتم والقدح. كان هذا درساً بليغاً، «حاولتَ بلا جدوى أن تتعلمه كما حاولت أن تتعلم منه تسامحه اللامحدود وتعامله الحضاري مع الجميع»[3]. ويصفُ غازي الأيامَ الأخيرة لوالده، الذي توفي «عن مائة

---

(1) المواسم، مصدر سابق، ص88.

(2) غازي القصيبي، «حكايتي»، مصدر سابق. وقد أنجبت له زوجته الألمانية «لورا» خمسة من الأبناء.

(3) المواسم، مصدر سابق، ص90.

سنة، أو ما يقاربها، «وكان أبي خلال أعوامه الأخيرة معتزلاً منعزلاً، معتزلاً الناس، منعزلاً عن المجتمع. وكاد الناس ينسونه، وكاد المجتمع ينساه»[1]. وفي كتابه «الوزير المرافق» ذكر القصيبي في معرض حكايته للقائه بالزعيم التونسي، الحبيب بو رقيبة، «وتذكّرت أبي رحمه الله. تذكّرت حالته عندما تجاوز التسعين، وأصبحت مقابلةُ الآخرين تمثّل عبئاً كبيراً يحتاجُ إلى الكثير من التجلّد ومن الحذر حتى لا يخطئ»[2].

القبيلي والخضيري

لم يسلم غازي من اتهامه أكثرَ من مرة بالعنصرية، فهو يذكر أنه «مع كل قرارٍ تأديبي يصدر، كان هناك عدوٌّ يولد أو عدوّة. بمرور الأيام أصبح هناك جيشٌ من الأعداء يستخدم كل الأسلحة، الأسلحة غير المشروعة بوجهٍ خاص. قال لي وليّ العهد الأمير عبدالله : «سمعتُ أن كل الذين عينتَهم في الوزارة جاءوا من منطقتك»، قلت لولي العهد أنت تعرفُ أنني مصابٌ بعمى الألوان حين يتعلّق الأمرُ بالمناطق. هذه هي الأسماء وهذه هي الحقائق. قالَ، يكذبون عليك على هذا النحو. قلتُ، من هم؟ قال جاءني وفدٌ يتظلّمُ من عنصريتك»[3].

يتفوّقُ غازي على ذاته، وبخفّة ظلّه، يحكي موقفاً لشقيقه نبيل وهو يمازحُ جدّته «سته» سعاد: «لو كنتُ أعرفُ العروقَ التركية في بدني لقطعتُها»[4].

---

(1) صوت من الخليج، مصدر سابق، ص 52 و53.

(2) الوزير المرافق، مصدر سابق، ص 69.

(3) غازي القصيبي، حياة في الإدارة، ط 14 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2010)، ص 299 -300.

(4) المواسم، مصدر سابق، ص 43.

ويروي القصيبي في مقالة نشرها في مجلة «العربية» عن والده، أن جدهم الخامس كان ينتمي إلى بطنٍ من بطونٍ بني خالد، ثم تزوج امرأةً مجهولة القبيلة، فخرج من عشيرته، أو أُخرج منها، وأصبحنا منذ ذلك الحين من «الخضيرية». قلتُ لا بأس إن شاء الله «بنو خضير» أكبر قبائل المملكة، ولعلهم أكبر قبائل العالم[1]. وقد تناول هذا المسألة في روايته «أبو شلاخ البرمائي»، الذي مُني بالخيبة بعد أن رفضَه والدُ وضحا، البنت البدوية الجميلة، لأنه حين طلب منه أن ينتسبَ اكتشف أنه لم يكن من أبناء القبائل، «فقال أبو وضحا باشمئزازٍ لم يحاول إخفاءه «يا لله الخيرة! خضيري وجاي تخطب بنتي؟! قمٍ يا وليدي، قم، ما أنت من مواخيذنا». هنا يا أخي أبو لمياء، تقمّصني نبيطان، فأنشدتُ على الفور:

ياعم! خل عنك الخضيري وقبيلي
النــاس مــن آدم وحــوا نــســايــب
يا من خضــيري مكرم للنــزيلــي
نشمي، وهبة ريح، جـزل الوهايب
ويا من قبــيلي حقنة أو بخــيلــي
ما ينغزى به، يرد من جاه خايب
فخر السنافي بفعلة المستحيلي
ما هو بسكان القبور الخرايب

أطرق أبو وضحا مفكراً دقائق عدة، وعندما بدأ الأمل يراودني أنه قد يغير قراره أنشد فجأة:

---

(1) غازي القصيبي، صوت من الخليج، من شعر ابن أخي الخالدي، ط 1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997)، ص 97.

غثيـتني بذا الهرج ياذا الرزيلي

من لاعرف أصله عليه المعايب

وضحا لكفوها ما في قالٍ وقيلي

دوِّر خـضـيرية وخـل الطلايب

حنا نزوج بنتـنا لك؟ يا ويـلـي!

ياحـيف! يا دهـر كثير العجايب

رح في سبيلك رح يا بن السبيلي

وإلا تـرى بيـني وبيـنك حرايب

وبعده يعاتبُ أبو شلاخ رفاقه الذين ورّطوه بهذه الخطبة المشؤومة: «...عدتُ إلى المخيم، ولمتُ الرفاقَ الذين لم ينبهوني إلى هذا المطب الخطير، وتطوّع برشوتم فأخبرنا أن في الهند طائفةً أردى من الخضيرية، هي طائفة المنبوذين الذين يرفض الناسُ ملامستهم»[1]. وبعد سنوات ثلاث يلتقي أبو شلاخ بالأمريكية برنيس التي ألّف من أجلها أبياتاً من الشعر «سُرّت برنيس بالأبيات سروراً عظيماً، وتطوّرت العلاقة بيننا، ونسيت قراري بالإضراب عن الحب. فكرتُ جدّياً في خطبة برنيس إلا إنني خفتُ أن يكون أبوها قبلياً من تكساس، ويرفض أن يعتبرني من مواخيذها»[2]. كان يتناولُها بطريقةٍ ساخرة على اعتبارها من الظواهر الاجتماعية المثيرة للسخرية، وقد ناقشها بشكلٍ ظريفٍ في عمله الروائي الحواري «العصفورية».

---

(1) غازي القصيبي، أبو شلاخ البرمائي، الطبعة الخامسة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006)، ص 54- 56.

(2) المصدر نفسه، ص 60.

العادات السيئة والعنصرية ضد الأجانب

كان غازي دائماً مثالاً لرجل الدولة الذي يعرف جيداً كيف يحسبُ خطواته، ويدركُ جيداً أين هي حدود انتقاده، وبذكائه وعبقريته تمكّن من انتقاد أسوأ العادات الاجتماعية الدخيلة، كما يصفُها: «تقاليدُنا وعاداتُنا، أنا مستعدٌ أن أموتَ في سبيل الدفاع عنها. التقاليدُ الأسريةُ، تقاليد الولاء، التقاليد الدينية، ومنظومةُ تقاليدِ جيدة جداً، وهي التي تشكّل هويتَنا. وهناك تقاليد تسللت إلينا بالرغمِ مما يقوله الإسلامُ، وبالرغم مما تقوله التقاليد الأصلية. الإسلام يدعو إلى المساواة، وحينما يُصنِّفُ الناس على أساس قبلي، وأساس اجتماعي، أو على أساس أن هذا أرقى، وهذا متجنّس، وهذا سعودي أصلي، وهذا مجنّس. وهذا يجبُ أن يُحاربَ. وفي روايتي أبو «شلاخ البرمائي» أشرتُ إلى ذلك»1. وينتقد الازدواجية في العادات والتعامل في المجتمعات العربية «كيف تحوّلَ العالم العربي بسبب الحساسيات إلى عالم باطنيٍّ. كانت المحصلة النهائية أننا تحوّلنا بدرجات متفاوتة «كمجتمع» إلى «باطنيين»! «نُظهر» من الآراء ما لا «نُبطن»! وجاءتْ الأشياءُ المظنون بها على غير أهلها «والمقصود -بطبيعة الحال- الأشياء التي تسبّبُ إذاعتها على الناس خطراً على قائلها»[2].

---

(1) غازي القصيبي، وفي تعليق لمحمد رضا نصر الله يذكر أن: «أبو شلاخ البرمائي زاوج بين السخرية السياسية والعرض البانورامي لتجربة الطفرة الاقتصادية والطبقية في المملكة العربية السعودية، وفي هذا النص أعمل غازي في كثير من الظواهر الاجتماعية والثقافية. برنامج «حكايتي». مصدر سابق. وفي رمضان عام 2006، عرض التلفزيون السعودي مسلسل «أبو شلاخ البرمائي»، مقتبساً من رواية القصيبي، وقد سُئل في لقاء مع موقع «سبق» على الإنترنت عن سبب فشل المسلسل فأجاب: «من الواضح أن السؤال يحمل في داخله الإجابة!». موقع «سبق»، أيلول/ سبتمبر 2009. وقد أعاد الموقع نشر الحوار في 17 شباط/فبراير 2011.

(2) استجواب غازي القصيبي، ص38. مقابلة أجراها محمد جابر الأنصاري، مصدر سابق.

كانت وزارةُ العملِ هي آخر محطة وزاريةٍ اختارها، ليدخلَ مرحلةً من التحدّي غير مسبوقة في توطين العمالة السعودية، وتخفيض العمالة الأجنبية، وقد كان القصيبي واعياً على الدوام بأن توطين العمالة لا يعني ألبتّة موقفاً عنصرياً من غير السعوديين، فقد كان يدعو إلى الحذر من تقسيم المجتمع السعودي إلى فئتين، الدرجة الأولى: المواطنون السعوديون، والدرجة الثانية هم غير السعوديين من العمالة الوافدة. ويحذّر من أن نجعلَ من حبِّ كل ما هو سعودي كراهيةً لغير السعوديين. ويشيرُ إلى الماضي القريب للمجتمع السعودي، حينما كان الآباءُ والأجدادُ يبحثون عن لقمةِ العيش في الهند والعراق والشام ومصر، فـ«من لدينا من غير السعوديين ليسوا غزاةً ولا متسولين ولا متسلّلين»[1]. كما يتحدّث عن فضل المصريين عليه، «لقد تعلّمتُ القراءة والكتابة على يد أساتذة مصريين، وأنا من جيلٍ يؤمنُ أنه: «من علّمني حرفاً كنتُ له عبداً»، وقد تلقيتُ دراستي الجامعية في القاهرة أيامَ لم تكن في المملكة جامعات»... ولقد بحثتُ أيام حرب السويس عن أقربِ مركزٍ للتطوّع، دون أنْ أضيع دقيقةً في التساؤل عن طبيعةِ الحرب، وهل كانت «مصريةً»، أو «عربيةً»، ولم أكن وقتها قد وصلت السابعة عشرة»[2].

وكتب مقالةً قديمةً في مجلة «اليمامة» بعنوان: «ملائكة وشياطين»، وجّه فيها أقسى النقد لمن ينتقدُ أداء العمالة الوافدة التي خدمت التنميةَ السعوديةَ في كلِّ مجال[3].

---

(1) غازي القصيبي، في رأيي المتواضع، مقالة بعنوان «حذار حذار حذار»، الطبعة الأولى (مكتبات تهامة: 1415هـ)، ص 40.

(2) المصدر نفسه، ص 54.

(3) محمد رضا نصر الله، العشاء الأخير مع غازي. مصدر سابق.

الساخر والمتعالي

كان غازي القصيبي أسطورةً ونجماً حيثما حلَّ وارتحل، والأكثر إدهاشاً أنه لا يزالُ حتى اليوم قصة مشوّقةً ومثيرةً، وبقيت شخصيتُه الثرية وعالمُه الغرائبي، و«أنواته» الاثنتا عشرة وعوالمُها الضخمة وتناقضاتُها الداخلية، نبعاً للدهشة، وكنزاً لم يُكتشفْ إلا بعضٌ من جوانبه. كان غازي إنساناً ساخراً من مفارقات الحياة، وكان مؤمناً فرحاً، يرى الأملَ في حومة اليأس، والحبّ في ركام البغضاء، وبصيصَ النور في نفقٍ مظلم. وكان إنساناً فرحاً ممتلئاً أملاً، وواثقاً ثقةً كبيرة في نفسه، وفي ما منحه الله. وصف مرةً في لقاء معه العاصمةَ البريطانيةَ: «هل تتصوّرُ مدينةً أخرى على هذا الكوكب، أو في كوكب آخر، تسمحُ لكلٍّ من هبَّ ودبَّ بشتمها فوق المنابر، ولا تلاقي الشتمَ إلا بضحكاتِ الاستمتاع؟ تستطيع أن تقول إنه التسامُح، أما أنا فأرجّح أنه التعالي. التعالي الامبراطوري القديم الذي لن يزولَ من النفوس. التعالي الذي يعتقد: «ما دمتُ أنا أحسن الجميع فليقل الجميعُ ما شاؤوا». التعالي الذي يقول: «أنا لا يغيّرُني شيءٌ، فتعالوا وحاولوا»؟ وأنا أحبُّ لندن، وأخافها. أحبُّ انفتاحَها وأكرهُ تعاليَها»[1].

غير أن هذه الصفةَ التي قد تتلفّعُ بها المدنُ هي صفاتُ البشرِ أساساً، هي صفاتُ ساكنيها وقاطنيها الذين يمنحونها الروحَ والوجودَ والنكهة. وكان غازي أيضاً متعالياً وواثقاً في قرارة نفسه أنه أحسنُ الجميع، إذاً فليقل الجميعُ ما يشاؤون، وقد شنَّت الصحافةُ هجومَها

(1) سيرة شعرية، مصدر سابق، ص328. ولغازي ديوان عنوانه« قراءة في وجه لندن»، مصدر سابق. صدّره بقصيدته التي تحمل العنوان نفس، وفيها يقول «كل شيء، بثمنْ... البكا... والضحك... والأبناء... والفكر الموشى... والبدن»، ص11.

على القصيبي بسبب قراراته في وزارة العمل التي كانت تهدفُ إلى الحدِّ من الاستقدام وإحلال العمالة السعودية مكان الوافدة، بالقدر الذي تسمح به الإمكانات. وبخفة دمه المعروفة اختار من رسوم الكاريكاتير التي تنتقد سياستَه مجموعةً ألصقَها علَى جدرانٍ مكتبه[1].

كان واثقاً من أن ما يذكرُه أحدُ أبنائه عن عالمه الأُسري الخاص، ليس إلا أحد وجوه الثراء والروعة والسحر الذي امتاز به غازي. فغازي الرقيقُ والشاعرُ الرومانسيُّ الحزينُ هو غازي الذي يؤدّبُ أبناءه بـ«الخيزرانة» حينما ينغّصون عليه قيلولته وضجعته بعد العصر، فهو كما يذكر ابنُه سهيل «كان يؤمن بمبدأ الخيزرانة[2]».

وفي قصيدته المرحة أنشودة الطفل (لتي لم تقرّرْها المناهج) يصفُ أجواء قريبة لما ذكره سهيل:

وأمنا في بيتنا واقفة بالمكنسة
تصيح صمتاً! فأبوكم لا يحب الهسهسة
إذا لعبتم حوله طار نعاس نَعَسَه[3]

ويظهرُ عشقُ غازي للخيزرانة في إشارتِه الساخرة إلى طفولة أبو شلاخ البرمائي (يعقوب آل مفصخ)، حيث كان أبو شلاخ يستمتعُ في طفولته بلشط الخادمة الفيليبينية بالخيزرانة، ثم بعد أن هلكَت أحضرَ له أهلُه عبداً استمتعَ معه أيضاً بلشطه هو الآخر بالخيزرانة، وبعد أن مات العبد عوّضه أهلُه بحمامةٍ استمتع أيضاً بلشطها هي

(1) «حكايتي»، مصدر سابق.

(2) المصدر نفسه.

(3) «أنشودة الطفل» (التي لم تقررْها المناهج)، ديوان عقد من الحجارة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1991)، ص 15.

الآخرى، وبعد أن تلفت أعطوه حَملاً صغيراً، كان يقسِّمُ وقته معه بين اللشط وشفطة الحليب، بعده حصل على حمار كان له نصيبه من اللشط بالخيززانة»[1]). وهذ الجانبُ الساخرُ هو أحد وجوه تلك الروح القُصَيبية، وذلك الكاتب الاستثنائي الذي طوّع له البيان شعراً ونثراً، وهي قدرةٌ قلَّ من اتصفَ بها[2].

القصيبي المؤمن

إن قصةَ القصيبي والإيمان بالله قصةٌ ذات شجون، فقصائدُه في سنواته العشر الأخيرة لم تكن تخلو من إشارات صادقة تعبّر عن إيمانه العميق بالله، الذي لا يمكنُ أن أصفَه بأبلغ من هذه الكلمات التي خطّها هو بقلمه: «... إنني أخاف الموتَ في تفاصيله. هل سيكون مؤلماً؟ هل سيكون نتيجةَ مرض عضال طويل؟ كيف سيكون وقعُه على من أحبّ؟ هل سيدمّرُ العشَّ الصغير الأخضر؟ هذه التفاصيلُ التي تُرعبُني، أما الموت، بمعناه الكبير، فهو الحقيقةُ الكبرى في عالم مليءٍ بالأوهام. الموتُ انتقالٌ إلى رحمة الله. وثقتي في رحمة الله لا حدود لها. أعتقد وإن كنتُ... لا أعلم، أنه حين تحينُ ساعة موتي فستجدُني مستعداً لها بقليل من الحسنات، وكثيرٍ من الذنوب، وأمل شاسع في عفو الله، وشوق كبير إلى لقاء وجهه الكريم».

الشجاعة والحصافة

كان القصيبي أحدَ الأعلام والرموز الثقافية والإدارية الفاعلة في المجتمع السعودي طيلة العقود الأربعة الماضية، ومن الواضح

(1) غازي القصيبي، أبوشلاخ البرمائي، مصدر سابق، ص25-28.

(2) سيرة شعرية، مصدر سابق، ص212 و213.

أنه سيحتلُّ مكانةً متقدمةً في قائمة عظماء المملكة في تاريخها الحديث. ومن المرجّح أن ذلك الطيرَ المغرّد دائماً خارج السرب، سيبقى هو الأكثر تأثيراً وإلهاماً لجيلٍ من الشباب الذين ترعرعوا في مناخٍ سياسي واجتماعي وثقافي كان غازي حاضراً في كل منعطفاته ومحطاته. من المؤكّد أنه لم يكتب سعوديٌّ نال القربَ من ثلاثة ملوكٍ، وشغل من المناصب، مثلما كتبه غازي عن السياسة السعودية وعن ملوكها وأمرائها، وعن كيفية صنع القرارات[1]، وعن رضاهم وغضبهم، وطريقة تفكيرهم والجوانب الإنسانية التي لم تكن معروفةً إلا للمقربين منهم. لقد استطاع أن يكتب ذلك وهو دائماً يشغلُ منصباً سياسياً، وتزدادُ الثقةُ به يوماً بعد يوم.

استطاع القصيبي أن يفلتَ دائماً من الاصطدام بالعقبات، وإن كان على الدوام عرضةً للضربات والمثلات التي تمنحهُ القوةَ بدلاً من أن تُضعفه، وتسبغ عليه القوة بدلاً من أن تكسر ظهره، وكان دائماً يثقُ بالزمن وتغيّراته، لأنه من الصعب جداً أن ننتصرَ على التاريخ.



(1) وهذا سيأتي تفصيله في الجزء الثاني والثالث من الحوارات. وقد تناولها بشكل موسع في كتابه حياة في الإدارة، مصدر سابق.

شهاداتُ زُملائِه ومحبّيه ومُعجَبيه

- التماسه من الملك منح موظفيه أراضي سكنية

مُطلَق المُطلَق[1]

- كان القصيبي يطلب من الموظفين أن يُبدوا اقتراحاتِهم أثناء وزارته للكهرباء.

- التماسه من الملك منح الموظفين في شركة الكهرباء أراضي سكنية، وحرصه على أن ينالَها حتى من قدّم استقالته من الشركة قبل الإفراغ.

- غضبه من استبدال اسم موظف بآخر كان قد حصل على منحة تدريبية خارج السعودية.

«ومن المواقف التي أودُّ إشراك القارئ في استعراضها الآتي هو طلبه (يرحمه الله) في بداية عام 1399هـ من كل موظفٍ في وزارة الصناعة والكهرباء بأن يعدّ مذكرةً يفصحُ فيها عن همومه وتطلعاته ومقترحاته التي يرى مناسبة تطبيقها لتطوير العمل في الوزارة، ثم أتبع ذلك بمقابلةِ كل موظف على حدة في مكتبه في الفترة المسائية.

---

(1) «وترجّل غازي المشاعر والأحاسيس». عبدالرحمن بن محمد السدحان، غازي القصيبي الحاضر الغائب في ذاكرة القلم، ط1 (مكتبة العبيكان، 2011). الطبعة الأولى 2011، ص 234، 236،235. أيضاً انظر مقالة المُطلق، «غازي والذالات الثلاث»، جريدة الحياة، 30 آب/أغسطس 2010.

وقد كان اللقاء أخوياً وصريحاً وشفافاً، حاول فيه (رحمَه الله) تحقيقَ ما يمكن من مطالب الموظفين».

«ومن المواقف أيضاً، حينما طلبَ من المقام السامي الكريم الموافقةَ على منح كل موظف من منسوبي وزارة الصناعة والكهرباء أرضاً سكنية، ووافق المقامُ السامي على منح الموظفين الواردة أسماؤهم بالقائمة المرفقة للأمر السامي. وكان أن انتقل عددٌ قليلٌ من الموظفين للعمل في جهات أخرى بعد صدور الأمر السامي الكريم وقبل إفراغ الأراضي للمستفيدين. فاقترح عليه البعضُ إسقاط أولئك من القائمة بحكم أنهم لم يعودوا من منسوبي الوزارة. وكانت ردّة فعله (رحمه الله) فوريَة وحاسمة، بأن وجّه صاحب الاقتراح وكلّفه بالتواصل مع أولئك الموظفين حتى استكمال إجراءات إفراغ الأراضي لهم».

«وهناك قصة تروي أن موظفاً في الوزارة اسمه صالح، تقدّم بطلب الموافقة على حضوره دورة تدريبية خارج المملكة، فوافق معالي الدكتور غازي على طلبه، ووجّه بإعداد القرار اللازم. وكان أن عُرض عليه القرار للتوقيع، وعند استعراضه لمشروع القرار لاحظ أن اسم الموظف في القرار هو ناصر وليس صالح، فما كان منه (رحمه الله)، إلا أن علّق على القرار بالعبارة التالية! «من بدّل ناصر بصالح، إنه عملٌ غير صالح».

أول وزير يفوّض صلاحياته لوكلائه

إبراهيم بن عبدالله المنيف[1]

- الإدارة عند غازي هي الابتكار والإبداع.

---

(1) «غازي، الظاهرة التنموية»، جريدة الحياة السعودية، 1 أيلول/سبتمبر 2010. أيضاً السدحان، المصدر السابق، ص 255 و256 و257 و258.

- غازي سبق الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم بثلاثين عاماً.

- كان المطوّر الأكبر، بل هو أكبر المطورين في العالم العربي.

- كان أول من فوّض صلاحياته إلى وكلائه تفويضاً كاملاً.

- دور غازي في إنشاء سابك ومحافظتها على التوطين، حتى قبل أن تصبح شركة عالمية.

- القصيبي أول من ابتكر ملفَّ القراءة للرقابة والتنسيق وتمكين المديرين، وأول من ابتكر الملفَّ الصحافي النشاطي المتخصِّص.

«تفضَّل المرحومُ غازي وكتب مقدمةً طويلةً من ثلاث صفحات لكتابي الأول «الإدارة» في عام 1399، أي قبل ما يزيد على 30 عاماً، ليؤكّد إدراكنا لدور الإدارة بالفعل الذي لم ينتقل هذا الإدراك إلى حيّز التنفيذ، هذا الابتكار والإبداع في إدراكه أهمية الإدارة من غازي لم يسبقه إليه أحدٌ، هذا الإدراك تحدّث عنه رئيس وزراء الإمارات الشيخ محمد بن راشد في كتابه «رؤيتي» بعد غازي بـ«30» عاماً، واعتبروه ابتكاراً وإبداعاً منقطع النظير، هذا الإدراك من غازي الذي يعودُ بالفعل وبالتحديد إلى ما يزيد على 30 عاماً، يُعتبر ابتكاراً جعل منه مطوّراً قبل أن يكون عميداً ومديراً ووزيراً وسفيراً، كل المناصب التي تقلَّدَها غازي جعلت منه مطوّراً قبل كل شيء وفوقه وبعده، أحبُّ أن أطلقَ عليه مطوّراً أكثر من وزير، لأنه بالفعل أحدُ أكبر المطوّرين في هذا الوطن والعالم العربي كله».

«ابتكر غازي التفويضَ والتمكينَ لكونه قبل كل شيء مطوّراً وليس مديراً ووزيراً، ولم يسبقْه أحدٌ إلى امتهان هذا التفويض والتمكين في

العالم العربي كله، غازي أول من فوّضَ صلاحياته كاملة إلى وكلائه أينما حلّ، غيره كثيرون أنشأوا المؤسسات والهيئات التنموية، ولكن فرادة غازي في إنشاء «سابك» آنذاك وليس الآن، أنه أنشأها شركةً، منطلقها وجوهرها وركيزتها وأساسها وجذورها التوطين بكل أبعاده، وهذه لم يسبقْه إليها أحدٌ إطلاقاً، لا يهمّني ما هي عليه اليوم من مبدأ التوطين، بل يهمّني أنها كانت خلال وجوده قائداً لها، أنها حافظت على هذا التوطين قبل أن تصبحَ شركةً عالمية يقودُها الآن إداريون من أمريكا وأوروبا، ولم تعد ركيزتُها التوطين، كما هي الآن، حمل غازي لواء التوطين، أي «السعودة» بكل تحديد، وغرس إدراكها على أمل استدامة هذا التوطين بعد رحيله المفاجئ (رحمه الله)».

«غازي ابتكر ملفَّ القراءة للرقابة والتنسيق وتمكين المديرين، ولم يسبقه أحدٌ في هذا الابتكار، كما ابتكر الملفَّ الصحافي النشاطي المتخصّص لما يتمُّ نشره محلياً وإقليمياً وعربياً ودولياً كوسيلة تمكينية تدريبية ذاتية لكل من عملَ معه وكيلاً أو نائباً أو مديراً عاماً أو حتى كاتباً صغيراً، وتخرّج - كما أشرتُ - الآلاف من مدرسة غازي التفويضية والتمكينية».

يوقظُ زملاءَه لصلاة الفجر

حمد الماجد[1]

- توتّر غازي من بيان الشيخ ابن باز في السبعينيات بعد مقابلة القصيبي لمجلة «النيوزويك»، وفيها ذكرَ أن الجزيرة لم

---

(1) «ابن باز والقصيبي»، الشرق الأوسط، 30 آب/أغسطس 2010. أيضاً السدحان، المصدر نفسه، ص 265 و266 و267.

تر النورَ منذ ثلاثة آلاف عام. والقصيبي يروي لحمد الماجد في أول لقاء بينهما حقيقة ما حصل. والدور المشبوه الذي قام به أحدُ الإخوان المسلمين كان القصيبي قد فصله من الوزارة بسبب تجاوزاته.

- كان معظم العاملين في السفارة السعودية، العاملين مع القصيبي في لندن، محافظين، وترشيح القصيبي لحمد الماجد لإدارة المركز الإسلامي في لندن.

- كان سكرتير القصيبي، وهو وزيرٌ للصحةِ، رجلاً متديناً، يمارسُ الحسبة والنهي عن المنكر، وتمسّك القصيبي بالموظف ورفضه انتقاله إلى وظيفة أخرى.

- يجمعُ غازي الموظفين لصلاة الجماعة في السفارة السعودية بلندن، وهو الذي يوقظهم لصلاة الفجر.

«طيلة مدة عملي مع غازي القصيبي التي امتدت لأكثر من سبع سنين لم أره متوتراً مثل توتّره عندما أثار معي موضوع بيان الشيخ ابن باز -عليهما جميعاً شآبيب الرحمة- الذي كتبَه سماحتُه حول مقابلة القصيبي مع الـ«نيوزويك» في السبعينيات الميلادية، التي نسب إليه فيها أنه قال: إن الجزيرة لم تر النور منذ 3000 سنة، ومع أني لم أسأله عنها لا تلميحاً ولا تصريحاً، إلا أن غازي حكى لي في التسعينيات ما حدث في نهاية السبعينيات وكأن البيان صدر صبيحةَ لقائي به. قال لي القصيبي إن الذي تولّى كبر هذا الموضوع وإبلاغ الشيخ ابن باز بهذه العبارة أحدُ الإخوان المسلمين في مصر، كان موظفاً في وزارته، وإن هذا الرجل كان له تجاوزات في وزارته، فقام غازي بفصله، فجعل بعدها (ومن منطلق ثأري بحسب تعبير القصيبي) يبحثُ وينقّبُ إلى

أن عثرَ على ضالّته في قصاصة الـ«نيوزويك»، فأقنع ابن باز فنشر بيانه المعروف، وهذا هو الذي أشار إليه القصيبي في رثائيته لابن باز، قال ما نصّه: «كان البعضُ غفر الله لنا ولهم قد دقوا بين الشيخ وبيني (عطر منشم)، ونقلوا ما نقلوا إليه مشوهاً محرّفاً وخارجاً عن سياق».

«أغلبُ الطاقم الذي عمل مع القصيبي في سفارة لندن من المحافظين، مع أن السفير في الغالب هو الذي ينتقي، أو على الأقل يوافق على ترشيح، العاملين معه في سفارته. غازي هو الذي رشّح كويتبَ هذه السطور في التسعينيات للعمل مديراً للمركز الإسلامي في لندن وأرهقته إجراءاتُ الترشيح التي طالت وتعقّدَت، حتى إن الأمير سعود الفيصل، وزير الخارجية، قال لي عندما قابلته ذات مرة في لندن: «أنت الذي أشغلنا غازي بسببك؟»، وغازي هو الذي باركَ ترشيحي للمدير الحالي، الصديق الدكتور أحمد الدبيان، وكلانا خرّيجُ جامعة الإمام».

«عندما تولّى غازي حقيبةَ الصحة، كان سكرتيرُ الوزير رجلاً متديّناً، بل من النوع الذي يهوى «النهي عن المنكر» هاتفياً عن طريق التواصل المؤدّب مع مسؤولي القطاع الخاص والعام، فالنتيجةُ المنطقيةُ التي قد يصل إليها بعض المختلفين معه هي أن «ليبرالياً» مثل غازي لن يتحمّلَ «محافظاً» جداً مثل هذا الرجل ولو ليوم واحد، خصوصاً أنها وظيفةٌ لصيقةٌ به، ومظنّة الدخول في أسرارٍ حياته، الذي حدث أن مسؤولاً شرعياً كبيراً بمرتبة وزير طلب من القصيبي الإذن بانتقال هذا الموظف إليه، فرفض غازي، وظلَّ هذا الرجلُ «الناهي عن المنكر» بجانبه حتى ترك غازي وزارة الصحة، يقول لي

سكرتيره «المحتسب»: كان غازي في أسفاره دوماً يجمعُنا في جناحه لصلاة الجماعة، وهو الذي يوقظنا لصلاة الفجر، وكنتُ حين أرقبُه يتوضأ أشفقُ عليه من كثرة بلل الماء الذي يصيب غترته وثيابه».

ساعتان لحضور حفل زواج سهيل

سعيد بن عطية أبو عالي[1]

- يتصل غازي بأبي عالي ليتوسّط للإصلاح بين اثنين ابني عم من قبيلة غامد، قام أحدُهما ببناء مصنع على أرض ابن عمه، وبعدما حاول القصيبي الإصلاحَ بينهما وإقناعَ المشتكي أن المصنعَ سيكون مفيداً له ولابن عمه، قام بالشكوى ضد القصيبي عند الملك خالد واتهمه بأنه تحيّز لابن عمه.

- يدعو غازي ملكَ البحرين السابق، عيسى بن حمد آل خليفة، وألفي ضيف، إلى زواج ابنه سهيل، وبطاقةُ الدعوة تؤكّدُ للضيوف أن فترةَ الحفلِ ساعتان فقط.

- يُبدي غازي إعجابَه بالشاعر خالد الحليبي، ويُثني على قصيدته التي ألقاها في جائزة محمد بن فهد للتفوّقِ العلمي، ويتوقعُ للحليبي مستقبلاً كبيراً.

- يذكر غازي لأبي عالي برنامجه اليومي الذي يبدأ بصلاة الفجر، ثم القراءة والكتابة حتى الثامنة صباحاً.

- يسألُ أبو عالي القصيبي عن روايته «شقة الحرية» هل سئل عنها من قبل أصحاب القرار، وغازي يؤكّد له ذلك، وأنه أجاب بأن

---

(1) «غازي القصيبي رائدٌ لم يخذل أهله»، جريدة اليوم، 30 آب/أغسطس 2010. أيضاً السدحان، المصدر السابق، ص 273 و274 و275 و276.

ما جاء ذكره من قصص وشخصيات في الرواية كان من الماضي، وأصبح في خبر كان.

- يشجّع غازي د. صالح الملك وأبا عالي واللواء يوسف السلوم، على كتابة ذكرياتِهم لأنها أمانةٌ للأجيال والأحفاد.

«سمعتُ عن الدكتور غازي بن عبدالرحمن القصيبي عندما كنتُ طالباً في أمريكا عام 1393هـ، وذلك عندما عاد إلينا زميلٌ من إجازته الصيفية، فسألناه عن «الجديد» في الوطن، فقال إن سموَّ الأمير فهد بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء آنذاك ملك البلاد في ما بعد (رحمه الله)، قرّب إليه نفراً من أساتذة الجامعات ليستشيرَهم في بعضِ أمور الدولة، وذكر منهم الدكتور غازي القصيبي. عرفنا أنه درس في البحرين وفي مصر وفي أمريكا وتخرج في بريطانيا».

«عام 1400هـ، على ما أذكرُ، هاتفني يطلبُ مساعدتي في الاتصال بمواطن لقبه «الغامدي»، الذي زاره في مكتبه يشتكي ابنَ عمِّه الذي أقام مصنعاً صغيراً على أرض العائلة. فنصحَه الوزير القصيبي بأن يتصالحَ مع ابن عمِّه، لأن إقامةَ مصنع يمثّلُ خطوةً في سبيل خدمة الوطن، ولكن المواطنَ الشاكي بعث برقيّةٍ مطوّلةٍ إلى جلالة الملك خالد (رحمه الله) يشكو فيه الوزير القصيبي على تواطئه مع ابن عمِّه، وعلى الرغم من هذا، طلب «غازي» مني أن أقنعَ ذلك المواطنَ بأن إقامةَ مصنع سيعودُ عليه وعلى ابن عمِّه بالخير، وأن المشروعَ في ذاته يمثّلُ خدمةً للوطن».

***

«دعاني مع صديقه الشيخ سعيد غدران لحضورِ حفل زواج ابنه (سهيل) في البحرين، وقالت بطاقة الدعوة إن استقبال المدعوين الساعة الثامنة والنصف، وينتهي في تمامِ العاشرة والنصف مساء.

وصلنا القاعة، وكان هو وابنُه سهيل وآخرون على بوابة القاعة لاستقبال الضيوف والحفاوة بهم، دخلنا القاعةَ الفسيحة، وكانتَ تعجُّ بالناس وقوفاً وبينهم مناضد مستديرة منثورة في أرجائها على البساط الأحمر لا زرابي مبثوثة ولا أرائك مرصوصة. وفي أحد الأركان ما لذَّ وطاب من الطعام، ومن ركنٍ آخر تتطايرُ رائحةُ الشواء، كل يأكل ما يشتهي ثم يغادر، وقفْنا برهةً وذهبنا إليه نستأذنُ في الانصراف، رفض ذلك، بقينا وعند تمام الساعةِ العاشرة أُطفئت الأنوارُ الخارجية وخُفّضت الداخليةُ وطلب عشاءً له ولِمرافقيه، تبادلنا معه الأحاديث. والشاهد أن هذا الحفل المنظم على قصره (ساعتان فقط) جاء إليه في تقديري أكثرُ من ألفي شخص، بمن فيهم الشيخ عيسى بن سلمان، أمير دولة البحرين آنذاك».

«في أحدِ احتفالات جائزة الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز للتفوّقِ العلميّ، حضرَ القصيبي وكان ضمنُ البرنامج الخطابي قصيدةً للشاعر الدكتور خالد الحليبي، وقد تجلّى الشاعر إبداعاً. وأثناء حفل العشاء جاء من يطلبُني لمقابلة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز، بادرتُ بمقابلة سموّه، فقال الدكتور غازي يبحث عنك، ذهبت للدكتور غازي وقال: كيف عرفتَ الشاعر الذي ألقى القصيدةَ ومن أين هو؟ أخبرتُه بأني سمعته في إحدى المناسبات وأيقنتُ أنه شاعرٌ، فقال القصيبي: حقاً إنه شاعرٌ وأتوقّعُ له مستقبلاً كبيراً، ولذلك أهنئك».

***

«زرته يومَ خميس في منزله في البحرين، وأيضاً مع سعيد غدران، وتخلّلَ الغداء أحاديث متفرقة كنتُ فيها مستمعاً مستفيداً، ولكني وجهتُ له سؤالين: وقال لي مداعباً متى تتخلّى عن دورين وسؤالين؟ فقلت له كأنك ما زلت تذكرُ أول لقاء لنا، قال: نعم وكأنه كان البارحة! سألتُهُ عن قدرته على مزاولة مسؤولياته بنجاح كما نرى ومثابرته على الإنتاج الأدبي، فقال: ذلك يعودُ إلى التزامي بجدولٍ زمنيٍّ يوميٍّ، لا أُحيدُ عنه فأنا أصلي الفجر حاضراً حيثما كنتُ، ثم أجلسُ للقراءة والكتابة حتى الثامنة صباحاً، وهات سؤالَك الثاني فقلت: عندما نشرت روايتك «شقة الحرية» هل سألوك؟ قال: من هم؟ قلت: الذين يسألون؟! فأطلق ضحكةً عاليةً قائلاً: نعم وأجبتُ بأن كل ما في الرواية أصبحَ في خبرِ كان، علّقت على ذلك مبتسماً: والآن أنت ناجحٌ وفي الدور الأول؟».

***

«زرته في مكتبه بسفارةِ خادم الحرمين الشريفين في لندن، وكانت الساعةُ هناك الخامسة بعد الظهر. وقد سبقني إليه سعادةُ اللواء يوسف السلوم وسعادةُ الدكتور صالح المالك، فطلب مني السلوم أن أكتبَ مذكراتي فقلت: الذين يكتبون مذكراتهم هم المشاهير وخصوصاً من قدّموا خدمةً متميزةً لبلادهم وأنا لستُ أحدهم. عندها وضع القصيبي قلمَه والتفتَ إليَّ وقال: اسمع! كلٌّ واحد منا قصة حياتِه أمانةٌ للأجيال القادمة في عنقه، ولذلك فإنني أطالبُك وغيرَك أن تكتب عن حياتك للأبناء والأحفاد واترك لهم الحكمَ على ذلك، وتحوّلت الزيارةُ إلى ندوةٍ ثقافية حتى السادسة والثلث. وفي مكّةِ

المكرّمةِ قبل بضع سنوات، حضر غازي اجتماعَ القادةِ التربويين بدعوةٍ من معالي وزير التربية والتعليم الأسبق الدكتور محمد الأحمد الرشيد فسرد القصيبي ذكرياته في المدرسة، فقدّمَ خيرَ وصفٍ لأحسن تلميذ، وكذلك أحسن تأصيلٍ لرسالة المدرّس والمربي. كان حديثُه إشارةً إلى خطّة شاملة مثيرة لتحديث وتطوير التعليم. وهكذا تجدُه دائماً مع مبادئه «تنمية للإنسان بالإنسان... تطويراً للتعليم وسيلة التنمية المعرفية والإنسانية. ثقةً في بناتِ اليوم زوجات المستقبل وأمهات الجيل الصاعد».

تأثير البحرين العميق في شخصيته وتاريخ عائلته

محمد بن جابر الأنصاري[1]

- ذكر للقصيبي أثناء مرضه أنه ينتقدُه في أشياء، وغازي يطلبُ منه أن يكتب الانتقادات، لكن الأنصاري فضّل أن يتريّثَ حتى لا يختلط الرثاء بالانتقاد.

- كان غازي يُلقي كلمةَ طابورِ الصباح بلغةٍ فصيحةٍ، وكان يكتبُ الشعرَ وهو ابن السادسة عشرة.

- القصيبي وتأثير البحرين العميق في شخصيته وتكوينه الثقافي والمعرفي، وتاريخ عائلة القصابا في البحرين.

- الأنصاري كان في القاهرة حين كان القصيبي يدرس فيها، وجميعُ أبطال رواية «شقة الحرية» من نسج الخيال.

---

(1) محمد جابر الأنصاري، «العطاء الضخم لغازي لن تفي به المراثي وحدها»، جريدة الخليج الإماراتية، 26 آب/أغسطس 2010. السدحان، المصدر السابق، ص 282 و283 و284 و285 و286 و287.

- «العصفورية» ليست مستشفى الأمراض العقلية وإنما هي البيتُ العربيُّ، بين محيط وخليج في عصر اللامعقول. في هذه الروايةِ تحرَّرَ غازي نهائياً من أسلوب الشعر، وأثبتَ أنه ناثرٌ كبيرٌ.

- منذ أشعاره الأولى إلى كتاباته الأخيرة والدولة والإصلاح من ثوابت فكره، وقد ربط القول بالفعل، واتصف ببراءةِ الذمّةِ ونظافةِ اليد.

«لعله قد حان الوقتُ للانتقال إلى دراسة غازي القصيبي وتقييم نتاجه، فالرثاءُ حالةٌ آنية. أما التقييم المستند إلى الدراسة والبحث فهو لكل المواسم، ولكل الأجيال.

لقد أحسستُ بأن الرثاء في بلادنا نوعٌ من المجاملة. وغازي بالذات تستحق ذكراه الطيبة كل إطراء، لكني تذكرت أيضاً راحلين كبيرين من فرسان الكلمة هما الطيب صالح ومحمد عابد الجابري، رحمهما الله، لم أرثهما، ولي آراء نقدية بشأنهما أبديتها، بالمناسبة، للراحل الكبير غازي على الهاتف بعد عودته العلاجية من الولايات المتحدة الأمريكية فقال لي اكتب هذه الانتقادات. فقلت إنني أنتظر مرور الوقت، كي لا يختلط الرثاء بالتقييم».

«لقد جاء غازي إلى البحرين مع والده وأسرتِه بقيَم السعودية وصلابة مبادئها، وذلك ما منحه الثبات والصلابة، لكنه تفاعل مع جديد البحرين التي كانت تنفتحُ على العصر والعالم».

«وأذكر أنه كان يُلقي خطبة الصباح في طابور الصباح لتفوّقه في اللغة العربية والإلقاء الفصيح. ولم أكن أعلم إلا بعد أن تصفّحت دواوين

شعره أنه نظم الشعر وهو في السادسة عشرة من العمر. ومنذ ذلك الوقت لم أكن في الواقع أستسيغ الشعر «الرومانسي»، لذلك لم أنجذب إلى شعره كثيراً. وكان غازي، لأسباب عائلية وسياسية، لا يستطيع البوح في حينه بحقيقة مواقفه إلا من خلال ذلك الغزل الرومانسي».

«وقد ظل غازي يتفاعل مع جديد البحرين ويتأثّر به، وهو مرتبط بقيم السعودية، موطنه الأول، وصلابة أرضه. وكما أرى، فالشخصية الجماعية لهذه المنطقة، أي الجانب العربي من الخليج، تمثّل اللقاء بين صلابة الصحراء العربية وحركية التموج الخليجي. وكانت شخصية غازي القصيبي تمثل «توليفة» بين هذين العنصرين، وذلك ما حافظ عليه في كتاباته، وطوال حياته. وثمة شواهد كثيرة في كتبه تؤكد هذه الناحية، يمكن للباحثين استخراجها. وأعتقد أنه ليس من المبالغة وصفه بأنه «قطرة ندى»» بين السعودية والبحرين، حسبما عنون الكاتب البحريني الراحل الدكتور مكي محمد سرحان، رحمه الله، كتابه عنه الذي أصدره عام 1997م».

«ولديّ رسالة بخط يده (رحمه الله)، في الفترة التي ألقى فيها محاضرته اللافتة «هل للشعر مكانة في القرن العشرين»، ورددت عليه بمقالة «أي شعر يمكن أن تكون له مكانة في القرن العشرين؟». في تلك الرسالة يعترف غازي بتواضع بأنه لا يعتبر نفسه شاعراً من الدرجة الأولى، وذلك اعتراف غير معهود في معشر الشعراء. وأنه ربما كان شاعراً من الدرجة الثانية أو الثالثة».

«وبالنسبة للرواية الأولى انشغل البعض بالبحث عن الشخصيات «الحقيقية» فيها، رغم أن كاتبها احتاط لهذا الاحتمال العقيم بالتنبيه

إلى أن: «الكاتب في القاهرة في الفترة التي تتحدث عنها الرواية. ومع ذلك فجميع أبطال هذه الرواية، وكل أحداثها من نسج الخيال، والوقائع المنسوبة إلى أشخاص حقيقيين هي، بدورها، من صنع الخيال، وأي محاولة للبحث عن الواقع في الخيال، ستكون مضيعة لوقت القارئ الكريم».

«يقول آرثر هيلبس: «إن أردتَ فهم عصرك اقرأ الأعمال الروائية التي كُتبت فيه، فالناس يتكلمون بحرية من وراء الأقنعة». وهو بذلك قد مهّد الطريق لظهور أعمال روائية أخرى في البيئة السعودية، بإمكان مؤرخي الأدب أن يتابعوها» .

«إن العصفورية في عنوان كتاب القصيبي ليست مستشفى الأمراض العقلية الشهير في لبنان، وإنما هي «البيت العربي» بين المحيط والخليج في عصر اللامعقول، الذي يعانيه العرب ويعصف بوعيهم الغائم»[1].

«في هذه الرواية تحرر غازي نهائياً من أسلوب الشعر، وأثبت أنه ناثر كبير، وهي حاجة مُلحّة للعرب في عصرنا، حيث لم يعد الشعر: «ديوان العرب»، لأن النثر أصبح منطق العصر».

«منذ أشعاره الأولى إلى كتاباته الأخيرة (رحمه الله) وهو يدعو إلى الإصلاح في ظل الدولة الحديثة. وكان الاثنان: الدولة والإصلاح من ثوابت فكره. وقد ربط القول والفعل، واتصف ببراءة الذمة ونظافة اليد في كل ما تولّاه من أعمال حكومية».

---

(1) محمد جابر الأنصاري، مساءلة الهزيمة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001)، ص 132.

قرأ روايتين في ليلة وكتب ملاحظاته

يوسف المحيميد[1]

- غازي القصيبي يكتب ليوسف المحيميد، شكراً له لأنه أدخله في عالمي روايتيه «القارورة» و«فخاخ الرائحة»، بعدما قرأهما في ليلة واحدة. وكتب ملاحظاته الدقيقة عن كل رواية، وبعث بها إلى المؤلف.

«أشكرك من الأعماق، فقد أبعدتني، يوماً وليلة، عن عالم التأشيرات، و«الكفالات» ورجال الأعمال المتنمّرين، والعمّال من كل لون وملّة، إلى عالمين مختلفين».

هكذا كان مطلع رسالة الراحل الدكتور غازي القصيبي لي منذ سنوات، وحينما يشير فيها إلى عالمين مختلفين، فهو يتحدّث عن روايتيّ «القارورة» و«فخاخ الرائحة»، ولعل ما أدهشني آنذاك، هو قدرته الفذّة على الإنجاز، فهو فعلاً استثناء، وإلا كيف يمكن أن نقرأ روايتين معاً، وفي ليلة واحدة، ثم يكتب لي رسالة خاصة، يشرح فيها تفاصيل رؤيته وذائقته تجاه هذين العملين؟».

عرف يارا طفلة ودعته لعرسها

محمد الوعيل[2]

---

(1) يوسف المحيميد، «رسالته الأخيرة»، جريدة الجزيرة، 17 آب/أغسطس 2010. انظر أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 141.

(2) محمد الوعيل، «ورحل الاستثناء»، جريدة اليوم، 17 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 152 و153.

- أول لقاء له بالقصيبي في حوار صحفي في مدينة الرياض قبل ثلاثين عاماً، ورأى يارا وهي طفلة تلعب، فاجأه غازي بدعوته إلى زواجها وكتب: «هل تذكر يارا... إنها تدعوك لزواجها الليلة».

«لا زلتُ أذكُر أوّلَ لقاء لي معه، قبل ثلاثين عاماً لإجراء حوار صحفي في منزله بالروضة - الرياض، وكان زميلنا الكريم حمد القاضي بيننا، كنّا في داره، وكانت ابنته يارا تجري بيننا وتقفز، فينظر إليها بحنان الأب، تقترب مني فأداعِبُها، متبادلاً بعض الضحكات... كنت أظنها مشاهد عادية، لكن القصيبي الإنسان لم ينس، فكتب لي في خطاب دعوته بزواجها مذكراً، قال لي: هل تذكر يارا... إنها تدعوك لزواجها الليلة».

لكن فرَسان أكبر من البحرين!

إبراهيم عبدالله مفتاح[1]

- المرة الأولى التي التقى فيها مفتاح القصيبي في جازان حينما كان وزيراً للكهرباء، وحينما طالب بأن تُمد الكهرباء إلى جزيرة فرسان وقراها، داعبه غازي وسأله: «هل لفرسان قرى تابعة لها؟»، فغضب مفتاح وأجاب: «إنها أكبر من جزيرة البحرين».

«كما أتيح لغيري - من مشاهدة مباشرة لهذا الرجل على منصة إلقاء في أمسية شعرية، أو على منبر محاضرة في قاعة فسيحة تضيق بعشاقه وبالمهتمين بفكره - من مختلف التوجّهات - حين يغني تلك

(1) إبراهيم عبدالله مفتاح، «غازي القصيبي لم يمت»، جريدة عكاظ، 20آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 205 و211.

المناسبات بأطروحاته الفكرية، ويلهب تلك القاعات باحمرار تصفيق الأكفّ التي ينصت أصحابها لما يقوله ويتحدث به... لكن المناسبة التي ما زالت عالقة بذاكرتي هي ذلك اللقاء المباشر بيني وبينه في مناسبة افتتاح مشروع كهربائي في منطقة جازان، عندما كان وزيراً للكهرباء، وكنت أحد المدعوين في ذلك الافتتاح لأجدها فرصة أحشر فيها أنفي بين الصحافيين ورجال الإعلام وأوجّه إليه سؤالاً عما إذا كان التيار الكهربائي سيمتد من جزيرتي فرسان «البلدة» إلى بقية القرى التابعة لها، وهنا كان سؤاله لي مصحوباً بابتسامته المألوفة: وهل في جزيرة فرسان قرى؟... وبدون تعقل أحسست أنه قد أثار في داخلي شعلة من الغيرة ضد جزيرة البحرين التي له فيها ذكريات وذكريات عبّر عنها في إحدى روائعه «العودة إلى الأماكن القديمة» لأجيب عليه بعبارة حادة... نعم في فرسان قرى عديدة... إنها أكبر من جزيرة البحرين... كنت -في ذلك- مدفوعاً بمعرفتي حبه للبحرين».

لا يمنح الوعود جِزافاً

محمد بن عبدالرحمن البشر[1]

- قام غازي بحل مشكلة انقطاع الكهرباء، لكنه لم يعد الناس بأن يحل المشكلة سريعاً، بل يتطلب الحل ثلاث سنوات.

- وزارة الصحة وزيارات غازي الفجائية هي التي كانت وراء تحسّن الخدمات الصحية.

---

(1) محمد بن عبدالرحمن البشر، «الدكتور غازي إلى رحمة الله»، جريدة الجزيرة، 20 آب/أغسطس 2010، انظر أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص111.

«كانت الكهرباء إحدى عناصر الخدمات التي لا بد لها من أن تكون مرادفة أو سابقة للتنمية، وكان الانقطاع يحدث بين الفينة والأخرى لا سيما في فصل الصيف. وكنت أذكر أنه لم يَعِدْ بحلّها سريعاً، لكنه أشار إلى أن الأمر يتطلب ثلاث سنوات، وعلى المواطن والمقيم أن يعرف الحقيقة، فمن غير الممكن إحضار عصا سحرية لحل مشكلة ليست قائمة فحسب بل تسابق تسارعاً في التنمية ليس من اليسير اللحاق به».

***

«وزارة الصحة التي قادها في فترة من فترات مُساهماتِه العديدة كانت إحدى المشكلات الكبيرة، فالمواطن والمقيم يحتاج إلى الكثير من الخدمات الطبية التي انبرى لها الدكتور غازي (رحمه الله) في ذلك الوقت وحقق الكثير في فترة وجيزة، ومن عاش في ذلك الوقت علم تلك الزيارات المفاجئة التي كان يقوم بها (رحمه الله)، وتلك القرارات القوية التي رضي عنها الكثير، وربما توقف عندها القليل، غير أن ما يهم المواطن حصوله على الخدمة المطلوبة، ولا شك في أن تغيراً قد حدث في تلك الفترة مقارنة بما قبلها».

اشتغل في الوزارة بحلم الفنان

عبدالله بن بخيت[1]

- «شقة الحرية» كانت ثورة حقيقية في مفهوم الأدب في المملكة.

---

(1) عبدالله بن بخيت، «الرجل الذي مات في الحلم»، جريدة الرياض، 18 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص118.

- غازي عمل في وزارة العمل بحلم الفنان، أغراه العنوان كمعركته الأولى التي خاضها بلا راية. ورومانسيته ذهبت به أبعد من مهارته الإدارية.

«لتمضي الأيام إلى أن أصدر روايته «شقة الحرية». قرأتها أكثر من مرة. اهتزت المقاومة. اكتشفت بأني أمام أديب كبير. سقط من خيالي المسؤول. أول رواية سعودية ناضجة. ذكّرتني بروايات الواقعيين كبلزاك. ليست عملاً أدبيا، ولكنها ثورة حقيقية في مفهوم الأدب في المملكة. كان الجو العام أقرب إلى روايات جيمس جويس (تيار الوعي)».

«قرر أن يكتب من خلال هذه الوزارة ما لم يكتبه العرب في تاريخهم. ملحمة كبرى ينافس بها الإلياذة لهوميروس. الشعر والرواية في مجلد واحد. كانت ستكون بعنوان السعودة. أغراه العنوان. عنوان شاعري جميل كمعركته الأولى التي خاضها بلا راية وانتصر. عنوان اخترعه غيره. أول الأفخاخ القاتلة التي وقع فيها... رومانسيته ذهبت به أبعد من مهاراته الإدارية. اشتغل في الوزارة بحلم الفنان. اصطدم بأعتى قلاع الواقعية: تصارع مع رجال الأعمال والمتنفذين. القصيبي لم يهزم في حياته. الرجل الذي قدرُه النجاح إذا دخل معركة لا يريد أن يخرج منها مهزوماً يكون خياره الوحيد فيها الموت».

لا تعنيه الانتخابات الأمريكية

علي بن شويل القرني[1]

- كان القصيبي أول سفير سعودي ينظم الديوانيات، وأربعائية السفارة في لندن كان يحرص عليها السفراء وأركان الملحقيات والمكاتب السعودية التابعة لها.

- لم يكن غازي مهتماً بنتائج الانتخابات الأمريكية، لأنه لم يكن له دور فيها. ولهذا كان يحافظ على برنامجه اليومي ويأوي إلى فراشه باكراً.

- غازي بدعابته يرشح سعودياً من السفارة ليحضر برنامجا على قناة بريطانية ضيفها شخص قادر على أن يبيع الرمل على السعوديين!

«وأحسب أنه أول سفير سعودي نظّم مثل هذه الديوانيات، وحالياً أصبحت بتوجيه ملكي جزءاً من لقاءات منتظمة يحرص عليها السفراء وأركان الملحقيات والمكاتب السعودية التابعة لها... في محاولة لفتح الحوار واستقبال ومتابعة هموم وقضايا ومشاكل الجاليات السعودية في الخارج... وفي لندن كان آخر لقاء بيني وبين الدكتور القصيبي محاولته في إثنائي عن العودة إلى الجامعة، ورغبته التي ألحّ فيها أن أبقى هناك، حيث كان يحتاجني في إدارة إحدى الجهات التابعة للسفارة في لندن... ولكنني اعتذرت منه وقدّرت ذلك كثيراً».

---

(1) علي بن شويل القرني، «غازي الذي غزا.. البحث عن ذكريات»، أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، 120 و121 و122.

«وموقف آخر... عندما كنتُ مَعه في لندن... سألتُه ذات مرة في ليلة من ليالي الانتخابات الأمريكية عن كونه سيسهر حتى يعرف من سيفوز في تلك الانتخابات... ولكنه صدمني عندما قال إن الأمور التي لا يكون لي دور فيها - وكان يقصد الانتخابات الأمريكية - لا أحرص على انتظار نتائجها... فليس لي أي دور في التأثير عليها... وقال بأن نتائج الانتخابات الأمريكية لن تؤثر على برنامجه المعتاد ومواعيد نومه...».

«وأخيراً، وفي لندن أيضاً... أحال لنا بالمُلحَقية الثقافية السفير غازي القصيبي خطاباً من إحدى محطات التلفزة البريطانية يطلبون فيه حضور شخصية سعودية لبرنامج تلفزيوني... أحد ضيوفه شخصية ذات قدرة عالية في التسويق، ويستطيع أن يسوق أي شيء، بما في ذلك بيع الرمال على السعوديين... وتشاورنا في الموضوع، ولكن قرّرنا عدم المشاركة في البرنامج ربما خشية أن تعود الشخصية المشارِكة، ومعها كيس من الرمل قد ابتاعته من ذلك المُسوّق التلفزيوني... وقد أحالها الدكتور غازي إلينا للطرافة من ناحية، وللفائدة الإعلامية من مثل هذه الموضوعات».

شارك في سلام أنهى حقبة كئيبة

عبدالله مناع[1]

- كان غازي مستشاراً لوفد السلام إلى اليمن عام ١٩٦٧ لإنهاء حقبة كئيبة من الخلاف العربي بين السعودية ومصر، حيث بقي هناك ثلاثة شهور.

---

(1) عبدالله مناع، «وداعاً غازي فارس الكلمة الشاعرة»، جريدة الجزيرة، 31 آب/أغسطس 2012. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 124 و130 و129 و132.

- لقاؤه مع غازي ومعاتبته له على تعليق القصيبي المنتقد على تقرير منظمة العفو الدولية عن حقوق الإنسان في السعودية.

- موقف غازي مع شخص تعرف إليه، وذكر أن غازي أحد أساتذته، وغازي ينكر ذلك بشدة، لأن الرجل كان أكبر من عمر القصيبي.

«أصبح المُدرّس الجامعي... الشاعر والأديب وخريج «حقوق» القاهرة - ليكون «مستشاراً» لرئيس الوفد السعودي (الشيخ عبدالله السديري) إلى «مؤتمر السلام» في مدينة حرض اليمنية في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1965م، الذي ولد من رحم «اتفاقية جدة» في آب/ أغسطس من عام 1964م... بعد مؤتمريْ قمة «الإسكندرية» فـ«مؤتمر أركويت» بالسودان، الذي هندسته ديبلوماسية محمد أحمد محجوب، رئيس وزرائه... الناجعة، ليفض أسوأ نزاعات عقد الستينات العربية، ثم أتمته بـ«مؤتمر» القمة العربي «الرابع» في آب/أغسطس من عام 1967م في الخرطوم... لطيّ صفحة ذلك الخلاف المصري السعودي المدمر، الذي قادتنا توتراته في غفلة من العقل والوعي إلى كارثة حزيران/يونيه من عام 1967م... التي ما زال العرب جميعاً يعانون من آثارها إلى يومنا هذا».

«إذا صفت له الدنيا كتب شعراً... وإذا باغتته رماح الغدر في ظهره ووجهه كتب شعراً، فقد كان يكتبه ويتنفسه ويُغنيه... طوال الوقت، ولذلك كتب الكثير الكثير منه... ولكنه استبعد نصفه الذي لا يليق، والذي يخشى منه، والذي جامل به والده... ونشر نصفه -أو أقل- في هذه الأحد عشر ديواناً التي تركها، فكان أجملها أوّلهم «أشعار من جزر اللؤلؤ»، وكان أعمقها رؤى وفلسفة... تاسعهم «عقد

من الحجارة»، وكان أعظمها رابعهم «معركة بلا راية»، التي ظن قُرّاؤه... بأنه عن معركة حزيران/يونيه 67م والهزيمة العربية... بينما كان الديوان الذي حمل عنوان قصيدته الأولى «معركة بلا راية»، لا يتحدث عن معركة حزيران/يونيه... بل يتحدث عن «ملحمة الإنسان» مع «الحياة»، وعن شعور كئيب استبدّ بـ«الشاعر» في إحدى الأماسي اللندنية الشتوية القارسة البرد... من أنه لم يفعل شيئاً، ولم يقدم شيئاً للحياة أو للناس و«أن أيامه لم تكن سوى معركة بلا راية»، لقد كتب القصيدة... قبل ستة أشهر من معركة حزيران/يونيه».

«التقيته... في أول وأطول لقاءين تجمعاني به إبان سفارته في لندن (الأول... في صالون مكتبه، والثاني في ندوته «الربوعية» المتوهّجة بضيوفها وحضوره الطاغي الطلق). كنت قد سبقته إلى مكتبه على موعد إنكليزي... وفي نيّتي أن أعتب عليه موقفه المتشدد من تقرير منظمة العفو الدولية عن الأوضاع في المملكة، وقد كان سلبياً بالنسبة للقيادة آنذاك، ليقبل بعدها بهنيهات من الدقائق مرحباً... قائلاً: «سبحان الله... أنا أخب في شحومي ولحومي وأنت ما تزال على رشاقتك»...؟ فقلت أجامله: ولكنها شحوم ولحوم تمتلئ بخفة الظل والروح!! فلم نكد نجلس إلا وأقبل علينا الشيخ عبدالله النعيم... وبرفقته صديق مشترك له وللدكتور غازي، ليتحدث هذا الصديق (ومعذرة أن نسيت اسمه... بكل أسف)... مُذكّراً الدكتور غازي بـ«زمالته» له في المنطقة الشرقية، فهز الدكتور رأسه... مؤيداً، ثم بـ«زمالته» له في الرياض... فهز الدكتور رأسه ثانية، وثالثة وهكذا... إلى أن قال له: وأظنك درّستني أحد مناهج كلية التجارة عندما كنت عميداً لها؟ فقال له الدكتور غازي: لا... لا أذكر!! فقد كانت «صلعة» هذا الصديق المشترك أكبر من أن تحمل الدكتور غازي على تأييد ما

قاله... حتى ولو كان صحيحاً، إذ إن ذلك سيعني لنا... بأن «غازي» قد قارب الثمانين من عمره على الأقل».

يستَشير فريقَهُ ولا يجحد فضل زملائه

مازن صالح[1]

- القصيبي كان يفرح بإبداء الآراء وينسب الفضل لأهله، ويشيد بعمل زملائه.

«عملتُ معه (رحمه الله) كعضو في المجلس الاستشاري لوزير العمل، وقد سحرني وسحر كل من في المجلس أسلوبه القيادي الإداري الفذ، فكان كثير الإصغاء، منصفاً بتوزيعٍ فرص إبداء الرأي للجميع والاستماع لهم، فأينعت المشورة معه، إذ مثُل استعمالها، وكان (يرحمه الله) لا يُؤثِر نفسه عمّن سواه، وينسب الفضل بالعمل لأهله، ويجد في ذلك متعة وهو يشيد بعمل زملائه وأبنائه، كما فعل ذات مرة وأشاد بالمؤسسة العامة للتدريب. ممثلة بمحافظها».

عفا عمن أساء إليه

عايِض القَرَني[2]

- أول لقاء بين القرني والقصيبي بعد خلاف التسعينيات كان في عزاء الملك فهد، وغازي يداعبه، ويقول:

---

(1) مازن صالح، «إلى جنة الخلد يا غازي»، جريدة المدينة 18 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 89.

(2) عايض القرني، «رحم الله غازي القصيبي»، الشرق الأوسط 17 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 82.

وَقَد يَجمَعُ اللهُ الشَّتيتَين بَعدَما
يَظُـنَّانِ كُلَّ الظَـنِّ أَن لاَ تَلاَقِـيَا

«... ثم دارت بنا الأيام وفي وفاة الملك فهد بن عبدالعزيز (رحمه الله) ذهبتُ إلى قصر الأمير سلمان بن عبدالعزيز لسُنّة العزاء، فلقيتُ الدكتور غازي القصيبي عند الباب فسلّمت عليه وصافحته واحتضنني وهو يضحك ويقول بيت الشعر:

وَقَد يَجمَعُ اللهُ الشَّتيتَين بَعدَما
يَظُـنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَن لاَ تَلاَقِـيَا»

يفسر القرآن ويقضي حاجة المُعنّفات

حمد القاضي[1]

- يروي حمد القاضي عن غازي القصيبي توسّطه للإصلاح بين امرأة وزوجها هجرها بعد أن تزوج ثانية، ومنع عنها وعن أبنائها النفقة، ومنع أبناءها من لقائها، وتشفّع القصيبي لها لكي تحصل على دعم مالي كبير من أحد المسؤولين النافذين، وقيام غازي بزيارة زوجها في حي شعبي في الرياض، ونصحه للرجل حتى اقتنع الرجل، وقام بالإنفاق على المرأة وعلى أبنائها.

- تديّن غازي وحرصه على الخشوع في الصلاة، وينقل عن الخويطر أن غازي كان يشتغل على تفسير القرآن الكريم قبل وفاته، وقرأ عشرات التفاسير.

---

(1) حمد القاضي، «غازي القصيبي طبتَ حيّاً وميتاً، جريدة الجزيرة 16 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 79 و80.

«سأذكر موقفاً واحداً من مواقف كثيرة أعرفها... لقد كتبتُ له ذات مرة عندما كان وزيراً للصناعة عن امرأة هجرها زوجها بعد ارتباطه بأخرى، حرمها من رؤية أولادها، فضلاً عن عدم إنفاقه عليها وعلى أطفاله حتى أصبحت لا تستطيع تأمين الحليب لهم، وما أن وصلته رسالتي وإذا به يتصل بي ليستوفي بعض المعلومات، وبعدها لم يكتف بمساعدة مالية قدّمها، وبإكرامية كبيرة شفع فيها لدى أحد كبار المسؤولين، بل تبنّى قضية «معاناتها» بسبب عدم رؤية أولادها، فبذل جهده للوصول إلى زوجها القاسي - بكل سرية - ووسّط شخصاً يعرف هذا الزوج... ولما لم تنجح هذه الوسائل سأل عن منزله، وذهب إليه شخصياً في إحدى حارات الرياض الشعبية ليبين له خطأ تصرفه، ويُقنِعُه بجعل الأبناء يرون أمّهم... وتأثر هذا الزوج الذي ظلم امرأته الأولى بهذا الموقف واستجاب لنداء ورغبة وزيارة (الإنسان) غازي القصيبي (رحمه الله)».

«أمر آخر قد لا يُعرف عنه وهو قوة إيمان هذا الراحل وشدّة ارتباطه ببارئه... يذكر رفيق دربه د. عبدالعزيز الخويطر أن د. غازي عندما يدخل إلى الصلاة يعيش فيها خشوعاً لرب العالمين (رحمه الله)، كما روى د. الخويطر في مقاله الذي رثاه فيه أن آخر عمل فكري كان يشتغل عليه هو «تفسير القرآن الكريم»، وقد رجع إلى عشرات التفاسير... وكان أكثر تفسير شده هو تفسير القرآن الكريم للشيخ عبدالرحمن السعدي (رحمهما الله جميعاً)، وأرجو أن يصدر هذا السفر الجليل».

غازي ينطق الشهادة قبل السقوط في المحيط

سليمان السليم[1]

- أكبر الصدمات في حياته حين أخبره الأطباء بعد خروجه من غرفة العمليات أن أورامه سرطانية.

- كان سليمان السليم ومحمد صالح الشيخ، ومحمد كانو، وخالد القريشي من رواد شقة القاهرة، لكن الشخصيات في رواية شقة الحرية كاريكاتيرية مبالغ في صفاتها، وقد تكون كل واحدة منها خليطا من تلك الأسماء.

- في سبيل الإصلاح والتنمية والتطوير استخدم غازي كل الوسائل والقدرات البلاغية حتى تقبيل الرؤوس لتأمين الأراضي والاعتمادات المالية، والاستثناء من القيود المالية، وفي كل ذلك كان نظيف اليد، متجنباً للشبهات.

- وهم طلاب في عام ١٩٦٤ في رحلة في سانتا مونيكا على المحيط الهادي كادت السيارة أن تقع في المنحدر لتهوي في المحيط، (التفتَّ غازي إلى الخلف ممسكاً بنظارتيه وهو يتلو الشهادتين).

«فقد زاملْتُ غازي طالباً في الجامعة نفسها في القاهرة، ولوس أنجلس، وفي عضوية هيئة التدريس في قسم العلوم السياسية بجامعة الرياض (الملك سعود حالياً)، وفي مجلس الوزراء منذ عام 1975 حتى خروجه من الوزارة عام 1983. واستمر التواصل بيننا بعد ذلك

---

(1) سليمان السليم، «أعمارنا بالقصيبي عواري»، أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 48 و49 و50.

إلى أن قابلته مقابلتي الأخيرة في البحرين، بعد عودته من الولايات المتحدة، حيث أخبرني أن من أكبر الصدمات في حياته كانت حين أخبره الأطباء حال خروجه من غرفة العمليات أمام حرمه وأبنائه بأن أورامه سرطانية. لم تكن تنقصه الشجاعة في مواجهة علّته، ولكن كل همه كان الرأفة بأعزائه المتحلقين حوله».

«وحين توجّه غازي إلى الرواية أطلقه ذلك من قيد القصيدة بقوافيها وأوزانها. كان زملاؤه في السكن بالقاهرة محمد كانو ومحمد صالح الشيخ، وكان كاتب هذه السطور وخالد القريشي من رواد تلك الشقة. وقد قيل ما قيل من إلصاق شخصيات «شقة الحرية» بهذه الأسماء أو بعضها، والحقيقة أن شخصيات الرواية ما هي إلا شخصيات كاريكاتيرية مبالغ في صفاتها، وقد تكون كل واحدة منها خليطاً من هذه الأسماء».

«ففي كلية التجارة التي تولّى عمادتَها، ثار غبار المناوشات التي وصفها بصورة ساخرة الزميل الدكتور أسامة عبدالرحمن في كتيبه «في إقليم أرخبيل القمر». كما كان عليه في وزارة الصناعة والكهرباء الدخول في معركة بيروقراطية للحصول على الغاز لمشاريع «سابك»، ثم مجابهة أزمة الكهرباء، مثلما كان على كاتب هذه السطور مجابهة الأزمات التموينية كوزير للتجارة».

«وفي معاركه تلك لم يتوانَ عن تسخير قدراته البلاغية، والإقناعية، بما في ذلك تقبيل الرؤوس لتأمين الأراضي، والاعتمادات المالية، والاستثناء من القيود المالية، وفي كل ذلك كان نظيف اليد، متجنّباً للشبهات».

«في عام 1964 كنا مجموعة من الطلبة، تضم غازي وخالد القصيبي، متوجّهين بالسيارة في نزهة إلى مرتفعات سانتا مونيكا المُطلّة على المحيط الهادي. وفجأة فشلت كوابح السيارة وهي في منحدر حاد، وقرب تقاطع، وهي متّجهة نحو المحيط، وأيقنا أنها النهاية. لولا أنها توقفت بعد حشرها بين سور ونخلة، ولا أنسى وجه غازي حين التفت إلى الخلف، وهو مُمسِك بنظارته السميكة وينطق الشهادتين.

بعد أن جلسنا على الرصيف ننتظر من ينقلنا، مر بنا أحد الأميركيين، وسأل: من كان في هذه السيارة؟ أجبنا: نحن. فقال: أنتم؟! تهزأون بي؟! أما شركة التأمين فلم تصلّح السيارة، بل عوضتنا عنها كاملة.

منذ ذلك الحين يا غازي، ونحن كما يقولون «نلعب بالربح».

«أول بدئه الدراسة في جامعة جنوب كاليفورنيا اختار دروساً في التدريب على سرعة القراءة. وكان إذا دخل المكتبة ببنطاله الذي كان يتسع أو يضيق حسب وضعه مع «الريجيم» لا يخرج إلا بعد ساعات طوال. وعندما طلب منه التوجّه إلى لندن سفيراً، كان من أهم طلباته أن لا يتوقع منه الاستقبال في المطار إلا في الحالات الخاصة. كما خصص يوم الجمعة للزوّار السعوديين للصلاة، وتناول الغداء في السفارة».

أحبّ غازي حتى نحل جسمه لفراقه

عبدالعزيز السالم[1]

- **أصيب بالاكتئاب ونحول الجسم بعد وفاة غازي.**

---

(1) عبدالعزيز السالم، «فقيدُنا غازي المحبوب»، جريدة الجزيرة، 18 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، مصدر سابق، ص31 و32.

- غازي كان يُداعِب السالم باسمه المستعار «مسلم المسلم».

«صُدِمتُ بوفاة صديقنا الرائع خُلقاً وأدباً وعِلماً، الدكتور غازي بن عبدالرحمن القصيبي، لقد هزّني الحدث المُحزن من أعماقي، واندَاحتْ فِي ذهني صورة هذا الصديق المتألّق، واحتشدتْ في عيني الدموع، وأصبتُ باكتئاب شديد وحزن عميق انعكس على مظهري وسلوكي، فقد كان النبأ فاجعاً لي ولكثيرين ممن يعرفون الراحل النبيل.

وله مشاركات إنسانية ومواقف نبيلة لا يعلن عنها، ولا يُسمح بنشرها.

وعلاقتي بالراحل الكريم قديمة متجددة، وكانت تعليقاته هادفة ومحببة إلى النفس، من ذلك أنه (رحمه الله) كان يُمازِحني عندما كنتُ أكتب تحت اسم مُسلِم بن عبدالله المسلم، فتجيء تحيّته لي: سلام عليك أيها المُسلِم».

كان يديم القراءة في علوم القرآن

عبدالعزيز الخويطر[1]

- إيمان غازي وتديّنه وتعمّقه في دراسة الشريعة، واهتمامه بكتابة «تفسير للقرآن» قبل وفاته، وقد أعجبه من بين التفاسير تفسير الشيخ عبدالرحمن بن سعدي.

«كان مُديماً على قراءة كتب الدين، وبالذات علوم القرآن، والفقه وأصوله، وإذا ناقش في الدين عرفت مدى عمقه في الدين،

---

(1) عبدالعزيز الخويطر، «غازي أيها الصديق وداعاً»، جريدة الجزيرة، 17 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 28.

وحرصه على الاستزادة، ولعلّي أقول سراً هنا، لقد بدأ منذ سنوات في تفسير القرآن الكريم، بعد دراسة وافية ومتأنية لتفاسير القرآن، وقال لي: إنه وجد أفضلها تفسير الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي: «تيسير الكريم المنّان في تفسير كلام المنّان».

فانوس في مكتبه ليذكر الماضي القريب

عبدالرحمن الهزاع[1]

- كان يحتفظ في مكتبه بفانوس كي يذكره بأن لا عودة إلى الوراء.

«يُذكَر عن المرحوم القصيبي أنه كان يحتفظ في مكتبه عندما كان وزيراً للصناعة والكهرباء بفانوس كي يذكره بأن لا عودة إلى الوراء، وأن مصابيح الكهرباء يجب أن تضيء كل بيت».

يرضى بالسبّاك زوجاً لأخته بشرط أن يشوفها

عبدالله بن ربيعان[2]

- من روايات الكبار: كانت الكهرباء تنقطع بشكل متكرر، وفي الصيف خصوصاً فاختفى كل ذلك بعد خمسة أشهر من تولّيه الوزارة.

- زياراته الفجائية في أثناء تولّيه وزارة الصحة، وتنكّره بزي شيخ كبير السن رث الثياب في مستشفى بقرية.

---

(1) عبدالرحمن الهزاع، «فقدنا أديباً وابن وطن»، جريدة عكاظ 17 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 168.

(2) عبدالله بن ربيعان، «غازي فصل في كتاب التنمية»، جريدة الحياة 20 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 158 و159 و160 و161.

- الهجوم على غازي بعد كلمته في منتدى جدة الاقتصادي، وردّه على أحد الصحفيين وصفه بالبعبع.

- سُئل إن كان يرضى بالسبّاك أن يكون زوج أخته، فأجاب أنه شخصياً يقبل بالسبّاك زوجاً لأخته، بشرط يشوفها أولاً.

«فمما يذكره لي أحد كبار السن ممن عاصروا تولّي غازي لوزارة الصناعة والكهرباء، أن كثيراً من حارات الرياض كانت موصولة بسلك كهربائي واحد يخرج من منزل إلى آخر. وكانت الكهرباء كثيراً ما تنطفئ نتيجة للتحميل الزائد، وبعد مجيء غازي بخمسة أشهر، تم حفر الكيابل، ووصلت الكهرباء إلى كل بيت، وما زالت كثير من الكيابل الأرضية تعمل منذ عهد غازي إلى اليوم، ومما يذكر عنه أنه كان يرافق العمال في أعالي جبال الجنوب ومنحدراتها، حتى استبدلت ربات البيوت الطينية السرج والفوانيس بمصباح أديسون، وقلوبهن تلهج بالدعاء لغازي. وعلى رغم قصر مدته التي قضاها في وزارة الصحة، إلا أنه أول إداري سعودي يقوم بجولات فجائية متنكّراً، ليرى استقبال الأطباء وعنايتهم، ومما يذكره أحد أقربائي أنه زار مستشفى شقراء متنكّراً في زي رجل كبير السن رث الثياب، ولم يجد في الطوارئ طبيباً مناوباً، ولا إدارياً مشرفاً، فأصدر قراراً بفصل ومعاقبة كثير من الأطباء والطاقم الإداري في المستشفى».

«ومما أذكره أن غازي هوجم هجوماً عنيفاً بعد كلمته في منتدى جدة الاقتصادي، ووصفه أحدهم بالـ«بعبع»، وهو ما أغضبه، ليرد بقوله: «إن أردتني أن أجيبك فلا تصفني بالبعبع، والألفاظ العربية واسعة»، ثم هاجمته سيدة مُحامية من الحضور، فردّ ضاحكاً: «إنه من الصعوبة أن تجادل امرأة، ومن الجنون أن تجادل محامية».

«وسأله أحد الشباب إن كان هناك من يقبل أن يزوج أخته سبّاكاً، فرد غازي إنه شخصياً يقبل أن يزوّج أخته سبّاكاً «بشرط يشوفها أولاً»، وضحك الجميع ودوّت القاعة بالتصفيق لحضور وبديهة غازي».

وزير يُهنّئ بالمواليد ورئيس يزور العمّال في بيوتهم

عبدالله المغلوث[1]

- كان يهدي بطاقة تهنئة بالمولود، موقّعة باسمه، مع صورة للطفل الوليد.

- كان وراء الشهادات التي تمنحها الوزارة للمتبرعين بالدم، ومنح ميدالية الاستحقاق لمن تبرّع عشر مرات.

- القصيبي هو من كان وراء التوجيه بوضع الآية القرآنية ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: 80) في المستشفيات.

غازي في مؤسسة الخطوط الحديدية، يشجع عاملا على الإنتاج ويساعده بالمال، ويزوره في بيته.

«بدأت علاقتي بالدكتور غازي القصيبي منذ ولادة شقيقي الأصغر ماجد. فعندما كان الراحل وزيراً للصحة بادر بإهداء أهل المواليد الجدد بطاقة تحمل توقيعه مع صورة للطفل الطازج. كانا والديّ من الآباء المحظوظين الذين حصلوا على إهداء الوزير الممهور بتوقيعه. هذا الإهداء كان له أثر بالغ في نفوسهما حتى اليوم.

(1) عبدالله المغلوث، «غازي القصيبي وزير اللمسات الشخصية»، جريدة الوطن السعودية، 21 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 155 و156.

كان خلف الشهادات التي يوقعها وزير الصحة لكل متبرع بالدم. وأنه هو الذي ساهم في إعطاء كل متبرع أكثر من عشر مرات ميدالية الاستحقاق. واكتشفت لاحقاً أنه هو من وجّه بوضع الآية الكريمة ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ في كل غرفة من كل مستشفى. لكن أعظم لمساته الإنسانية الشخصية لم أكتشفها عبر كتبه، بل من خلال حوار جمعني مع أحد محبيه قبل نحو سبع سنوات في الدمّام. هذا الشخص فني متقاعد في المؤسسة العامة للخطوط الحديدية. وقد روى لي موقفاً نبيلاً قام به الراحل معه. يقول الفني إن الفقيد استدعاه خلال إدارته للمؤسسة على انفراد بسبب انخفاض مستوى إنتاجيته. يتذكّر الفني جيداً أن القصيبي استقبله بحفاوة بالغة وابتسامة هائلة. وافتتح الحوار معه بقوله: «أنا خادمك. ماذا تريد الآن؛ لتعود لنا فارساً لا يشق له غبار؟». حينها انهار الفني أمامه قائلاً إن ظروف زوجته الصحية هي التي استنزفت ميزانيته وتركيزه. ووعده أن يعود كما كان فور أن يتجاوز هذه الظروف الطارئة. احتضنه حينها الراحل ثم انفضّ اللقاء. لم تمض سوى أيام قليلة على لقائهما في المكتب حتى زاره القصيبي في المنزل دون سابق إنذار. ترافقه باقة زهور ومبلغ عشرة آلاف ريال. تأثر الفني كثيراً بهذه، الزيارة وما فيها. وعندما رزق بطفل بعد عامين من مرور هذه الحادثة لم يجد اسماً أفضل من غازي لينادي به طفله، ويوثّق به موقفاً إنسانياً نبيلاً».

مستشفى القطيف ودور غازي

نجيب الخنيزي[1]

- سعي غازي لإنشاء مستشفى مركزي عام في القطيف، وتوفيره الميزانية المخصصة له.

«يستحضرني موقف للدكتور غازي القصيبي حين كان وزيراً للصحة لا يمكن أن ينساه سكان محافظة القطيف مطلقاً. كانت المحافظة التي تضم عشرات البلدات والقرى المتفاوتة الحجم، ناهيك عن ما يجاورها من هجر وبادية التي يقطنها مئات الألوف من الناس، تفتقر إلى مستشفى مركزي حديث. كان المستشفى العام السابق انتهى عمره الافتراضي منذ سنوات سواء في مبناه وقدرة استيعابه، أو في أقسامه وتجهيزاته المتوفّرة، ورغم محاولات الترقيع المستمرة غير إن ذلك لم يمنع من انهيار بعض أقسامه... تحمّس الدكتور القصيبي لهذا المطلب المُلحّ والحيوي وعمل على إدراج بناء مستشفى مركزي في القطيف ضمن مشاريع الوزارة، وقد أقر ذلك في الميزانة المخصصة للوزارة، غير أن وجود الأرض المناسبة لإقامة المستشفى لم يكن متاحاً لوزارة الصحة. كانت هناك أرض مناسبة، لكن ملكيتها تعود لوزارة الشؤون البلدية والقروية والإسكان. حين علم الدكتور غازي القصيبي بذلك لم يتردد في طلب الحصول عليها من وزير الشؤون البلدية آنذاك سموّ الأمير متعب بن عبدالعزيز الذي تجاوب سريعاً مع الطلب».

---

(1) نجيب الخنيزي، «هل تموت النخل في غياب غازي القصيبي»، عكاظ، 21 آب/أغسطس 2010.
أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 217.

يهتم حتى بصغار الشعراء

أحمد عايل فقيهي[1]

- القصيبي يعتب عليه أنه ترك الشعر واتجه إلى الكتابة.

«لقد أتيحتْ لي فُرصة الالتقاء بالقصيبي أربع مرات فقط، الأولى قبل أكثر من عشرين عاماً، وكانت في جيزان عندما جاءها مفتتحاً بعض المراكز والمستوصفات الصحية بوصفه وزيراً للصحة... وكنتُ حينها أكتب وأنشر قصائدي ومقالاتي في مجلة «اليمامة»، وقد سأل عني الدكتور عبدالرحيم عقيل، مدير عام الشؤون الصحية في جيزان (رحمه الله)، وفاجأني وأربكني سؤاله عني... جاءني صديق ما زال حيّاً يُرزق، هو الدكتور عبدالوهاب عايش، وقال لي: القصيبي يريد أن يراك... وذهبت إليه... فإذا بي أمام غازي القصيبي، وسألني عن الشعر ووجدته مُتابعاً لما أكتب.

أما اللقاء الثاني فقد كان في ملتقى «عكاظ»... قبل عدة سنوات.

فيما كان اللقاء الثالث في الرياض، حيث ألقى محاضرة باسم «ثقافة الثقافة»، على هامش مؤتمر المثقفين السعوديين، وبعد إلقاء محاضرته تلك قام بالسلام على الكثيرين ممن حضروا تلك المحاضرة، وعندما أقبلت للسلام عليه قال باسماً: أهلا بـ«عكاظ»، أما اللقاء الأخير فكان في جيزان أيضاً، حيث جاء مع مجموعة من الوزراء لتدشين بعض المشاريع.

---

(1) أحمد عايل فقيهي، «القصيبي الواحد المتعدد»، عكاظ،21 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 225 و226.

وقد توجهت للسلام عليه، فإذا به يرحب بي ويسأل: لماذا هجرت الشعر، وقال: لقد بُشّرتُ بك شاعراً منذ عدة سنوات... لم أعد أراك إلا كاتباً، عُدْ إلى الشعر...

كان ذلك هو اللقاء الأخير على أمل أن ألتقيه في مكتبه في جدة في فترة الصيف».

يدعو القهوجي القديم لعرس ابنته ويمتنع عن الهجوم على خصومه

عبدالوهاب الطريري[1]

- شيخ كبير السن يشكو من وضعه ويشرح حاجته لإجراء عملية طال انتظارها، والقصيبي يقول له: «أنت أبونا والحق أنك ما تتعنّا وتجي»، وأنهى مشكلة الرجل في الجلسة نفسها.

- جارالله، المستخدم المتقاعد الذي كان يصب الشاي في مكتب غازي، تلقّى دعوة من غازي بعد انتقاله إلى وزارة أخرى لحضور زواج ابنته يارا.

- امتنع عن التعليق على العودة والحوالي وهم في السجن بعدما سئل عنهم ووضح أنهم في السجن لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

---

(1) عبدالوهاب الطريري، «هم كشفوا سرك يا غازي»، الحياة 21 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 227 و229.

«... كان ذلك قبل نحو من 30 سنة، وكان شاباً بسيطاً في تعليمه إلى قريب الأمية، بسيطاً في حاله إلى حد الفقر، بسيطاً في تعبيره؛ فهو مباشر غير متكلّف، جمعني وإياه غرفة الألم وسرير المرض في مستشفى الملك عبدالعزيز الجامعي بعد أن أجرى كل منا عملية جراحية. وكنا ننظر إلى التلفزيون في غير كبير اهتمام أو متابعة. كانت نشرة الأخبار، وأطل من الشاشة حتى ملأها وجهه الواسع، فلما رآه صاحبي، وكان مضطجعاً فجلس، جعل يدعو ويثني بلهجته الجنوبية وأدائه العفوي. كان يتحدّث بإعجاب صادق، ويدعو بإخلاص عميق، فسألته: أتعرفه؟ قال: نعم. أنا دخلت عليه في مكتبه في الوزارة، ثم بدأ يقص خبره فقال: كان عمي مريضاً، كبيراً في السن، يُراجع المستشفى في الديرة، وطال تردّده لإجراء العملية المقررة له، وساءت حالته فقال لي: اذهبْ بي يا ولدي للوزير، فذهبنا ودخلنا عليه بسهولة ويسر، ولما رأى عمي ورأى شيبته وحالته قام وجلس إلى جنبه، وقال له: «أنت أبونا والحق أنك ما تتعنّا وتجي... وأنهى الموضوع في نفس الجلسة».

«... يوم علمت خبر الأخ جارالله (رحمه الله)، وهو من معارفي وأهل بلدتي، وكان أحد المستخدمين في مكتبه، وكانت مهمته سكب أقداح الشاي للوزير وزوّاره، وكان يتحدث عنه وهو الذي خالط من خلال عمله مسؤولين كثُر في مستوى هذا المنصب، فلا يذكر أحداً قبله في إنسانيّته وكريم تعامله. كان جارالله يتحدّث عنه ويقول: «هذا الشخص الذي لا يمكن أن يُنسى!! لم يكن يعاملنا كمراسلين أو مستخدمين، ولكن كزملاء في العمل!! كان كثيراً ما يوزع راتبه

على المستخدمين في مكتبه، ولا يأخذ منه شيئاً». وبعد أن غادر الوزير الوزارة، وانشغل بهمومه الأخرى التي كانت تنتظره، وأحيل جارالله إلى التقاعد فوجئ برسالة تصله منه، فإذا هي بطاقة دعوة لحضور زواج ابنته يارا!! وكان موقفاً فعل فعله في نفس الرجل، وشعر أن هناك رابطة أكبر من العمل تربطه بالوزير الإنسان، حيث ذكره على بُعد العهد، وبُعد الدار، وتعاهده في مناسبة هي من خاصة مناسباته، فتذكّرت ورأيت كيف كان يطبق حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن حسن العهد من الإيمان». ثم جاء بعد ذلك الموقف الذي جعلني أشعر بأن مساحة الإعجاب تتحوّل إلى إكبار، ورأيت هذه الإنسانية ترتدي رداءً من النُبل والمروءة في موقف عجيب نادر، ولئن كانت المواقف السابقة يزيّنها أنها مواقف سرّ وخصوصية، فإن هذا الموقف موقف يزيّنه العلن والتعالُن، وكان ذلك وهو سفير في لندن بعد أن اتخذت الدولة خطوتها في سجن بعض المشايخ والدعاة الذين كان له معهم خصومة فكرية، تحوّلت إلى سجال محاضرات وكتابات وردود. فسُئل عنهم بُعَيْد إيقافهم في لقاء مع الطلبة السعوديين، وسُئل عن رأيه في هذه الخطوة، وكانت الفرصة مواتية لمن أراد أن يتشفّى من خصومه، فينشب أنيابه وأظافره، وإلا فلا أقل من أن يبحر في اتجاه الريح؛ فهو ممثل السياسي، ولا حرج عليه أن يشرح مسوّغات القرار! لكن الرجل كان أنبل من ذلك، وأكبر من كل ذلك، فلم يكن الحاضر فيه منصبه ولا خصومته. ولكن نبله ومروءته وإنسانيته فأجاب على الفور: لا يصح أن نتكلم عنهم ونحن هنا في هذا المكان، وهم هناك في مكان آخر، لا يستطيعون التعبير عن وجهة نظرهم ولا الدفاع عن أنفسهم!».

يحترم رسائل من يُهاجمه ويجيب عنها

عبدالله القفاري[1]

- كان يهتم برسائله وأسئلته على الرغم من أنها كانت من طالب يُهاجِمه بقسوة، وهي تعود لعشرين عاماً.

«... كنتُ أتساءل ما الذي يدفع وزيراً وسفيراً وشخصية يتوزع وقتها بين مسؤوليات كبيرة وبرنامج يومي حافل، للاستجابة لرسالة من طالب جامعي مجهول ليرد عليه رداً ضافياً ويتواصل معه، إذا لم يكن يعتبر هذا التزاماً أدبياً وأخلاقياً فرضه على نفسه، رغم أن هذا الطالب لم يكن يكتب رسائل إعجاب، بل كان يضع أسئلة حارقة في مواجهة شخصية لم يقرأ أبعادها آنذاك بصورة تجعله أكثر قدرة في تقييمها أو تقدير اتجاهاتها. ولقد استولى حينها على تقدير خاص بأريحيته المُغدِقة واحتوائه الكريم ليوضح أفكاره بدقة، دون أن يتوقف لحظة أمام اسم مجهول يُجادِله في قضايا أصبحت في ذمة التاريخ.

عدتُ أبحث عن تلك الرسائل التي يعود عمرها إلى ما يزيد على عشرين عاماً، واستعيد مرحلة عقل كانت تتفتح مدارِكُه على وعي آخر ومفاهيم أخرى. جيل لم يكن يعيش تحديات اليوم، ولكنه يعيش نوعاً آخر من التحدي، وكان غازي نجماً إدارياً وثقافياً وصوتاً نافذاً ولغة راقية، وذاكرة قوية وبديهة حاضرة وسخرية لاذعة. ولم أكن لأتجاوز لو قلت إنه لم يمر مسؤول من عامة الناس أثار هذا الكم الكبير من

---

(1) عبدالله القفاري، «رحيل رجل استثنائي»، جريدة الرياض، 23 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 250 و251.

الاهتمام، وحاز هذه الدرجة من الاستثنائية في مواهبه وقدراته المتعددة، كما كان غازي القصيبي (رحمه الله)».

«ولم يكن خصوم غازي هم فقط الغُزاة في ذلك الحين. لقد شُنّتْ عليه هجمات من الداخل غير مبررة وتصل حدّ التجنّي. وقبل صدور كتابه «حتى لا تكون فتنة»، كتبتُ إليه من وحي ذلك الألم الذي استبدّ بي من آثار ذلك الهجوم الأرعن والبذيء... مع محاولة استفزازه حول مواقف كانت تمثل إشكالاً حينها لقارئ ومتابع... واليوم أعود لأتساءل هل كان حباً في غازي، أو حباً في صورة النموذج الذي رأيته يحلّق في عقل ما زال يبحث عن قامة لا يلوّثها غبارُ العابرين. وكتب حينها رسالة مُطوّلة يردّ فيها على تلك المواقف، وأرفق معها العديد من الوثائق التي ما زلتُ احتفظ بها حتى اليوم، واعتبرها جزءاً مهماً من الذاكرة، ربما أستعيده عندما يحين الوقت المناسب لكتابة شيء ذي بال في مرحلة لاحقة. ولقد ظلت تلك الصلة الروحية مستمرة مع كل كتاب يصدر له بإهداء أعتز به حتى رسالته الأخيرة، التي كتبها قبل عام مضى عندما بعثت له بكتابي عن صديقه الدكتور راشد المبارك (رده الله إلينا وقد أسبغ عليه رداء الصحة والعافية)».

«سفارة لندن كانت مرحلة الاقتراب من المثقفين والكُتّاب العرب حتى بدأ خيال اليونيسكو أقرب إليه من حبل العودة للوزارة مرة أخرى. معركة اليونيسكو خلّفت ظلالاً في مزاج غازي... ولم تكن سوى نتيجة أيضاً لعلاقة المثقف بالسلطة. فمعادلة اليونيسكو لم تكن معادلة عربية يمكن احتواؤها عبر مصالحة تلك العلاقة التي برع فيها غازي، بل كانت دولية بكل ما تحمل هذه الكلمة من ظلال».

يحذف بيتاً من الشعر خوفاً من زوجته

أحمد عسيري[1]

- القصيبي حذف بيتاً من إحدى قصائده حتى لا تعرف أم سهيل عنها، والقصيبي يعاتب العسيري: «هل تريد التنكيل بي يا أحمد؟ إنّ أم سهيل أرحم وأعدل وأعقل منك. ومهما حاولت فلن أكون فريسة رخيصة لطموحك غير النبيل».

«حدّثني ذات مساء الشاعر الصاخب، وسيد التعددية المثيرة غازي القصيبي، ضاحكاً وحميماً كما عهدته، وهو يردد متسائلاً ويقول: هل تريد التنكيل بي يا أحمد؟ إن أم سهيل أرحم وأعدل وأعقل منك. ومهما حاولت فلن أكون فريسة رخيصة لطموحك غير النبيل. وكنتُ قد كتبت مقالة في «الوطن» بعنوان «غازي القصيبي ومشعاب أم سهيل».

تحدثتُ عن قصيدته، أو مقطوعته الشعرية، والتي أهداها لحورية السروات «أبها» في لغة شاهقة. ونسيج درامي مذهل... وعندما عاد إلى داره مطمئناً فإذا به يفكك القصيدة ويستعيدها ويتخلّى عن البيت القضية في سرية تامة. قبل أن تقرأ أو تسمع أو تلمح أم سهيل ذلك البيت الكارثة. فقام بحذفه من القصيدة في مجموعته الشعرية «أنت الرياض»، وليشرع بعد أن منّ الله عليه بالستر بدفن ذلك البيت. وإعلان البراءة منه. فمشعاب أم سهيل وعينها الحمراء أسهمتا في طمس وإبادة البيت العاشر من القصيدة».

---

(1) أحمد عسيري، «مع غازي داهمتنا الضحكات»، جريدة الوطن، 25 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص211.

زيارات فجائية يذكُرها كبار السن

عبدالعزيز بن عبدالله بن طالب[1]

- وهو صغير صحب والده ورأى تحسّن الخدمات الصحية في المستشفيات، والده يذكر زيارة القصيبي الفجائية.

«كنت صغيراً في السنوات الأولى في الابتدائية، وكان غازي ملء السمع والبصر، ولن أنسى في إحدى المرات، وكنت ذاهباً مع والدي العزيز لأحد المستشفيات ولاحظنا تحسّن الخدمات فيها. وبالإضافة إلى ذلك أصبح الأطباء يستخدمون أجهزة لم يكونوا يستخدمونها، وليس هذا فحسب، بل أصبحوا يبتسمون ويتلطّفون، وحدّثني والدي بعد خروجنا من المستشفى عن الرجل الذي يتفقد المستشفيات متلثّماً في آخر الليل، والذي يفاجئ الموظفين في القرى والمدن البعيدة بزياراته المفاجئة. كان ذلك بداية وعيي الإداري وما أسرع حصول التغيير في حال وجود الإرادة الصادقة. كبرت وصرت أتعرّف على القصيبي وأقرأ مؤلفاته وأبحث عنها سواء في الداخل أو الخارج من مؤلفات، بعضها لم يتمكّن المجتمع من استيعابه ذلك الحين. كان رحمه الله سابقاً لعصره بفكره وثقافته، وهذه مزية أخرى من مزايا العظماء».

«بعد صدور الطبعة الأولى من الكتاب، أرسلت له نسخة إهداء ليصلني بعد نحو أسبوعين رسالة رقيقة يشكرني فيها على الإهداء ولم يقتصر على ذلك، بل أشاد بالكتاب وأثنى عليه وكتب عبارات جميلة استأذنته لاحقاً في نشرها على غلاف الكتاب وفي موقعه على الإنترنت

---

(1) عبدالعزيز بن عبدالله بن طالب، «غازي ومزايا العظماء»، جريدة الرياض، 13 أيلول/سبتمبر 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 292 و293 و294.

فأذن لي (رحمه الله). لقد بادر بذلك وهو لا يعرفني شخصياً، ولم يسبق أن التقيت به، وإنما هو ما حباه الله من خلق رفيع ورغبة في تشجيع الأعمال الجيدة وتشجيع مؤلفيها، وهي مزية أخرى من مزايا العظماء فمع كثرة مهامهم وانشغالهم إلا أن لديهم القدرة على ترتيب أوقاتهم ومنح اهتمام كبير لما قد يراه الآخرون أموراً صغيرة أو ثانوية».

كان سبّاقاً ضد الأصولية، ومبادؤه تجسّدت في شخصيته

عقل العقل[1]

كان له الأسبقية في تصدّيه لتيار الصحوة، على الرغم من أنهم كانوا مسيطرين، كان سابقاً لعصره ومدركاً إلى أين ستقود الحركات الصولية المتشددة العالم العربي والإسلامي.

«... ومن المواقف التي أعتقد أن القصيبي كانت له الأسبقية فيها، على رغم محاذيرها في تلك الفترة، هو تصدّيه لتيار الصحوة في المملكة، على رغم أن هذا التيار كان هو المسيطر على المنابر والشارع، وعلى رغم ذلك تصدّى له بكتاب فضح فيه انتهازية هذه الحركة في كتابه «حتى لا تكون فتنة» وعلى رغم الحملة الشرسة ضده، سواء كأديب، أو كاتب سياسي، أو مصلح اجتماعي، أو رجل إدارة يمكن القول إن فكره ورؤاه وجدا طريقهما على أرض الواقع واندحرت وتلاشت الأفكار الظلامية التي هاجمته بانتهازية مكشوفة. وهذا في رأيي يظهر كيف أنه كان سابقاً لعصره، ومُدرِكاً لما ستقود الحركات

(1) عقل العقل، «القصيبي وزيراً للثقافة والإعلام»، جريدة الحياة السعودية، 7 أيلول/سبتمبر 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 296 و297.

الأصولية المتشددة العالم العربي والإسلامي إليه من عنف وفوضى، وكلها تبرر خطابها وبرامجها باسم الإسلام».

«ومن خلال حضوري لمعظم جلسات ذلك المنتدى يمكن القول إن الدكتور غازي القصيبي هو ممن إذا التقيت به مباشرة يزيد حبك له إعجاباً وتقديراً، فما ينادي به من مثل وقيم ومبادئ في كتاباته المتعددة الأشكال هي متجسّدة في شخصه وتصرّفاته على أرض الواقع، وهذا في اعتقادي أحد أسرار نجاحه، فالرجل لم يكن متناقضاً مع ذاته، بل على العكس فهو بالواقع أكثر إنسانية ومحبة للناس بجميع أطيافها».

زُهْد القصيبي وتبرّعه بأرض لبناء مسجد

سعود عبدالعزيز القصيبي[1]

زهد ابن عمه غازي، كان لا يمتلك بيتاً لنفسه، ويقطن منزلاً بالإيجار، كما أنه حوّل إرثاً عقارياً له في الهفوف إلى مسجد.

«... وبرغم الشهرة التي طبقت الآفاق، ربما لا يعلم الكثير شيئاً عن زهد الراحل عنا جسداً، والساكن فينا أدباً وكلمات وذكرى، وقد كان زهد المحبين المتفانين في العمل المتواضع تواضع العلماء الأجلاّء، فالدكتور غازي رحل بكل هذه الصفات وهو لا يمتلك بيتاً لنفسه، وكان يقطن منزلاً بالإيجار، كما أنه حوّل إرثاً عقارياً له في منطقة من أغلى شوارع الهفوف إلى مسجد بدلاً من بيعها، لقد أدرك الدكتور غازي أنّ ثروته الحقيقية لا تكمن في منزل يملكه، ولا قطعة أرض بالملايين، بل هي في أدب أبدع فيه، وفي نهج استطاع أن يسخّره

---

(1) سعود عبدالعزيز القصيبي، «الدكتور غازي كما أعرفه»، السدحان، المصدر نفسه، ص 315.

للدفاع عن بلده وأمّته ومصالحها، فصنع أحرف اسمه ورسم محاور ذكراه، حين يذكره الناس في المحافل وعناوين الكتب».

غازي في المراجع الأجنبية منذ عام 1965

صالح جواد الطعمة[1]

- جاء ذكر غازي القصيبي في المراجع الأجنبية قرابة 700 مرة منذ عام 1965، ومنها ما يتصل بعمله سفيراً في لندن، وبعضها يعود إلى ما أثارته قصيدته عن آيات الأخرس.

- قصيدة القصيبي التي نشرها بالإنكليزية «من الشرق والصحراء» ظن بعض النقّاد أنها كُتِبَتْ أصلاً بالإنكليزية.

«إن مجرد الرجوع إلى بعض قواعد المعلومات والفهارس في اللغة الإنكليزية وحدها يكشف عن مداخل لا حصر لها تتناول القصيبي، أو تشير إليه منذ عام 1965 إلى يومنا هذا، ما يتطلّب جهداً جماعياً لمراجعتها. وأذكر على سبيل المثال قاعدة المعلومات المعروفة باسم LEXIS NEXIS، حيث يرد ما لا يقل عن «700» من الإشارات إلى القصيبي، وبينها عدد كبير يتصل بدوره سفيراً في لندن (1992- 2002) من محاضرات ومقابلات ومقالات ورسائل مركّزة كان يوجهها إلى الصحف البريطانية. أضف إلى ذلك ما تضمه القواعد والفهارس الأكاديمية الأخرى من مداخل تخص كتبه وكتاباته المنشورة في الإنكليزية وبعض قصائده، وبينها قصيدته الموجهة إلى «آيات الأخرس» التي أثارت ضجة كبرى شوّهت غالباً رؤية الشاعر

---

(1) صالح جواد الطعمة، «غازي القصيبي الاستثناء ومكانته عالمياً»، جريدة الجزيرة، 9 أيلول/سبتمبر 2010.أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 318 و319 و321 و322.

سواء كان ذلك في الصحف البريطانية أو الأمريكية ومجلس العموم البريطاني أو الكونغرس الأمريكي أو في مقالات أو كتب متنوعة، ومنها مقالة أكاديمية جادة نشرت عام 2005 في المجلة النسائية FEMINIST REVIEW حول الفتيات الفلسطينيات اللائي شاركن في العمليات الانتحارية.

ولقد خُيِّل لبعض النقاد أو الأساتذة أن قصائد «من الشرق والصحراء» كُتِبَتْ أصلاً بالإنكليزية، أي إنها غير مترجمة عن أصولها العربية، علماً بأني لم أقف على تصريح للدكتور القصيبي يشير إلى أنه اختارها من الدواوين الأربعة التي ذكرتها قبل اطلاعي على تصريحه، بذلك في «سيرة شعرية» (ص 99). وقد أضاف معلومة مهمة عن جذورها التي ترجع إلى صيف 1967 حينما شارك في ندوة جامعة هارفرد الدولية بإلقاء ثلاث قصائد ترجمها إلى الإنكليزية بمساعدة أحد زملائه».

انصرف عن الناصرية
إلى الحداثة عن طريق بناء الدولة

رضوان السيّد[1]

- القصيبي أوضح أنه كان من جيل المرحلة الناصرية، وبخلاف أبناء جيله فلم ينصرف عن الناصرية إلى اليسار، ولا اتّجه إلى العمل الأيديولوجي، ولا كفر بتجربة الدولة والنظام السياسي، بل ازداد قناعة بضرورة الدولة، وترقية التجربة السياسية، والدخول إلى الحداثة من هذه الطريق.

---

(1) رضوان السيّد، «غازي القصيبي وبناء الحداثة العربية»، جريدة الشرق الأوسط، 20 آب/أغسطس 2010. انظر: السدحان، المصدر نفسه، ص 327 و328 و329 و330 و331.

- **كان يكره التبرير والتسويغ لنفسه ولغيره.**

«... أوضح القصيبي في رواياته ومقالاته أنه كان من جيل المرحلة الناصرية خارج مصر. وهذا الجيل خاض غماره غالبية المثقفين بالمشرق العربي، ونخبة من مثقفي المغرب. وقد انتهى هؤلاء جميعاً تقريباً إمّا إلى ثوران واعتزال وكآبة، أو إلى خوض غمار معارضة عدمية، عطّلت في غالب الأحيان إنتاجهم الفكري أيضاً. فالمثقفون القوميون تحوّلوا جميعاً تقريباً بعد هزيمة عام 1967 إلى اليسار الماركسي، وغادروا الأنظمة تدريجياً باتجاه الصمت أو المعارضة، لكن الذين استمروا في الكتابة منهم صاروا حذرين، وانصرفوا عن العمل السياسي المباشر إلى أعمال تتصل بالخروج من الموروث العربي والإسلامي، وباستكشاف طرائق الدخول في الحداثة من طريق الغرب الماركسي، أو الغرب الليبرالي.

أما القصيبي - وبخلاف أبناء جيله من القوميين حتى في الخليج - فإنه ما انصرف عن الناصرية إلى اليسار، ولا اتجه للعمل الأيديولوجي، ولا كفر بتجربة الدولة والنظام السياسي. لقد ظل مُجدِّداً في الشعر والرواية والمقالة، ومارس العمل الإعلامي، وتفاعل باستمرار من الناحية الشعرية والنثرية مع أحداث المنطقة وتقلّباتها وحروبها، وازداد في الوقت نفسه اقتناعاً بضرورة الدولة وترقية التجربة السياسية، والدخول في الحداثة من هذه الطريق، من دون أوهام أو حقائق أيديولوجية!

«... وقد سمعتُ منه مرتين على الأقل أنه إنما يأخذ على بعض الروائيين العرب المعروفين، أنهم صاروا مباشرين بشكل حاد في

رواياتهم وقصصهم القصيرة. وهذا الأمر إن اغتفر في القصيدة؛ فإنه لا يغتفر في العمل الروائي، وفي المقالة النثرية».

«... ومأخذه على هؤلاء، ليس أنهم انخدعوا بالتجربة ذات الدعوى القومية في الخمسينات والستينات من القرن الماضي - فقد وقع الجميع في ذلك - بل إن هؤلاء وعندما أدركوا تحول الثورية العربية إلى طغيان سافر، ما راجعوا أنفسهم، لينظروا للتجارب الأخرى، ويحاولوا أن يعودوا إلى الرشد في عمليات بناء الدول. أما هو فقد خاض التجربة الإدارية والسياسية في المملكة، كما خاض في العمل الدبلوماسي، وظلّ مقتنعاً أن العمل المؤسسي في هذا النطاق ممكن، وأن رجال الإدارة والسياسة العرب قادرون - ودون دعوى أيديولوجية - على بناء الدولة الحديثة بالكفاءة والتطوير والنظافة. وبالكفاءة، والنزوع المؤسسي، تبنّى الدولة التي طمح إليها العرب منذ أواخر القرن التاسع عشر».

«... تأخرت معرفتي بالدكتور القصيبي إلى التسعينات من القرن الماضي. والمعروف أنه خاض معارك عنيفة أثناء حرب الخليج الثانية عندما غزا صدام حسين الكويت. وقد شهدتُ نقاشا حاداً وممتداً له مع بعض مثقفي اليسار القومي من زملائه السابقين كما قال، وكان هؤلاء يرون أنه لا ينبغي النظر إلى فشل التجربة القومية وحسب؛ بل إلى أسباب ذلك، وظروف الحرب الباردة. وكانت وجهة نظره أن الأسباب مهمة، لكن القائد الحكيم لا يُعرّض بلده وشعبه لتجارب مستحيلة مثلما فعل صدام في الحرب على إيران، وفي غزو الكويت، رغم كل الأسباب التي يمكن أن ترد. أما الرئيس عبدالناصر، فقد كان عليه أن يكون أكثر واقعية في تقدير موارده وقدراته وقدرات

الدولة المصرية في «مغامراته» منذ عام 1958 وحتى عام 1967، فمغامرة الكاتب الإبداعية أو الفكرية التي تنجح أو تفشل، هي غير مغامرة القائد السياسي التي تنجح أو تفشل، لأن المترتبات على النجاح والفشل في الحالتين بينهما فروق شاسعة تستحق النظر والاعتبار، وما وصل النقاش إلى مآل، لكن القصيبي كان يكره التبرير والتسويغ لنفسه أو لغيره. فالتوبة ورثاء النفس شعوران ما كان القصيبي يريد لهما أن يسودا لدى الأفراد، فكيف لدى القيادات ومؤسسات الدول وجيوشها».

خطابات من المحبة للقصيبي وزوجته

بدرية البشر[1]

- القصيبي غمرني أنا وزوجي بتلك الطاقة الفيّاضة التي تجعل كل من يعرفه يتمسّك بحبل صداقته والإعجاب به فكراً وطاقة استثنائية، وكان يُرسل لنا خطابات من المحبة بخطه المنمنم الصغير الذي لا يشبهه ليشكر ناصر على شريط أرسله إلى لندن، أو يهديه كتبه ممهورة بتوقيعه.

«... وقد كان الدكتور غازي ممن غمرني أنا وزوجي بتلك الطاقة الفيّاضة التي تجعل كل من يعرفه يتمسّك بحبل صداقته والإعجاب به فكراً وطاقة استثنائية، كان يرسل لنا خطابات من المحبة بخطه المنمنم الصغير الذي لا يُشبهه ليشكر زوجي على شريط أرسله إلى لندن، أو يهدينا كتبه ممهورة بتوقيعه، ليس لأننا أصدقاؤه، بل لأننا كنّا

(1) بدرية البشر، «الرثاء الصعبب»، جريدة الحياة، 21 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 376 و377.

من قبيلة كبيرة من أصدقاء يستطيع أن يوزّع عليهم قدرته الهائلة على الحب والتقدير والتي تثير الإعجاب».

مُثقّف متفرّد مثل ابن رشد والجابري

فاطمة العتيبي[1]

«... يَعتَبِر محمد عابد الجابري الثقافة في الحضارة العربية قائمة على الفردية، فثمة أفراد عرفهم التاريخ يتحددون بوعيهم الفردي والثقافي، ولا يعتقد الجابري بوجود طبقة مثقفة في الحضارة العربية على مختلف عصورها!

القصيبي، غازي عبدالرحمن (1940م - 2010م)، مثقف متفرّد لا ينتمي لطبقة مثقفة، إذ لا وجود لهذه الطبقة في جيله، بل هو مثقف متفرّد تماماً مثلما يصف الجابري ابن رشد وابن حنبل والشنفري وغيرهم من الحالات الفردية التي لا تتكرر كثيراً، وتكون حالات استثنائية تقوم على مجموعة صفات شخصية محددة»!

«... أذكر أن دكتور غازي طلب أن أزوّده بالمقال لأنه سمع به وأرسلته ولم أطلب تعليقاً ولم يصلني تعليق! لكنني في سنوات لاحقة، وفي عام 1998م هاتفته لأطلب منه كتابة مقالة عن المرأة في حياته، فكتب كتابة جميلة نشرناها في مجلة البنات.

حظيت بتعليقات هاتفية منه على بعض مقالاتي وخطابات رد جميلة على كتب أهديتها له، لكنه لم يذكر رأيه في مقالة «نوال التي

---

(1) فاطمة العتيبي، «القصيبي فلسفة ابن رشد وحلم الشنفري»، جريدة الجزيرة 18 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 378 و379.

لم أحبها يوماً» التي كتبتها في بواكير وعيي الثقافي وليته فعل، لكنني أُرجّح أن مصادرة إيجابيات المفكر كلها بسبب فكرة سلبية واحدة، منهج لم يرقه، لكنه رفق بحماسي!».

موقف نبيل مع إنسان بحاجة للمساعدة

سعود المصيبيح[1]

- القصيبي في عام 1404 هـ، يتواصل مع المصيبيح بعد أن كتب مقالة ينتقد فيها مؤسسة تابعة للقصيبي، ويرسل إليه رسالة رقيقة.

- يقوم القصيبي بمساعدة المصيبيح في عام 1991، في زيارة للندن لإجراء بعض الفحوصات، ويرسل إليه خمسة آلاف جنيه إسترليني.

- القصيبي يُهنّئ المصيبيح على منزله الجديد، ويعتذر عن عدم حضور الوليمة، ويعلّق على غسال الفناجيل.

«حيث كانت البداية حينما كنت طالباً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأعمل متعاوناً في المساء في جريدة «الرياض» من عام 1400 إلى عام 1404 للهجرة، وأذكر أنني أشارك بالكتابة في زاوية أوراق محرر بمقالات حادّة نسبياً، ضايقت بعض المسؤولين في رعاية الشباب ووزارة المعارف آنذاك وأمانة مدينة الرياض وغيرها من الأجهزة الحكومية... وكان من الجهات التي تعرّضت لها أحد

---

(1) سعود المصيبيح، «كيف تعلّمت من غازي القصيبي في جامعته المفتوحة»، جريدة عكاظ 31 آب/ أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 347 و348 و349 و350.

الأجهزة المسؤول عنها د. غازي القصيبي، فأرسل لي رسالة رقيقة بخط يده يرد على إحدى مقالاتي، ولا أنسى نشوتي وسعادتي بالخطاب وأنا أرفعه في وجوه زملائي المحررين مفتخراً بخطاب القصيبي وأسلوبه، وهو الذي لا يعرفني.

وسافر إلى لندن وسافرت في زيارة هي الأولى، وكانت زيارة شخصية إلى لندن، وتعوّدت أن أزور السفارة في البلد الذي أزوره، فكيف إذا كان السفير هو أستاذي غازي القصيبي، وذهبت وسلّمت عليه وأخبرته بأنني أرغب في إجراء فحوصات طبية في مستوصف لندن الشهير فأرسلني للمستشفى، وفي الطريق طلب من السائق أن يسلمني ظرفاً قال بأنه هدية شخصية من معاليه، فأنا في مدينة غالية وربما أحتاج المبلغ وكان المبلغ على ما أتذكر «خمسة آلاف جنيه إسترليني»، وأذكر أن عيني دمعت لأن ظروفي المادية آنذاك كانت صعبة جداً، وعلي بعض الديون واستغربت كيف أحس بي هذا الرجل وأنا لم أطلب منه شيئاً.

وعندما سكنت في منزلي الجديد قبل أربع سنوات كتبت مقالة في جريدة «الحياة» بعنوان «غسال الفناجيل»، موجودة في كتاب «كل شيء ينمو»، جاءت رسالة رقيقة منه يهنئ بالمنزل ويعلق على «غسال الفناجيل»، ويعتذر عن عدم حضور النزالة، وكان غازي القصيبي مختلفاً عن الجميع؛ فهو نادراً ما يرتبط بمناسبات وولائم، وقد دعوته عدة مرات واعتذر بأنه يُحب القراءة ولا يرغب بالمناسب«.

لا وعظ بعد الصلاة لأن الوزارة مكان عمل

طلال قشقري[1]

- القصيبي يمنع رجلاً من الوعظ في الوزارة بعد الصلاة، ويقول له إن الوزارة مكان عمل لا مكان وعظ، والعمل مقدّس.

«فبُعيْد تعيينه وزيراً للمياه، أثنيتُ عليه في مقالة لمنعه أحد موظّفيه من إلقاء موعظة دينية بعد صلاة الظهر في مُصلّى حكومي، فأرسل لي أنّ وقت الدوام الحكومي مُخصّص للعمل، لا للمواعظ، وأنه مقدّس، وما أحوجنا لتقديس الدوام في جهاتنا الحكومية التي تضيع منها -سُدىً- ملايين الساعات سنويًّا!».

حتى الأطفال يقرأون رواياته

أميرة كاشغري[2]

- ابنتها ذات الثلاثة عشر عاماً وجدت في رواية «أبو شلاخ البرمائي» ما يُمكن قراءته في اللغة العربية.

- يتصل بأميرة كاشغري مطمئناً على عملية زرع كلية لابنها في المستشفى التخصصي بجدة.

«... كان بطلاً ساخراً ممتعاً، خفيف الظل في حكايا «أبو شلاخ البرمائي» لدرجة أقنع فيها ابنتي الطفلة ذات الثلاث عشرة سنة

---

(1) طلال قشقري، «رسائل غازي القصيبي لي»، جريدة المدينة، 25 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 365.

(2) أميرة كاشغري، «رسالة إلى غازي القصيبي»، جريدة الوطن السعودية، 20 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 383 و384 و385.

آنذاك بأن هناك ما يمكن قراءته باستمتاع في اللغة العربية. وكم ستطول قصص البطولات والإبداع في رحلة الكلمة والفكر لتروي هلع النفس المحزونة.

هل تذكر، كما أذكر أنا، ولن أنسى، كيف أن خبراً صغيراً كتب على صفحة «الوطن» لم يغب عن عينيك، فكانت إطلالتك الوردية حافزاً لي ولعائلتي في المرور عبر متاهات عملية زرع كلية لابني في المستشفى التخصصي في جدة. وفي صنو ذاك المستشفى في الرياض قضيت أنت فترة ما قبل الرحيل بكل شجاعة وإبداع لم ينقطع».

التركيز على التطوير... وتجاهل الخصومات

ناهد سعيد باشطح(1)

- اتصل بي عندما كنت مشروع سيدة أعمال في مركز المرأة السعودية الإعلامي.

«... عندما قال لي الأستاذ هزّاع العاصمي: إن الوزير يريد التحدّث معي، فرحت ربما لأنني اعتقدت أنني ساستمع إلى الشاعر والأديب، وليس الوزير الشاعر، الذي قرأت كل دواوينه، وحضرت عبر أشرطة الفيديو سابقًا كل أمسياته الشعرية التي أمطرت عشب حياتنا. جاء صوت «غازي» بحنوٍّ الأخ الأكبر يُهنّئني على افتتاح المركز، ويوصيني بأن أخفف من كتاباتي الهجومية، والتفت إلى عمل وتطوير المركز».

---

(1) ناهد سعيد باشطح، «غازي القصيبي»، جريدة الجزيرة، 24 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 398.

لم يكن متشجعاً للترشّح لليونيسكو

محمد بن أحمد الرشيد[1]

- حينما انتهت مُدّة المدير العام لهذه المنظمة (مايور) وبعد تمحيص واستعراض لعدد كبير من الكفاءات السعودية وجدتُ أن الشروط لا تنطبق إلا على غازي... وكان آنذاك سفيراً للمملكة في لندن.

- تناولت على الفور جهاز الهاتف وحدّثته من باريس وهو في لندن حول الفكرة - ولقد استمع إليها فكانت مفاجأة له - لأنه لم تكن له علاقة وطيدة بهذه المنظمة.

- إقامة مركز ثقافي اجتماعي في العاصمة (الرياض) يحمل اسم القصيبي.

«... حينما انتهت مدة المدير العام لهذه المنظمة (مايور) وكنتُ - آنذاك - عضواً في مجلسها التنفيذي المُناط به ضمن مهامه الكثيرة ترشيح مدير عام يخلف من انتهت مدة إدارته، ولأني حينها قد تعمّقت بحثاً وفهماً، لكل دقائق هذه المنظمة، وعرفتُ ما في خباياها، ودهاليز مبناها من الأفكار والرؤى التي هي من كل بلاد العالم... ولها توجهاتها الخاصة، والتي تؤثر فيها بقوة توجهات مديرها العام... ولأنني شاركت في تحديد شروط ومواصفات من يكون مديراً عاماً لها، وبعد تمحيص واستعراض لعدد كبير من الكفاءات السعودية

---

(1) محمد بن أحمد الرشيد، «غازي القلوب الذي رحل عن دنيانا»، جريدة الرياض، 31 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 59 و60 و61 و62 و63.

التي يمكن أن تتقدم بها بلادنا لشغل هذا المنصب - لم أجد بارزاً... قادراً... متجرّداً... تنطبق عليه الشروط كلها إلا غازي... وكان آنذاك سفيراً للمملكة في لندن.

لم أترك الفرصة تطير من ذهني، فتناولت على الفور جهاز الهاتف وحدّثته من باريس وهو في لندن حول الفكرة - ولقد استمع إليها فكانت مفاجأة له - لأنه لم تكن له علاقة وطيدة بهذه المنظمة، وعندما ألححتُ عليه في القبول طلب مني معلومات ووثائق حول اليونيسكو ليتمكن من دراسة الموضوع، وقطع الرأي فيه... كما حدد شهراً للاطلاع على هذه المعلومات والوثائق، واستشارة من يعرفهم من ذوي العلاقة باليونيسكو، وبخاصة الصديق المشترك الأستاذ الطيب صالح (رحمه الله).

«... ولم تطل مدة انتظاري، فقد أسعدني بموافقته المبدئية، على أن تتم بلورة الفكرة ويصدر توجيه من المقام السامي حول الترشيح، فكان صاحب السموّ الملكي الأمير سعود الفيصل، وزير الخارجية، خير مُعين، وتُوّج مسعانا بموافقة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (كان آنذاك ولياً للعهد) على هذا الترشيح، ودعمه له وتأييده ومتابعته... وتبع ذلك حملة انتخابية نشطة قادها سموّ وزير الخارجية، يعاونه سمو الوكيل الأمير الدكتور تركي بن محمد... وكنا جميعاً معهم».

«... ولا أنسى -أنّ أبا سهيل- حين زرته في لندن، بعد تقدّمي بهذا الترشيح رسمياً لرئيس المجلس التنفيذي في باريس ليقوم بتعميمه على الأعضاء - بهرني بمعلومات تاريخية وحديثة عن هذه

المنظمة - مع أنه في البداية - قال لي: لا تحرجني (يا أبا أحمد) في أمر لا أعرف عنه شيئاً... وكان جوابي حين سمعتُ ما سمعت منه في منزله في لندن: أنني أقطع جازماً أن المدير العام الذي ستنتهي ولايته لن يكون على علم بمثل ما أنت عليه من تاريخ هذه المنظمة وواقعها المعاش، (رحمه الله)... لقد كان قارئاً متميزاً، وذا قدرة فائقة على الاستيعاب والفهم، ففي مدة قصيرة جداً عرف تفاصيل المنظمة التي لم يكن على دراية بها من قبل».

«... وفي الجلسة المُغلقة للمجلس التنفيذي راهنتُ رئيسَ وأعضاء المجلس - بعد أن قدّمتُ الأدلّة، أنه الوحيد الذي ليس له مآرب مادية، أو تحيّز أيديولوجي - على أنه الأفضل، والأذكى، والأحق - بحكم واسع ثقافته، وثراء تجربته - من بين جميع المرشّحين - آنذاك - لهذا المنصب، ولقد طلبت مع غيري من الأعضاء أن يحضر كل مرشح شخصياً إلى المجلس التنفيذي ويتحدث لنرى إمكاناته، وبرامجه في حالة فوزه... مع إتاحة الفرصة للأعضاء لأن يسألوه عن ذلك كله - وللحقيقة فإن مرشحنا قد بهر الجميع بسرعة البديهة، وعمق الثقافة، والقدرة على الحديث بطلاقة بلغته الأم (العربية)، وباللغة الإنكليزية أيضاً، مع تصوّر شامل، ورؤية واضحة لما سيسير بالمنظمة عليه فيما لو فاز بالترشيح».

«... إنني أضم صوتي إلى صوت بعض محبي الفقيد، وأخص منهم معالي أستاذنا عبدالله العلي النعيم في أن يتعاون أصدقاؤه وعارفو فضله في إقامة مركز ثقافي اجتماعي في العاصمة (الرياض) يحمل اسمه، فذلك هو البرهان على صدق المشاعر، والاعتراف للفقيد بمواقفه الوطنية المشرفة».

رجالُ الأعمال سببُ أحزانه

أسامة عبدالمجيد شبكشي[1]

- عرض عليَّ إن كان بالإمكان أن نتبادل المناصب.

- أخبرني بأن والدته توفيت في عز شبابها عن ثمانية وعشرين ربيعاً في الأحساء نتيجة إصابتها بداء التيفوئيد، كان متأثراً للغاية في حديثه.

- سألني مرّة قبل اجتماع مجلس الوزراء، أي كتب من كتبه قرأتها فأجبته: «حياة في الإدارة»، «العصفورية»، و«ثورة في السُنّة النبوية». وحينما سألني عن رأيي فيها أجبته: من أنا حتى أقيم عملاق الأدب العربي، فتبسّم بلطف.

- كتابه «ألزهايمر»، وهو أشبه ما يكون بوصيّته الأخيرة يُعرِبُ فيها عن نظرته إلى أمور طالما شغلته، مثل: الشيخوخة، الذكريات، النسيان، الألم، والموت.

- وجدته مهموماً حزيناً من ردّة فعل رجال الأعمال على محاولاته سَعوَدَة بعض الوظائف، مُبدياً امتعاضه من عدم تعاون رجال الأعمال مع خطط الوزارة للحد من البطالة.

«... غير أنني التقيتُ به لأول مرة حينما كان وزيراً للصحة في ثلوثية الإعلامي اللامع محمد سعيد طيب. وواجه تلك الليلة العديد من الأسئلة الحرجة، إلا أنه بكياسته المعهودة ورحابة صدره أقنع

(1) أسامة عبدالمجيد شبكشي، «غازي لم يمُتْ»، جريدة عكاظ 23 آب/أغسطس 2010. أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 52 و53 و54 و55 و56.

الحضور بوجهة نظره، فهو متحدث لبق، ولديه قوّة إقناع مُذهلة، وإذا هو يسألني عن منصبي - آنذاك - فأجبته: عميد كلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز... فمازحني متسائلاً إن كان بالإمكان أن نتبادل المناصب، حيث إنه كان يتوق للجو الأكاديمي، مشيراً إلى أن عمله كوزير يعنى الصحو المبكر، زوّاراً ثقلاء، ومصالح ترتدي ثوب النزاهة إلا أن وقته لا يسمح له بالاثنين. ومن المشهود للدكتور القصيبي أنه اختط مسالك وزارية جديدة للتغلب على البيروقراطية عبر الزيارات المفاجئة... كان عرّاباً لتلك الزيارات الفجائية، تبعه وزراء ليس في المملكة فحسب، بل وعلى مستوى العالم العربي».

«... أثناء زيارة لي إلى سفارة المملكة في لندن قبل ثلاثة أسابيع استقبلني أحد سائقي السفارة وهو سوداني الأصل، بريطاني الجنسية، وكان يعتقد أنني آتٍ من المملكة، فسألني بتلهف عن صحة الدكتور غازي القصيبي، وإذا بعينه تفيض دمعاً حينما طلبت منه الدعاء له... فسألته عن أسباب بكائه، فأخبرني بأن الدكتور غازي القصيبي كان عطوفاً حنوناً، عامل جميع العاملين بالسفارة كعائلة واحدة، ما أكسبه ود واحترام العاملين في السفارة».

«تشرّفت بمزاملة الدكتور القصيبي أثناء رحلة الوزراء من وإلى مجلس الوزراء، إذ كان المجلس ينعقد بمحافظة جدة. وفي إحدى رحلات العودة إلى الرياض جلس بجواري ليخبرني بأن والدته توفيت في عز شبابها عن ثمانية وعشرين ربيعاً في الأحساء، نتيجة إصابتها بداء التيفوئيد، كان متأثراً للغاية في حديثه، فأدرت دفة الحديث إلى مادة يعشقها... الأدب».

«... سألني مرّة قبل اجتماع مجلس الوزراء أي كتب من كتبه قرأتها فأجبته: «حياة في الإدارة»، «العصفورية»، و«ثورة في السُنّة النبوية». وحينما سألني عن رأيي فيها أجبته: من أنا حتى أقيم عملاق الأدب العربي، فتبسم بلطف».

«... آخر كتاب خطّته أناملُهُ، وهو على فراش المرض، سمّاه «ألزهايمر»، أشبه ما يكون بوصيّته الأخيرة، يُعرِبُ فيها عن نظرته إلى أمور طالما شغلته، مثل: الشيخوخة، الذكريات، النسيان، الألم، والموت. إنها شهادة القصيبي على أيام المرض والعلاج، إلا أن كرامته حالت دون أن يمنح هذا النص صفة السيرة الذاتية، فأختبأ خلف بطله «يعقوب العري»...».

«... قبل سفري إلى ألمانيا، بعد تشرّفي بالثقة الملكية الغالية لكي أستلم مهام عملي كسفير لخادم الحرمين الشريفين، زرت الدكتور القصيبي مودّعاً، ولكي أستنير بخبرته كسفير محنّك، سواء أكان في فترة عمله في البحرين أو بريطانيا، فوجدته مهموماً حزيناً كوزير للعمل من ردة فعل رجال الأعمال على محاولاته سَعودة بعض الوظائف، مُبدِياً امتعاضه من عدم تعاون رجال الأعمال مع خطط الوزارة للحدّ من البطالة».

«... أؤيّد اقتراح الأخ العزيز الدكتور هاشم عبده هاشم في صدد تكريم الوزير والأديب والإداري غازي القصيبي بأن تتولّى جامعة الملك سعود (التي عمل بها (رحمه الله)) تأسيس كرسي علمي يُطلق عليه كرسي غازي القصيبي للإبداع، وأن يُطلَق اسمه على إحدى قاعات المحاضرات في الكلية التي عمل بها: كلية التجارة

(إدارة الأعمال حالياً) بجامعة الملك سعود (أسوة بما قام به رجل الوفاء صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، حينما أصرّ على تسمية إحدى قاعات مبنى جمعية الأطفال المعوّقين باسم غازي القصيبي، تقديراً لتبنّيه فكرة تأسيس جمعية الأطفال المعوّقين، والتي رعى انطلاقاتها الأولى)، وحتى لا تنطفئ شعلة ذكراه في خواطرنا».

أوصى أن يُدفَنَ في المكان الذي يموت فيه

علي بن طلال الجهني[1]

- كان رجلاً مؤمناً بالقدر، خيره وشرّه، أيماناً مُطلقاً. وكان يقول منذ ثلث قرن على الأقل: «إنه أوصى أن يُدفَنَ في المكان الذي يموت فيه، أيّاً كان ذلك المكان، وبأسرع وقت ممكن، حتى لا يكلّف الناس لحضور جنازته».

- قال لي: «لا تحزن ولا تتألّم، سأقاوم بكل ما استطعت من قوة. ولكن الأمر لن يتجاوز بضعة أشهر قبل أن ألقى خالقي، فادعُ الله معي على أن يُحسِن لقائي برب العزّة والجلال».

«... لقد كان غازي رجلاً مؤمناً بالقدر، خيره وشرّه، أيماناً مُطلقاً. وكان يقول منذ ثلث قرن على الأقل: «إنه أوصى أن يُدفَنَ في المكان الذي يموت فيه، أيّاً كان ذلك المكان، وبأسرع وقت ممكن، حتى لا يُكلّف الناس لحضور جنازته».

---

(1) علي بن طلال الجهني، «مات غازي»، جريدة الحياة السعودية، 17 آب/أغسطس 2010. انظر أيضاً: السدحان، المصدر نفسه، ص 65 و66 و67.

«... وبمجرّد أن اتصلتْ بي زوجته، المرأة الفاضلة الصابرة «أم سهيل»، وقالت لي تمت الجراحة، عرفت من نبرة صوتها أن الأخبار غير سارّة، وحينما قالت لم اتصل بغيرك بناءً على طلبه، سقط التليفون من يدي، ولم أكن بحاجة إلى متابعة المكالمة. بعد ثلاثة أيام، اتصلتُ بغازي (رحمه الله) ووجدّته، كما عهدته ضاحكاً شامخاً عالي المعنوية. وقال لي: «لا تحزن ولا تتألّم، سأقاوم بكل ما استطعت من قوّة. ولكن الأمر لن يتجاوز بضعة أشهر قبل أن ألقى خالقي، فادعُ اللّه معي على أن يُحسِن لقائي برب العزّة والجلال»».

الحوارات

يتضمن هذا الكتاب ثلاثة لقاءات أجريتُها مع غازي القصيبي على شاشة «قناة العربية»، أولاهما أُذيع في 31 أيار/مايو 2004، والثاني والثالث أُذيعا تباعاً في 12 و18 شباط/فبراير 2007. وتتضمن التالي:

1 - الملف الساخن... سَعوَدَة الوظائف في القطاع الخاص

في هذ الجزء الأول، يتحدّث القصيبي عن محطته الوزارية الأخيرة، وعن ملف توطين الوظائف وسَعوَدَتِها، وعن الآلام الاجتماعية النابعة عن أوضاع خاطئة وعادات سيّئة، لكن لا بد لها من علاج «فعندما نتكلّم عن ألم، نتكلّم عن علاج، لكن المشكلة الموجودة الآن أليمة، تمس «300000» بيت في المملكة، وإذا افترضنا أن الأسرة السعودية بحسب الإحصاءات تتكون من حوالى 5 أو 6 أشخاص، معناها أنها تمس مليوني شخص».

وهو يُلقي بالائمة على العادات السيّئة التي دفعت المجتمع السعودي إلى «الاعتماد المُطلَق على العمالة الوافدة التي أدّت إلى

مشكلة البطالة، فيجب أن نتعوّد عادات جديدة، والتعوّد على عادات جديدة عملية مؤلمة».

لكن قبل ذلك لا بد من أن يكون العلاج على أكثر من صعيد « فحل مشكلة العمالة يحتاج قبل كل شيء إلى نمو اقتصادي يفوق حركة النمو في زيادة السكان. أنا أعرف هذه الحقيقة أكثر من أي إنسان آخر بحكم مسؤوليتي، ما لم ينمُ الاقتصاد لن تكون هناك فرصُ عملٍ تكفي لتوظيف السعوديين».

وبما أنه منوط به العمل بشكل مباشر على إيجاد حلول واقعية، فعليه البدء وعدم الانتظار، فهو لا يستطيع «الانتظار حتى يتغيّر المجتمع كله، لا أستطيع انتظار مخرجات التعليم كي يُغير المجتمع عاداته، لا، يجب أن أبدأ»1.

وحول ابتزاز بعض رجال الأعمال، وتهديدهم بنقل استثماراتهم خارج البلد ، يدافع عن نفسه، نافياً أن يكون هو من طلب منهم الرحيل إذا لم يتعاونوا مع وزارته «لم أخاطِب رجال الأعمال، خاطبتُ رجل أعمال واحد... عندما تتقدم الدولة بمشروع يهدف إلى حل مشكلة وطنية تتعلق بمستقبل هذا البلد، يقول لي أروح إلى البلد الفلاني، إذا طلبتوا منا أي شيء نحمل أغراضنا إلى البلد الفلاني. هذا أسلوب لا يجوز في التعامل، وهذا بالفعل ابتزاز».

ويؤكد في هذا الحوار أن قضية البطالة هي قضية وطنية واجتماعية، وعلى رجال الأعمال إدراك ذلك، وأنهم حينما يُساهِمون

(1) كتب القصيبي عن الجيوش الجرّارة للخريجين في تخصصات على هامش التنمية، واقترح عدداً من الحلول والخطوات في كتابه الغزو الثقافي ومقالات أخرى، ص 90 - 91.

بتخفيف الأزمة فهم يُقدّمون خدمة إلى أهلهم، «أنا أعتقد أن رجل الأعمال مواطن، وأقول لهم إن مشكلة البطالة موجودة في بيوتكم، بين عوائلكم، في عشائركم، عند عيال عمكم... فمعنى ذلك أنا لا أطلب من رجل الأعمال أن يعمل معروفاً، يعني للأجر المعروف، أطلب منه أن يخدم نفسه، أن يخدم عائلته، أن يخدم مجتمعه، أن يخدم».

كما ينفي دعوى التعالي والأَنَفَة عن العمل عند الشباب السعوديين «العامل السعودي الآن يقبل أشياء لم يكن يقبل بها من قبل، يدخل في مجالات لم يكن يدخل بها من قبل... لا، لا ما أعتقد أن هناك مهناً، إن جاز التعبير، يعتبرها المواطن السعودي وضيعةً، أو لا تليق به».

وحول الآثار السلبية لقراراته في السَعوَدَة والتقليل من الاستقدام على القطاع الخاص، يقول: «ليس من الصحيح أن كل قرار يهدف إلى القضاء على البطالة يجب أن يكون قراراً مُعادياً للقطاع الخاص، أو يكون قراراً مُعادياً للاستثمار. يجب التخلّص من عادة التفكير بأن أي قرار يُعالج البطالة هو بالضرورة يؤلِم القطاع، بمعنى يضرّ القطاع الخاص، ويضرّ المستثمرين، ويضرّ الدولة، ليس هذا بالضرورة».

كما أن القصيبي ينفي أن يكون سبباً في تعطيل مشاريع، أو قطع أرزاق «إن شاء الله لن ألقى الله وفي عنقي يوم القيامة قطع رزق مشروع واحد، أما الرزق غير المشروع فلا أُبالي أن ألقى الله وفي عنقي مائة ألف رزق غير مشروع مقطوع... فلا توجد لدي مصلحة في التضييق على رجال الأعمال، ولكني كل ما أقوله أني ألتقيهم في منتصف الطريق».

لا يُوجَد بلد في العالم واحد يحدد أجراً للمواطن، وأكثر الإخوة الذين يكتبون في الصحف لا يعرفون عن ماذا يتكلّمون كما يرى القصيبي. لأن وضع حد أدنى للرواتب والتمييز بين العامل السعودي والمقيم، وتفضيل السعودي، هو عنصرية يرفضها». أؤمن من الأعماق أن هذه سياسة عنصرية، ونحن كل ما نقوله عن العامل الوافد لا يعني في أبعاده أي ناحية عنصرية».

كما ينتقد الصحف المطبوعة في هجومها على وزارة العمل، وموقفها من قراراته، وأنه لا فرق بينها وبين ما يُنشَر على الإنترنت في مواقع لا رقابة عليها. «في هذه الأيام الفرق بين ما يُنشَر في الصحف والإنترنت أصبح ضئيلاً جداً، خصوصاً في مستوى بعض الكتابات لا يكاد يوجد فرق».

2 - صناعة القرار وديمقراطية الملك

يُفسّر القصيبي في الجزء الثاني من الحوار قصة اختيار الوزراء التي تبدأ بنشوء «نوع من التوافق في المجتمع حول بعض الأشخاص، أنهم استطاعوا أن يُبذلوا جهوداً، وينجحوا في مجال معيّن»، حيث تتولّى بعد ذلك لجنة مختصة بالتحري والبحث في مدى أهليته لتولّي الوزارة، فالقرارت «لا تتم ببساطة، ولا تتم عفوياً، إنما يسبقها فترة طويلة من الاختيار، ومن استعراض أسماء كثيرة. يعني بالتأكيد التشكيلة النهائية قد تكون عشرين وزيراً، إنما بالتأكيد مرّ على اللجنة هذه أضعاف هذا العدد».

ويُضيف، موضحاً، أنه «جرى العرف قبل التعيين يُبلّغ الوزير المرشّح، يُبلّغ بثلاثة أو أربعة أيام، إمّا عن طريق رئيس ديوان رئاسة

مجلس الوزراء، أو رئيس الديوان الملكي، أو أحد مستشاري خادم الحرمين الشريفين، أن يتصل بالشخص المرشّح، ويقول له: لقد وقعَ عليكَ الاختيار لشغل الوظيفة الفلانية».

وحول طريقة إعفاء الوزراء، يذكُر أنه «في معظم الحالات عندما يُعاد التشكيل، يوجّه الملك قبل إعلان التشكيل رسائل شكر للوزراء الذين انتهتْ خِدمتهم، يشكرهم فيها على خدماتهم السابقة».

إنما ينبغي ألا يكون هناك شخص مهنته الوزارة، الوزارة تكليف، وبطبيعته تكليف موقت، قد يمتد بعض الشيء أو يطول، كما يذكر القصيبي: «لا أعتقد أنه يجب أن يتحوّل إلى مهنة، إذا تحوّل إلى مهنة يعني أن الحماسة والاندفاع والرغبة في إحداث التغييرات، التي هي الصفات الضرورية في الوزارة، سيضعف، حيث يتحوّل العمل إلى عمل روتيني».

وعن تأثير المنصب في شخص الوزير نفسياً واجتماعياً، يوضح القصيبي أن من من طبيعة البشر أن يُخاطب الوزير بأسلوب معيّن، «بعبارات من التفخيم، وعندما تكون معارضةٌ تكون معارضة بأسلوب هادئ ورقيق، وقد لا تكون». وبخبرته ومعرفته العميقة بما يُحدِثه المنصب من غرور وتعالٍ، فهو يعتقد «أن الإنسان إذا لم تكن لديه حصانة نفسية، بعد فترةٍ يبدأ يقول والله آرائي كلها صحيحة».

كما يتناول هذا الجزء النقد الذي يوجّه إلى الوزير من قِبَل الصحافة عن إخفاق وزارته في بعض الملفّات. فعليه أن يوطّن نفسه لذلك، لكنه يرفض الاستهداف الشخصي للوزير فـ«كل إنسان أنت، وإنّا نُسرُّ بالإطراء، ونغضبُ أو لا نرتاح من النقد، عندما يتخذ النقد

جانباً شخصياً، أنا أو أنت أو أي إنسان، نشعر بنوع من عدم الرضا، لا أعتقد أن الوزراء يختلفون في هذا عن غيرهم».

ويستفيض الحوار بتفاصيل رحلة صناعة القرار داخل مجلس الوزراء، موضِحاً أن «نظام المجلس ينص على أن المداولات التي تتم قبل الوصول إلى قرار تبقى مُداولات سرّية، وهذا الشيء موجود في كل محل في العالم، لكن تنبثق من المجلس لجنة اسمها اللجنة العامة، تتألف من أحد عشر وزيراً».

وأن هناك لجنتين، تحضيرية وعامة، والتحضيرية هي نفسها اللجنة الفرعية التي هي بمثابة المصفاة التي تمر بها أي معاملة قادمة لمجلس الوزراء. بعد ذلك ترفع إلى رئيس الديوان «الذي يعرضه بدوره على خادم الحرمين الشريفين، ثم يقرر خادم الحرمين الشريفين عرضه على المجلس».

وعن وجود نقاش ومداولات في أثناء عقد الجلسات، يوضح القصيبي: أنه «لا يعرض شيء على مجلس الوزراء إلا بعد أن يناقش بالتفصيل وفي تفاصيله، ويحدث النقاش. قد يكون النقاش عنيفاً، أو قد يكون لطيفاً، وقد لا يكون هناك نقاش من الأساس».

وينفي أن يكون هناك قرارات تُتّخذ ارتجالاً من دون مُشاورة ونقاش، «ليس هناك قرار يتخذ ارتجالاً. عندما يأتي القرار إلى مجلس الوزراء يكون قد مر بمجلس الشورى، قد مرّ بلجنة فرعية، قد مر باللجنة العامة».

وعن ديمقراطية الملك في أثناء عقد جلسات مجلس الوزراء، يشرح أن الملك أو من ينوب عنه، يكون هو رئيس الجلسة في معظم

الحالات، «حيث يلتفت إلى الوزراء ويطلب رأيهم، لا يبدأ هو باتخاذ موقف، إنما يترك المجال، وفي حالات كثيرة يمر الموضوع من دون نقاش طويل، مثل المعاهدات والاتفاقيات الدولية».

إن «الملك يعرف أنه لو تكلّم برأي قاطع في الموضوع، يحل الموضوع ويحسم، فهو في المواضيع التي فيها أكثر من رأي يحرص على أن يترك للأعضاء المجال، طبعاً أحياناً قد يقول أنا رأيي في الموضوع بهذا الشكل، ولكن يعني لن أصر».

كما يتناول الحوار صراحة الملك وعدم مجاملته للوزراء على تقصيرهم «إذا كان غير راضٍ عن أداء وزارة، أو سَمِع، لا يُجامِل في هذه الناحية، يقول الناس يقولون عنك كذا وكذا، يعني حتى في مجلس الوزراء يطرح ما يُقال».

ويؤكد القصيبي أن ما يجري من حرية وحوار في أثناء عقد المجلس من «نقاش موضوعي، ومن حرية، ومن إبداء في الرأي لأبعد الحدود، أعتقد أنه ربما لا يوجد – على الأقل- في كثير من مجالس الوزراء العربية».

رافق القصيبي مراحل تطبيق الخطة الخمسية للتنمية وإنشاء مدينتين صناعيتين، هما الأكبر في الشرق الأوسط، والمخاوف التي كانت تعصف بالمسؤولين: «لأن قرار التنمية، أو قرار التصنيع من القرارات التي كانت في وقتها تكاد تكون راديكالية. بالتأكيد كانت مخاوف مشروعة، لكن لا بد من اتخاذ قرارات حاسمة، وقد اتُّخذت».

وعن المحافظين والمنفتحين من الوزراء وتعدد الآراء في أثناء المُناقشات في المجلس ينفي أن يكون هناك أي تصنيف يفرز

المجتمعين إلى فئتين، «عندما تُبحَث الأمور في اللجنة العامة وغيرها، لا تُبحث من وجهة نظرنا هذا ليبرالي، وهذا محافظ، تُبحَث من وجهة نظر الموضوع في حدّ ذاته، يعني أنت قد تتّخذ اليوم ما يعتبره البعض موقفاً محافظاً، ثم في اليوم نفسه تأخذ موقفاً مغايراً في موضوع آخر»[1].

3 - حياةٌ في الإدارة والمواجهة مع الإسلاميين

في الجزء الثالث الذي أذيع في 16 شباط/فبراير 2007، يتحدّث القصيبي عن كتابه «حياة في الإدارة»، وأنه لم يكن يحلم حتى بطبعة ثانية من الكتاب. وحول كتابة المُذكّرات يوضح أنه ليس هناك سر يبقى إلى الأبد، لأن «الخبر اليوم بفلوس بكرة ببلاش»، ويضرب مثلاً بالتشكيلات الوزارية، فهي حتى لحظة صدورها تُعدّ من أعظم الأسرار. «أعتقد أن السر بما يتعلق بالشخصية العامة، هي تلك المعلومة التي يؤدي إفشاؤها إلى إضرار بمصالح الدولة، سواء» كانت اقتصادية أو شخصية».

كما يشرح أسباب امتناعه عن كتابة تجربته بعد «حياة في الإدارة» حول عمله سفيراً، ثم وزيراً للمياه، فقال موضحاً: إنه ما أزال في غمار التجربة، وإن كتابته عنها لن تخلو من من الحدّة، فهو يعيش لحظة الانغماس العاطفي في هموم وزارته ومشاكلها، وفي هذا الجولا

---

(1) يذكر القصيبي أنه اختلف مع صديقه الوزير عبدالعزيز الخويطر في اجتماع لجنة من لجان مجلس الوزراء، «وإن أنسَ لا أنسى ذات يوم، في لجنة من لجان مجلس الوزراء أني اشتبكت معه اشتباكاً عنيفاً في شأن عام، تجاوز الحدّة والصراخ، ثم أذّن لصلاة الظهر، فقال لي: «دعنا نُصلّي الآن، عسى أن يذهب شيطانك»، وواصلنا الحوار بعد الصلاة، وتوصّلنا، بفضل الله، إلى قرار وسط، أرجو أنه كان في المصلحة، بعد أن فرّ شيطاني و«شيطانه». صوت من الخليج، مصدر سابق، ص 78.

بد من أن تكون كتابته متحيّزة، «عندما تكتب وأنت تحت ضغط العمل، أعتقد أنه يندر إن، لم يستحل، أن تكون الكتابة بموضوعية... وإذا كتبتُ أخشى أن تكون الكتابة ملوّنة بعواطفي الحالية، وهذا لا يجوز في كتابة من هذا النوع، يجب أن يكون عندك من المدى الزمني ما يعني أن تنظر إليه كما تتفرج على حادث يشترك فيه آخرون وأنت جزء منه».

ويتناول هذا الجزء أزمة ديوانه «معركة بلا راية » 1970، ويصفها بأنها كانت أزمة حقيقية، متحدثاً بإيجاز عن ضغوط شديدة ومطالبات بعقابه.

والقصيبي إنسان مسالم كما يصف نفسه، «أنا الذين يعرفونني سيقولون لك، إذا كانوا صادقين، بأنني مُسالِم، ويمكن أنا ذكرت في الكتاب أن طفولتي كانت مُسالِمة جداً. طول عمري... طول عمري، لا أتذكر أنه في حياتي دخلت معركة مع أحد، ولا عمري تشاجرتُ مع أحد، ولا عمري تشاتمتُ مع أحد، ولا عمري تضاربتُ مع أحد، ولا ما عمري دخلت معركة مع أحد».

كما يتحدث عن العناصر الثلاثة لنجاح أي قرار إداري، وهي أولاً: القرار الصحيح، الثاني: القدرة على اتخاذ القرار الصحيح، والثالث: القدرة على تنفيذ القرار الصحيح».

وعن مواجهته مع الإسلاميين في أزمة الخليج الثانية واحتلال الكويت، يقول: «لم أكن قد رأيت أحداً منهم، أو قد رآني أو... أو... أو تعرّفت إلى أحد، يعني القصة لم تكن عداءً شخصياً بقدر ما كانت خلافاً بين مواقف».

وعن دور الإعلام في صناعة النجوم من المسؤولين، يشرح مأساة النجم، «فعندما تُركّز عليك الأضواء فأنت تحترق في الأضواء، أعتقد أن التركيز الإعلامي أيام وزارة الصحة بلغ حداً أدى بالفعل إلى الإضرار به، والمشكلة في الإعلام».

كما يُعيب على الصحافة السعودية لـ«أن كثيراً من الذين يكتبون غير محترفين، وهذا طبعاً غير موجود في الصحافة الغربية، أكثر الذين يكتبون في مواضيع لا يعرفون عن هذه المواضيع، ليسوا خبراء فيها، ليسوا اختصاصيين فيها».

كما تناول تجربته مع وزارة الصحة وسر شعبيته وقتها، «وزارة الصحة كانت موضوعاً محتقناً، كان يُزعِج الناس، يعتقد الناس أن الوزارة ميؤوسٌ منها، أستطيع أن أقول هناك ظلامات كثيرة مدفونة في نفوس المواطنين، عندما بدأت الإجراءات التي بدأتُ بها كأن الناس وجدوا تحقيقاً لكل أحلامهم، وفي الواقع أنا ذكرت أنه بولغ في ما فعلتُ في وزارة الصحة، لا يستطيع أحد أن يُصلِحَ وزارة الصحة في سنة ونصف».

وعن ملف السَعوَدَة الذي استلمه في محطته الأخيرة، فهو يؤكد أنه أكد منذ اليوم الأول «أن الأولوية المطلقة بالنسبة إليّ هي توظيف السعوديين والقضاء على البطالة، كل طريق وكل هدف وكل شيء يجب أن يكون بهذا الاتجاه».

وهو راضٍ بما تحقق حتى وقت إجراء الحوار، «استطعنا أن نضع المعالم الصحيحة لتوجّهات جديدة. الآن أصبح من المقبول أنه لن يأتي أحد إلى المملكة إلا إذا كانت هناك حاجة حقيقية لخدماته، في

البداية هذا كان لم يقبله أحد، الآن أصبح قد لا يُحبّه الناس، لكن أصبح مقبولاً».

وعن التفوّق والغيرة بين الزملاء، يرى القصيبي أن «التفوّق أو البروز في كثير من الحالات يُحطّم صاحبَه. ما في إنسان يستطيع أن يكون متفوّقاً وبارِزاً وناجحاً وفاعلاً طيلة الوقت، فأنا ما عندي المشكلة هذه، لكن إذا نجح زميل من زملائي، سواء في الوزارة أم في العمل يسعدني ذلك».

وهو يرى أنه لا تحديد لسن العطاء عند الوزير «لا تستطيع أن تحدد السن المناسبة للوزير إلا في ما يتعلق بالحيوية والنشاط، بالتأكيد عندما يكون الوزير شاباً سوف يكون نشيطاً أكثر مما لو كان في سن مثل سني الآن».

كما يلوم نفسه على انغماسه عاطفياً بما كان يواجهه في وزارة الصحة والعمل من مواقف محزنة، «لذلك أنا يُمكن أني أخطأت عندما انغمست عاطفياً ربما بقدر لا يجوز، الإنسان يجب أن ينغمس عاطفياً في عمله فقط. أنا عندما أرى شاباً يبحث عن عمل أتمزّق من الداخل، كما لو كنتُ رأيت شاباً مريضاً بالفعل، ربما عيب الإداري، أو عيب من العيوب الإدارية، أنني لا أترك لنفسي هذه المسافة».

وهو يرى أن لذلك آثاراً سلبية نفسياً، وإن لم يكن لها تأثير في اتخاذ القرارات عنده، «أعتقد هذا يؤذي صحياً، ويؤذي نفسياً. عندما تنام يُطاردك العمل حتى في النوم، وهذا شيء ليس بيدك». ويذكر وصية الملك فهد وتحذيره له بأن «لا تشتطَّ أكثر من المطلوب، ولو مُت على مكتبك لقالوا مات منتحراً».

وعن موضوع رسالة الدكتوراه حول الإمامة في اليمن، يؤكد أن الشيء الجديد الذي أتى به، هو «أنني استطعت أن أثبت أن النظرية التي طُوّرت في مجتمع سياسي غربي، يمكن أن تُفسّر ما يدور في مجتمع من العالم الثالث. بمجتمع في دولة كانت في ذلك الوقت من أقل دول العالم نمواً».

تُركي الدَخيل



26 شباط/فبراير 2012

1 - الملف الساخن

سَعودَةُ الوظائف في القطاعِ الخاص[1]

البطالةُ وألم مواجهتِها

- دكتور حقيقة لم نُطِل في المقدّمة لأن الملف مكتظ بالكثير من الأسئلة، سأبدأ بسؤال مباشر. دكتور غازي، صرّحت بأن مشكلة البطالة تتطلب لحلّها اتخاذ قرارات مُؤلمة، هذا الألم سيطاول من بنظرك؟

- أشكُرك على هذا السؤال، لأن الناس يبدو أنهم خائفون كثيراً من هذا الألم. وقبل أن نتكلّم عن العلاج المؤلم أيضاً، يجب التذكّر أن البطالة مشكلة أليمة جداً، بل عندنا تصوّرٌ أنها قد تكون أخطر مشكلة نُواجهها في مجتمعنا اليوم. إن الفترة التي قضيتُها في وزارة المياه والكهرباء، كنت أعيش يومياً تجارب مأساوية، أرى أباً في السبعين، من عمره، يأتي من آخر المملكة، يقود ابنه أو ابنيه طالباً عملاً، أحياناً أجد جِدّاً في الثمانين، أو في التسعين، يأتي بابنه أو بابنيه، طالباً عملاً، يدور من وزارة إلى وزارة، أجد حالاً بالفعل مأساوياً، صوراً مأساوية، فأرجو من الناس الذين يخشون من الألم الناشئ عن نقص

(1) أُجرِي اللقاء في يوم الاثنين، 31/5/2004م.

التأشيرات، لدخول العمالة إلى البلاد، أن يتذكّروا أننا نتكلم الآن عن ألم «300000» مواطن في المملكة.

- إذاً سيكون الألم للأشخاص الذين يعني يتولّون استيراد أو استقدام العمالة؟

سوف آتي إلى هذه النقطة.

- نعم. مُشكلة البطالة تمس مليوني مواطن.

- إنما يجب أن نضع الأمور في نصابها، فعندما نتكلّم عن ألم، نتكلّم عن علاج، لكن المشكلة الموجودة الآن أليمة، تمس «300000» بيت في المملكة، وإذا افترضنا أن الأسرة السعودية بحسب الإحصائيات تتكون من حوالى 5 أو 6 أشخاص، معناها أنها تمس مليوني شخص؛ مشكلة البطالة تمس حياة مليوني شخص على نحو أو آخر، معناها أننا لا نتكلّم عن - كما قُلتُ مرّة - مشكلة «تفحيط» في الشوارع، ولا مشكلة مرور، نتكلّم عن مشكلة تدخُل في أكثر البيوت، أو إلى كثير من البيوت في المملكة. طيب، عندنا المشكلة الكبيرة هذه، هل نتوقّع أن يأتي علاجها بقرار بسيط، أو سهل؟ الألم يأتي من التعوّد على عادات جديدة، تعوّدنا عادات سيئة، منها الاعتماد المُطلق على العمالة الوافدة، التي أدّت إلى مشكلة البطالة، فيجب أن نعتاد عادات جديدة، والتعوّد على عادات جديدة عملية مؤلمة. جميعنا من أوّلنا إلى آخرنا، وأبدأ بالعامل السعودي.

- ألمُ عاداتٍ فقط؟!

- يعني في كل عادة جديدة تتعلّمها نوع من الألم، أريد من العامل السعودي أن ينسى عادة أن هناك وظيفة مضمونة، انتهينا من

هذا، يجب أن يعمل عملاً شاقاً ويتدرّب تدريباً شاقاً، وينسى وظيفة من المهد إلى اللحد، انتهت هذه الفترة، أريد أيضاً من رجال الأعمال أن يتذكّروا أن موضوع البطالة مشروع وطني. إن وزارة العمل في جهة، ورجال الأعمال في جهة أخرى، الدولة في جهة، والقطاع الخاص في جهة أخرى!

- لكن، هذه التصريحات التي تفضّلت بها!

- سوف نأتي إلى التصريحات.

- جعلتَ هناك خندقين بشكل أو بآخر!

- لماذا لا نأتي بعدين ونأخذها تصريحاً تصريحاً. نأتي لتصريح الألم؟!

- حسناً، الآن سنتكلّم عن هذا، أنت تقول لا نريد أن نقسّم جانبين!

- عندما نصل إلى هذا سوف أجيبك.

- تفضل!

- لكن الآن أنت سألتني سؤالاً! لا تسأل سؤالاً ما لم ترد أن تسمع الإجابة! أنت سألتني عن الألم دعني أكمل. ولو أنه مؤلمٌ لك أن تستمعَ!

- طيّب. لا، بالعكس أنا هنا لأستمع.

العادات السيّئة

- أنتم مقدمو البرامج تحبون أن تتكلموا أكثر ما تستمعوا، لكن هذه قضية أخرى! نريد من رجل الأعمال السعودي أن يتذكر أن

البطالة مشروع وطني، ليس مشروع دولة، أريد أيضاً منّا كمواطنين أن نخفف من عادات الترف الاستهلاكية التي تكاد تقتلنا معنوياً، يعني لو سمحت لي أن أقول لك أغنى رجل في العالم الآن من هو؟ هو بيل غيتس، لو تدخل في بيت غيتس هل ستجد 250 شخصاً يخدمون؟ أعتقد لن تجد إلا طباخ وبالكثير واحدة أو اثنين بخدمته. ففي كل بيت في المملكة جيش صغير من العمالة الأجنبية الوافدة ما هي إلا عادة يجب التخلّص منها، وأعترف أن التخلّص منها لا يخلو من ألم. نحن في الوزارة أيضاً يجب التخلّص من عاداتنا القديمة، التخلّص من فكرة أن كل شيء يُحَل بتشريع أو بقرار، وأن بالفعل نبتدئ حواراً مع القطاع الخاص، وأن نستمع ونتفهم الأوضاع بشكل آخر، فالألم الذي أتكلّم عنه يعني ليس مقصوراً على رجال الأعمال، ولا على جهة معيّنة، ألمٌ يجب أن يُشارِك به المجتمع بأكمله... تغيير العادات السيئة هو السبيل إلى مُعالجة البطالة.

- علاج البطالة في تغيير العادات؟!

- نعم، في تغيير العادات.

- تحدّثتَ قبل قليل عن الإشكالية والألم، فهل ينبع حل هذه المشكلة فقط من خلال وزارة العمل؟ لكن الناس منذ عشرين سنة نجدهم معتادين أنماطاً معيَنة، ونبغي أن تتغير اليوم، طيّب لماذا لا يكون ذلك عبر حملة وطنية مثلاً، يمكن أن تؤدي إلى هذا الغرض، حتى لا نلوم الناس في أنماط ساهمنا نحن بصناعتها؟

- إن وزارة العمل تمتلك المسؤولية الرئيسة، لكني لا أؤمن لحظة بأن الوزارة يمكن أن تحل مشكلة العمالة بنفسها. فحل مشكلة

العمالة يحتاج قبل كل شيء إلى نمو اقتصادي يفوق حركة النمو في زيادة السكان. أنا أعرف هذه الحقيقة أكثر من أي إنسان آخر بحكم مسؤوليتي، ما لم ينمُ الاقتصاد لن تكون هناك فرص عمل تكفي لتوظيف السعوديين. يحتاج تحقيق هذا إلى تضافر المجتمع كله، والتدريب أيضاً مهم جداً لمعالجة المشكلة، والحد من العمالة الوافدة ضروري جداً. لا أتكلم عن إجراء واحد، إنما عن حُزمة إجراءات. أما الجزء المتعلق بوزارة العمل فأنا المسؤول عنه، لكنني لا أستطيع الانتظار حتى يتغير المجتمع كله، لا أستطيع انتظار مخرجات التعليم كي يُغير المجتمع عاداته، لا، يجب أن أبدأ.

مُخرِجات التعليم جزءٌ من المُشكلة

- هناك من يرى أنه بحكم كونك وزيراً في الدولة، وعاملاً يعني من عمال الدولة، تريد أن تبرّئ الجانب الحكومي في ما يتعلق بإشكالية العمل، ولذلك تتحدث فقط عن مسؤولية مجتمع، عن مسؤولية رجال أعمال، فيما الإشكالية الرئيسة موجودة في مُخرِجات التعليم، التي لا تخرّج أناساً يتحدثون الإنكليزية بشكل جيد، ليس لديهم الحد الأدنى من المهارات التي يمكن لرجال الأعمال أن يجعلوهم يعملوا من خلالها، فلماذا لم يتم الحديث عن هذه الإشكالية؟ وهل هناك تنسيق مع وزارة التعليم؟

- تركي، أظن الحديث عن المواءمة بين مخرجات العمل ومتطلبات السوق لم ينقطع خلال العشرين سنة الأخيرة.

- لكن لم يحدث شيء خلال العشرين سنة!

- لا، أعتقد أنه خلال السنوات الـ3 و4 و5 الأخيرة حدثت تغييرات جوهرية، يعني مثلاً قفزت ميزانية التدريب إلى أضعاف أضعاف، وستُفتح السنة القادمة 20 كلية جديدة. قفز عدد المتدربين من بضعة آلاف ليصل قريباً إلى أكثر من «100000» متدرب، الآن في جامعة الأمير محمد بن سعود فُتحت كليات علمية، فإذا كانت الكليات التي يقيمها القطاع الخاص تقريباً كلها مبنية على مخرجات السوق، ومبنية على متطلبات هذا القطاع، فليس صحيحاً ما يُقال إن الدولة لم تعمل شيئاً. ما أحب قوله، نريد أن نتطلع إلى المستقبل، ولا ننظر إلى الماضي، يجب أن نتعلم جميعاً عادات جديدة، الدولة بدأت تتعلم عادات جديدة، بدأت تهتم بهذه الناحية، نرجو أيضاً من العامل السعودي أن يتعلم عادات جديدة، من البيروقراطيين في وزارة العمل، وفي غيرها أن يتعلموا عادات جديدة، وأيضاً من المجتمع الذي اعتاد أن يحصل على ما يشاء من عمالة وافدة رخيصة بجرة قلم، واعتبرها حقاً مكتسباً من حقوق الميلاد.

تفاوُت الإحصاءات

- صرّحت يا دكتور بأن نسبة البطالة في السعودية لا تتجاوز 9.9 في المئة من عدد السكان، هذه النسبة تشكل «300000» مواطن، سؤالي أولاً هل هذه النسبة مبنيّة على استثناء المرأة منها أم لا؟

- دعني أضع الآن موضوع المرأة جانباً، وأقول عندما تولّيت هذا العبء، أو هذه المسؤولية وجدت تقديرات كثيرة، منهم من يقول إن نسبة البطالة 30 في المئة، ومنهم مَن قدّرها 25 في المئة، وآخر يقول

لك وصلت إلى المليون. إلا أن انطباعي الشخصي أن عدد العاطلين عن العمل كان أكثر من «300000». ليس من صالحي كإنسان، أو كموظف، أو كمسؤول، أن أُقلّل من العدد، بالعكس من صالحي أن أكبّر العدد لكي تبدو...

- الدخيل (مقاطعاً): ليش عشان تصغّر الملف الذي تتولاّه!

-لا، لكي تبدو معالجة المشكلة على المدى البعيد بأنها كانت أكبر، وتمكنا من التغلب عليها، ليس لي مصلحة ذاتية في تصغير العدد إطلاقاً، لكني أرى أنه لا توجد عيّنات علمية في تقدير هذا العدد إلا عند مصلحة الإحصاءات العامة، سألت عدداً كثيراً من الذين يقولون إن نسبة البطالة وصلت إلى 30 في المئة من أين عرفتم ذلك؟ قال: والله هذا انطباعنا الخاص! سألت بعض البنوك من أين أتيتم بهذا الرقم؟ قالوا: هذا انطباعنا الخاص! مصلحة الإحصاءات العامة قالت: أنا عندي عيّنة من 15000 أسرة سعودية موزعة في كل أنحاء المملكة.

أنا أعتقد أنه يجب على مصلحة الإحصاءات العامة توضيح هذا، ونحن كدولة مقصّرين، يجب أن توضح المصلحة إحصائياتها. ما فهمته من المسؤولين في وزارة الاقتصاد والتخطيط أن طريقة جمع العيّنات نوقشت مع منظمات دولية متخصصة بالعمل، وهذه هي الطريقة الدولية.

- بمعنى أنها عيّنات عشوائية بُنيت على عينات عشوائية، ولم تبنَ على استقصاء دقيق!

- لا إن شاء الله، في الإحصاء القادم، سنقوم بإحصاء كامل، لكن كل الإحصائيات هذه تُبنى على عيّنات، وإن كانت عشوائية، لكن المفروض إنها تُمثّل الشرائح المختلفة، فهي عندهم «15000» عيّنة، في كل أنحاء المملكة، وأنا أعتبر أن أقرب رقم من الدقة هو الموجود عند مصلحة الإحصاءات العامة، وإذا أتاني إنسانٌ باحث، أو مؤسسة بحثية برقم أكثر دقة، والله أنا مستعد أن أتبنّاه، لكن في الوقت الحاضر هذا أقرب رقم من الدقة في متناول يدي.

بِطالةُ المرأة

- دكتور أود السؤال: هل هذه الإحصائية تتناول أيضاً البطالة بين النساء السعوديات؟

- أقول لك بكل صراحة إنني لا أعرف الوضع بالنسبة إلى بطالة النساء، لسبب بسيط جداً أن بطالة الذكور أوضح، يعني إما تقدّم لوزارة الخدمة المدنية، أو لوزارة العمل أو بحث[1]، كثير من النساء جالسات في بيوتهن ما نعرف، الحين أنا طلبت من مصلحة الإحصاءات العامة من معالي وزير الاقتصاد والتخطيط، أن يجري دراسة خاصة تتعلق بالبطالة بين النساء فقط، ليس لها علاقة بأي نوع آخر من البطالة، وبمجرد ما تصلني النتائج سوف تُعلن إن شاء الله.

- إذاً سيكون هناك للبطالة بين النساء جانب في الإحصاء المقبل.

- نعم، ستكون دراسة مفصلة للبطالة بين النساء.

---

(1) عن عمل.

- البطالة في كل المجتمع طبعاً؟

- بين كل المجتمع، لكن في شريحة معيّنة بين النساء.

- متى تتوقع أنه تظهر النسبة؟

- العملية تستغرق بعض الوقت، لكن أعدك بمجرد أن تصلنا ستُعلَن، فلا يوجد شيء في الوزارة أُخفيه عن أحد، بمجرد أن تصلني هذه المعلومة سوف تُذاع وتُنشر على المواطنين.

- ما زال الحديث في ملف العمل الساخن!

- لماذا أنت تُصرّ على أنه ساخن يا أخي؟ لا داعي لأن يكون ساخناً.

- ملف العمل بارد إلى هذه الدرجة يا دكتور؟!

- (ضاحكاً): لا داعي لأن يكون ساخناً، إنه ملف عادي.

- ما دام هناك مليونان، فلازم يكون ساخناً، مليونان يا دكتور يتعلقون فيه، يعني كل ما يتعلق بأرزاق الناس هو ساخن، إلا إذا اختلفت معي في هذا التقييم!

- لا، لا.

تفاوت النِسَب والإحصاءات

- دكتور قبل قليل كنا نتحدث عن نسبة البطالة، وتحدثنا عن المرأة، وقلت إنه لا توجد إحصاءات واضحة في هذا الإطار، إلا أن معالي الدكتور علي النملة، زميلك، الآن هو وزير الشؤون

الاجتماعية، عندما كان وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية، صرّح تصريحاً في أيلول/سبتمبر 2002، وهو عندي الآن منقول من «الشرق الأوسط»، أعلن فيه أن السعوديين عددهم 15.7 مليوناً. ويعاني ثلثهم من البطالة بواقع 3.2 مليون، بينما 9.7 مليون من السعوديين في سن العمل، يعني هذا أن هناك بوناً شاسعاً بين تصريح معاليكم وتصريح معالي الدكتور النملة، سلفكم في ملف العمل، إلى ماذا تعزو هذا التباين؟

- والله أنا شخصياً لا أعرف أن هناك تبايناً، طبعاً هذا التصريح يُسأل عنه صاحبه وناشره، لكن جمعتنا، قبل وبعد فصل الوزارة، اجتماعات عمل وزارية ولجان عديدة مع الصديق معالي الدكتور علي النملة، وفي كل مرة كان يقول ويؤكد إنه أدق ما يملكه الكلام نفسه الذي قلته قبل قليل، فهناك توقعات أو تقديرات كثيرة، لكن أدق ما يملكه هو إحصائيات مصلحة الإحصاءات العامة، لا أتصور أن هناك تبايناً، هذا التصريح في أي نطاق قيل وفي أي مجال طبعاً، هذا أنا، وصاحب التصريح أدرى به مني.

مراكز التدريب

- دكتور، أشرتَ في تصريحات صحفية عند توليك الوزارة...!

- (ضاحكاً): أنت قرأت كل تصريحاتي... ها؟!

- يعني لازم أحضّر للمقابلة. أشرتَ يا دكتور إلى أن الحل السحري لمشكلة البطالة يكمن في كلمة واحدة هي التدريب التدريب التدريب.

- نعم. الشراكة بين الحكومة والقطاع الخاص.

- من الذي سيقوم بالتدريب؟ هل يعني تلقون بالمسؤولية كلها على رجال الأعمال؟

- يا تركي، يا أخي «نحن ما نُلقي والله بالمسؤولية على رجال الأعمال، ولا نُلقي على أحد»، نحن نُحاوِل حل المشكلة. نحن لا نريد أن نخترع العجلة، والعجلة اختُرعت من زمان، موضوع التدريب سبقتنا إليه دول كثيرة جداً، سبقتنا إليه تجارب كثيرة جداً، ما أعتقد في داعي نبتدئ من الصفر، كل هذه التجارب تقول إن التدريب لكي ينجح يجب أن تكون هناك شراكة تامة بين القطاع الخاص والدولة، ولكن لا تقل لي تُلقون بالمشكلة على قطاع رجال الأعمال! هل الألمان ألقوا بها على قطاع رجال الأعمال؟ هل اليابان ألقوا بها على قطاع نفسه؟

- ماذا فعلت الدولة من أجل التدريب يا دكتور؟

- الدولة مستعدة أن تفعل، فالموضوع ليس تراشق تُهَم.

- القصد نريد أن نفهم وليس نتهم. نريد أن نَطَّلع على خفايا الأمور حتى نوضح للناس.

- أنت تريد أن تفهم! ما أراك تريد أن تفهم. (يضحك).

- لا، لا بالعكس أنا أسأل والناس تستطيع أن تأخذ ما تريده.

- صحيح، طيب أنت الآن تقول نحن في المملكة نُلقي اللوم على القطاع الخاص، أنا أقول لك نحن نركّز على أهمية التدريب للتخلّص من البطالة.

- أنا أنقل وجهات نظر يا دكتور.

- على كل حال، إن تجارب التدريب موجودة في كل محل في العالم، في كوريا، وفي اليابان، وفي ألمانيا، وفي بريطانيا، وفي فرنسا، لا نخترع العجلة، وقد اُخترعت في كل هذه الأماكن. لكني أقول: هناك شراكة بين القطاع الخاص والدولة لإنجاح التدريب، أحياناً تكون 50 في المئة وأحياناً 60 و30. طيب تقول لي ماذا أعطيتم؟ أقول نحن مستعدون أن نعطي إلى أبعد الحدود، مستعدون أن نعطي منحاً تدريبية، ونحن نمنحها الآن، مستعدون أن نعطي أماكن في الكليات التقنية والمعاهد التدريبية، ونحن نمنحها الآن، مستعدون أن نقوم بمشاريع مشتركة، ونحن نقوم بذلك الآن، فالموضوع ليس إلقاء العبء على الثاني، بقدر ما أن هذا التدريب لكي ينجح يجب أن يكون مشروعاً وطنياً يقوم به القطاع الخاص، وتقوم به الدولة بالمشاركة معه.

- طيّب، ماذا فعلتُم مع القطاع الخاص حتى الآن من أجل الوصول إلى هذه المشاركة؟

- بدأنا حواراً، عندنا الآن حوالى (5000) وظيفة اسمها التدريب المشترك بيننا وبين القطاع الخاص، وعندنا (20000) شاب سعودي دُرِّبوا، بالتعاون بين صندوق الموارد البشرية ومؤسسات القطاع الخاص، عندنا الآن حوالى أكثر من 50 وظيفة. المواصفات التدريبية حققت ما يسمّونها بـ«الحقيبة التدريبية»، أعدّها القطاع الخاص، أنا لا أقدر أقول للقطاع الخاص ما هي متطلّباتي.

- فتطلب متطلّبات القطاع الخاص لكي توفّر...!

-بدأنا الآن هذا، فلذلك أرجو أن تكون العلاقة بيننا وبين القطاع الخاص علاقة شراكة، وعلاقة الشراكة لا تعني أن الشريك لا يختلف مع شريكه أحياناً، لكن هناك فرقاً بين الشراكة التي لا تخلو من المشاكل والعداوة، علاقتنا ليست علاقة عداوة بل شراكة، والشراكة التامة.

مافيا التأشيرات

- طيب، معالي الوزير أنت تتحدث عن علاقة شراكة يكون فيها تفاهم، وقد يكون فيها اختلاف، لكنك صرّحت في 29 نيسان/ أبريل 2004 في الصحف السعودية، وقلت مخاطباً رجال الأعمال: لن تفيدكم أسلحة الابتزاز، سأحارب «مافيا» التأشيرات! هل تعتقد أن هذه لغة قد تؤدي إلى الشراكة؟ أنت استعملت وأعلنت ألفاظاً قوية، أشبه ما تكون بحرب على رجال الأعمال.

- أنت أخذت جملة نُشرت في جريدة، ولم تكن موجوداً في اللقاء، ولا!

- نعم.

- لم أُخاطِب رجال الأعمال، خاطبتُ رجل أعمال واحد، لأنه هذا الأسلوب بيني وبينك، يعني أسلوب يشعر الإنسان نحوه بالامتعاض، عندما تتقدم الدولة بمشروع يهدف إلى حل مشكلة وطنية تتعلق بمستقبل هذا البلد، يقول لي أروح إلى البلد الفلاني، إذا طلبتوا منا أي شيء نحمل أغراضنا إلى البلد الفلاني، هذا أسلوب لا يجوز في التعامل، وهذا بالفعل ابتزاز، يا أخي بتروح المحل الفلاني رافقتك السلامة، فكان الكلام موجّه إلى شخص معيّن، أو إلى عقلية معيّنة.

- ليس شخصاً محدداً بعينه...!

- نعم كان الكلام موجّهاً إلى شخص بعينه، لا أتذكّر اسمه.

- قال إنه سيذهب بتجارته إلى الخارج...!

- نعم... نعم، قال يعني إذا بتطلبوا منا أي متطلبات بنشد حبالنا ونغادر. يا أخي هذا الكلام عيب يقوله أي إنسان في وطنه وبين أهله وعلى ترابه، وهنا جذوره. يقول لي أروح إلى محل آخر، بعدين قلت له: إلى أين تذهب؟ التوطين يلاحقكم في أي محل، الإمارات العربية المتحدة التي دايماً يشيرون إليها، الآن فيها بطالة، الخليج الآن فيه بطالة «500» ألف، رجال الأعمال يستثمرون أين؟ في فييتنام، طلبوا منهم أن يوظفوا فييتناميين.

- حسناً، لكن هل تعتقد - الله يحفظك يا دكتور غازي - بأنه يمكن أن يخاطَب رجل الأعمال بهذه اللغة؟ بالتركيز على الجانب الوطني في رجل لا يفهم إلا بالمال، هو يقول: أنا أحصل على هذه الامتيازات في بلد آخر؟

- أنت الآن عندما تقول عن رجل أعمال لا يفهم إلا في المال، يعني أعتقد إنك أقسى أقسى منه!

- أقصد يفهم بالمال أكثر من غيره.

- تكون عبارتك أقسى من أي عبارة قلتها أنا، ويمكن أن أقولها، أنا أعتقد أن رجل الأعمال مواطن، وأقولهم إن مشكلة البطالة موجودة في بيوتكم، بين عوائلكم، في عشائركم، عند عيال عمكم. فمعنى ذلك

أنا لا أطلب من رجل الأعمال أن يعمل معروفاً، يعني للأجر المعروف، أطلب منه أن يخدم نفسه، أن يخدم عائلته، أن يخدم مجتمعه، أن يخدم... فالقصة أن رجل الأعمال لا يفهم إلا في زيادة ربحه، ولا عنده أي اعتبار آخر؟ معنى هذا جرّدناه من كل وطنية.

مواجهةٌ مع رجال الأعمال

- لا يا دكتور، خلّينا ننتقل إلى جانب آخر، الدولة الآن تتحدث عن استثمار رؤوس أموال أجنبية، واستثمار أجنبي، كيف ستنطلق من منطلقات وطنية في الحديث مع المستثمر الأجنبي؟

- في دراسة قامت بها مجموعة استشارية لهيئة الاستثمار، وموجودة، وممكن الاطلاع عليها، ما في ولا مستثمر قال إن موضوع السعْوَدة، أو موضوع التوطين، عقبة بالنسبة إليّ. ولم يوجد مستثمر واحد قال هذا الكلام، يعني قصة ما تقول إن المستثمر الأجنبي سيهرب بسبب السَعودة هو كلام غير صحيح، المستثمر البريطاني أول شيء يطلب منه أن يوظف بريطانيين، المستثمر في ألمانيا أول شيء يطلب منه أن يوظف ألماناً، فلماذا تضعون فكرة في أذهان الناس أنه إذا أحد بيستثمر يجب أن أسمح له أنه يجيب عمالة رخيصة! أخي ليأتي بعمالة رخيصة، لكن لماذا يأتي إلى عندي في المملكة. ليس من الصحيح أن كل قرار يهدف إلى القضاء على البطالة يجب أن يكون قراراً مُعادياً للقطاع الخاص، أو يكون قراراً مُعادياً للاستثمار. يجب التخلّص من عادة التفكير بأن أي قرار يعالج البطالة هو بالضرورة يؤلم القطاع، بمعنى يضر القطاع الخاص، ويضر المستثمرين، ويضر الدولة، ليس هذا بالضرورة.

- طيب دكتور غازي هذا الحديث يعني أن العمالة الرخيصة الموجودة في البلاد السعودية هي جزء من المشكلة، وتحدثت أنت أيضاً في تصريحاتك عن هذا الجانب، هناك من يقول إن إحلال العمالة غير الرخيصة سيقود البلد إلى غلاء الأسعار، فكيف تتعاطى مع هذا القول؟

- هذا تعميم، لأنه في الواقع لا يمكن أن نُعمم بهذا الشكل، يعني أنا أعرف الآن مدراء، مدير إنكليزي أو ألماني أو أمريكي يأخذ 50 ألفاً، أو 60 ألفاً، أو 100 ألف! تعرف هذا الكلام، أم لا تعرفه؟

- صحيح.

- طيّب هذا راتبه يُشغّل كم سعودي؟

- إنتم تتكلمون عن الرواتب الضئيلة!

- لا، نتكلم عن الرواتب عموماً، أعتقد يصعب التعميم بهذا الشكل، الآن السعوديون بدأوا ياخذون رواتب في الواقع أنها أرخص من رواتب العامل الوافد، عندما يشتغل سائق في حدود «1000»، أو «1200» ريال، أو حتى «1500» ريال، وعندما تأخذ بحسابك التذاكر ومشاكل الإرجاع ومشاكل قدوم العامل الأجنبي... بالتأكيد يكون العامل السعودي أرخص، أو على الأقل تكون التكلفة نفسها فالدنيا تتغير. يقبل العامل السعودي الآن أشياء لم يكن يقبل بها من قبل، يدخل في مجالات لم يكن يدخل بها من قبل، فهذا الإصرار العجيب الرتيب على أنه يعني أي شيء يؤدي إلى إحلال العامل السعودي محل العامل غير السعودي، ما سيؤدي إلى الغلاء والتضخّم وتوقف النمو، يمكن يؤدي حتى إلى الحرب العالمية الثالثة، هذا الكلام أيضاً لا يجوز.

- هذه وجهات نظر الطرف الآخر يا دكتور!

- لكن من حقنا أن نناقشها أم لا؟

- صحيح... صحيح، ما في شك.

- أنا سألتك، أجبت ليس هناك ناس يأخذوا «100» ألف ريال من الأجانب؟

- لا أدري.

- لا تدري، ما في ناس يأخذوا 50 ألف ريال كمدراء! لا نأخذ إلا هذا العامل الرخيص الأجر، ونضيف إليه نقله، إن وضعت محله العامل السعودي فسيكون الأخير أرخص. لا ليس هذا هو ضروري. هناك عنصر ثانٍ، وهو أن العمالة الوافدة ترسل التحويلات إلى الخارج، ونحن ثاني بلد في العالم بعد الولايات المتحدة بالأرقام المطلقة في التحويلات، فتُرسل تحويلات بـ60 بليون ريال، لو صوّرنا جزءاً من هذا الرقم، ودخل في الدورة الاقتصادية المحلية، فسوف يؤدي إلى آثار وإنعاش في الحركة الاقتصادية، وفي نمو القطاع الخاص يزيل أي أثر، يعني أنا أريد أن أنظر إلى المشكلة نظرة شمولية. سوف تمر كل تأشيرات الاستقدام على وزير العمل شخصياً.

التأشيرات من الوزير شخصياً

- نعم، من كل جوانبها، طيب معالي الوزير نقلتْ عنك صحيفة «الجزيرة» في 4/29 من هذا العام قولك، في اجتماعك برجال الأعمال، إنه لن يتم إصدار أي تأشيرة لعمالة أجنبية إلا بعد

الفحص والتدقيق مني شخصياً، من معاليكم، أنتم تتحدثون عن ما يقارب أكثر من 300 ألف تأشيرة!

- لا، سلامتك أكثر من 650 ألف!

- 650 ألف. طيب يا دكتور إذاً أنت تقوم بتدقيق 650 ألف تأشيرة يعني هذا تقضي كل وقتك بتدقيق تأشيرات، وأنت الوزير؟

- والله شوف هذه المرحلة عابرة، وإن شاء الله، عندما الأمور تستقر ممكن أني أتنازل عن هذه المهمة.

- يعني في البداية عمل الوزارة تدقيق تأشيرات!

- ما خلّيتني أُكمِل!

- عفواً يا دكتور.

- أنت وضعت السؤال وأجبت عنه، لكن كلامك ليس صحيحاً، في أن يكون عملي التدقيق، أولاً خليني أشرح لك العملية، لو إنت سألتني كيف تتعاملون مع التأشيرة؟ لأجبتك، اسألني قل لي: كيف؟

- كيف ستراقب التأشيرة؟

- لا تقل لي عملك كله سيكون تدقيقاً، لأن هذا لا يأخذ ولا واحد في المئة من وقتي، ترسل إلينا قوائم، كل قائمة فيها ألف تأشيرة، بالضبط تأخذ العملية عشر أو ربع ساعة لمراجعتها، لأن كثيراً منها لا تحتاج إلى مراجعة دقيقة، أو بعضها واضح جداً أنها تحتاج إلى مراجعة، فالعملية لا تأخذ مني ربع ساعة أو نصف ساعة في اليوم.

- طيّب لماذا لا يقوم أشخاص تثق بهم؟

- لأني أنا أريد أن أعرف وضع العمالة، أريد أن أعرف عندما تكلمت عن علم أريد أن أعرف كيف، لمن تذهب العمالات والتأشيرات، ومن الذي يستورد العمالة، واكتشفت العجائب، مثلاً حين أقول «تركي الدخيل» إذا ما عندك مانع؟

- نعم، ما عندي مانع.

- تصلني قائمة تتضمن حوالى 15 طلباً، باسم مؤسسة «تركي الدخيل» للموبيليا، (20) عاملاً مثلاً، مؤسسة «تركي الدخيل» للوجبات السريعة 25 عاملاً، مؤسسة «تركي الدخيل» للخدمات الخاصة، أم السريعة 25 عاملاً، مؤسسة «تركي الدخيل» للفول 25 عاملاً، مؤسسة «تركي الدخيل» لـ (يضحكان)... صحيح والله، إذا لم يكن مؤسسة تركي الدخيل، تكون مؤسسة فلان الفلاني.

- إن شاء الله يصير لي مؤسسات بهذا الحجم يا دكتور غازي!

- الله كريم، للمغسلة مدري منجرة، هل معقول واحد تركي الدخيل عنده 25 مؤسسة، وكل مؤسسة تجيب 25 شخص، وفي النهاية نعطي له ثلاثة آلاف عامل، هل هذا معقول. هل فيه شخص ممكن يكون عنده هذا كله؟ ويحتاج إلى هذا العدد الكبير من العمال؟ الإخوة مدراء مكاتب العمل يعرفون الوضع أحسن مني ومنك، لأنهم يعانون مشكلة يومياً، يقولون إن جزءاً كبيراً - أكره التعميم كما لاحظت - من هذه المؤسسات الصغيرة مؤسسات وهمية، وهناك محلات في الرياض، ومحلات في جدة، المحلات تؤجر كل شيء جاهزاً بما فيها

اليافطة، يافطة مؤسسة تركي الدخيل للوجبات السريعة مثلاً، ينتهي الموضوع يروح واحد ثاني إلى المحل ويشتريه نفسه لمؤسسة فلان الفلاني، أو جزءاً كبيراً منه.

- معنى هذا هناك فساد في الموضوع؟

- تستطيع أن تقول ذلك.

- طيب دكتور، هذا يؤكد أن هناك مافيا تأشيرات؟

- كلمة مافيا تأشيرات لا أعرف إذا أنا قلتها أم لا، المافيا توحي بتنظيم عربي معين لا أدري... لا أدري إذا كان موجود أو لا. بالتأكيد هناك من يستفيد منها.

- مافيا من دون تنظيم، الله يخليك!

- لا أدري هذا صعب... صعب أتكلم عن مافيا، أنت تعرف المافيا فيها رجال يقتلوا من ينحرف عن طريقهم، ويبتزّون ويُهدّدون، قد نستخدمها مجازاً، فلا أعرف أن المافيا موجودة، لكن أعرف أن هناك سوء استغلال واضحاً جداً للتأشيرات.

مُحارَبة البطالة وقَطع الأرزاق

- طيب ألا يعني يا دكتور يضرّك هؤلاء الذين ستُقفل عليهم أبواب رزق من خلال تأشيرات تباع في السوق، وأَنت أشرت إلى أن هناك تأشيراتٍ تُباع في السوق؟

- هناك نوعان من الرزق، رزق مشروع، ورزق غير المشروع، والمشروع إن شاء الله لن ألقى الله وفي عنقي يوم القيامة قطع رزق

مشروع واحد، أما الرزق غير المشروع فلا أبالي أن ألقى الله وفي عنقي مائة ألف رزق غير مشروع مقطوع، الحقيقة المتاجرة بالعمالة الرخيصة، والمتاجرة بحاجتها إلى المال، وجلبها بمبالغ وهمية، وإلى توقيع عقود وهمية معها، ثم بعد ذلك أخذ مبلغ على الكفالة، ونقل كفالتها وتسييبها في الشوارع لكي تحصل على المال، والشخص يقعد عاطلاً، يعني هذا شيء لا يليق بكرامة الإنسان، ولا بالمواطن السعودي، ولا بالوطن السعودي، وإذا كنت أغضِب هؤلاء الذين اعتادوا أن يرتزقوا من هذا النحو، فأنا أرجوهم أن يبحثوا عن طريق أخرى للرزق، فطرق الرزق كثيرة، وعندنا فتاوى، وإن شاء الله ستنشرها الوزارة، من العلماء من أصحاب السماحة، ومنهم الشيخ بن باز (رحمه الله)، جميعهم يقولون لا يجوز، لا يجوز الاتجار بالبشر على هذا النحو، بالكفالة وبيعها وتسييب العمالة، فهذا يعني غضب أصحاب الرزق غير المشروع... شيء يُسعدني.

- طيب، لكنهم بالتأكيد لن يتنازلوا عن هذه الأبواب، أليس كذلك؟

- أرجو إن يغنيهم الله سبحانه وتعالى بحلاله عن حرامه.

تحديد الأجور مُضرٌ بالاقتصاد

- الملف لا يزال عن موضوع العمل في السعودية

- ساخن، نعم؟

- نعم لا يزال ساخناً، سألنا قبل قليل عن مسألة تدني الأجور، وأنت تحدثت عن أن الوضع في السعودية لا يسمح أن نفرض حداً أدنى للأجور، لماذا برأيك يا دكتور؟

- عندي صديق اقتصادي يقول: الاقتصاديون من الحاصلين على جائزة نوبل إلى المعيد في قسم الاقتصاد، لا يُجمعون إلا على شيء واحد؛ وهو أن تحديد حد أدنى للأجور من الناحية الاقتصادية عمل مضر جداً، والدول التي حددته، حددته لأسباب سياسية، وفي الغالب.

- وإنسانية يا دكتور!

- سياسية. أساساً وهي أحزاب ذات طابع اشتراكي في معظم الحالات، وتطبيقه يؤدي إلى مشاكل كبيرة، في سوق العمل بالمملكة خلل كبير جداً، بين العمالة الوافدة والعمالة المحلية، أقصد بين مستوى الأجور. وأنا أعتقد لمَّا يكون عندك خلل لا تضيف إليه خللاً جديداً يُعقّد المشكلة أكثر. قد يؤدي إلى خلق عقود وهمية، وقد يؤدي إلى هجرة، فعندما أريد تحديد الأجور من المفروض أن أحددها للجميع، لا يوجد بلد في العالم واحد يحدد أجراً للمواطن، وأكثر الإخوة الذين يكتبون في الصحف لا يعرفون عن ماذا يتكلمون، كيف أستطيع أن أقول أعطوا المواطن ثلاثة آلاف في الشهر، وأعطوا غير المواطن 300 ريال، لا يجوز هذا، فإذا حددت حداً واحداً للأجور سوف أخلق مشاكل لا أول لها ولا آخر، لأن هاك بوناً شاسعاً، وفي أعداد كبيرة جداً، وإذا حددت حدين، وأعتقد وأؤمن من الأعماق أن هذه سياسة عنصرية، ونحن كل ما نقوله عن العامل الوافد لا يعني في أبعاده أي ناحية عنصرية، بالعكس نحن نقول إنه يأتي بلدنا بطريقة نظامية نحن نرحّب به، ونشكره على مساهمته في بناء وطننا، وأنا أفكر جدياً في الواقع أن أنشئ إدارة جديدة في وزارة العمل هدفها حماية العامل الوافد؛ لأن في الحقيقة الإنسان هو الإنسان والكرامة الإنسانية هي الكرامة الإنسانية، وينبغي ألا نفكر في إجراءات تجعل هناك معاملة

خاصة للمواطن دون الوافد، فأعتقد أن الحد أدنى للأجور كما يطلبه الكثير من الإخوة الذي يقوم على حدين، واحد للمواطن وآخر لغير المواطن، أعتقد أن هذا مرفوض، ولا يوجد أي تفكير فيه.

- حد أدنى للاثنين بطبيعة الحال.

- سيكون صعباً جداً.

تكفي سَعودَة الوظائف الجديدة

- دكتور، تحدّثت قبل قليل عن ٦٠٠ ألف تأشيرة منتظرة خلال عام، وتتمنى وستعمل على تقليص هذه النسبة إلى حد كبير، ماذا عن العاملين الموجودين. أساساً التأشيرات الموجودةً. هذا الحديث عن تأشيرات جديدة، ماذا عن هؤلاء؟ هل هناك خطة لديكم لتقليص هؤلاء من خلال مثلاً إحلال. لأن فتح هذا الملف يقلق الأجانب في السعودية كثيراً؟

- أشكرك، لأنك أتحت تناول هذا الموضوع، أنا ليس لديّ أي نية في أخذ أي وظيفة من أي عامل في الوقت الحاضر، لأننا لسنا بحاجة لذلك، عندنا وظائف.

- عامل أجنبي وليس مواطناً؟

- نعم، عامل أجنبي. يكفي الوظائف الجديدة أن تكون للسعوديين، أي لا أريد أن يُفصَل أحد في الوقت الحاضر، ولا يوجد أي داعي، لأنه نحن لو تصورنا أن الـ 600 ألف وظيفة جديدة، إذا قلنا إن عدد العاطلين 300 ألف، فلو اكتفينا بنصف الأعمال التي قَدِمَتْ في العام الماضي لحُلّتْ مشكلة البطالة.

- السَعودة في وظائف مستحدثة وليس في الوظائف الموجودة الآن الحديثة؟

- الوظائف المستحدثة تكفينا وتزيد، لو استطعنا أن نُسعْوِد فيها، أيضاً أحب أن أقول: لا أؤمن 100 في المئة سَعْوَدة، أي لا توجد ضرورة 100 في المئة سَعْودة. أعتقد أن وجود عنصر أجنبي ضروري من أجل الاستفادة من خبرات معيّنة، وحتى من ثقافات معيّنة، يعني أنا سوف أكون سعيداً جداً لو وصلنا إلى 75 في المئة سَعودة في أي قطاع من القطاعات، ولا أعتقد أنه في يوم ما في المستقبل القريب، أو حتى البعيد، أن المملكة ستستغني نهائياً عن الأجانب، يعني القطاع الطبي وحده، فالقطاع الطبي عندنا بالمهن الطبية والطبية المساعدة يمكن أن نحتاج خلال العشر سنوات القادمة إلى 50 ألف وظيفة، معظمها سوف يأتي من خارج المملكة.

- هل استفدتم يا دكتور من أحداث الإرهاب، والقلق الذي صار عن بعض العمالة الأجنبية المتخصصة مثلاً لجهة إحلال السعوديين؟

- هذه فكرة لم تطرأ على بالي، بأن موضوع الإرهاب يمكن أن يساعدنا في حل مشكلة البطالة، لكن من إحصائيات وزارة الداخلية لا يبدو أن هناك أي نوع من أنواع الهجرة، لا المحدودة ولا الواسعة، بين أوساط الوافدين في المملكة على أساس هذه الأحداث. الآن أصبح الإرهاب ظاهرة دولية يمكن في بلدهم كثير منهم. هناك إرهاب لا يقل عن هذا، أو قد يزيد.

- طيّب، دكتور تحدثت عن هذا خلال تصريحاتك الماضية أيضاً.

- تصريحات أيضاً!

- في هذا الملف لا بد من الاستناد إلى تصريحات، وأنت صرّحتها خلال أسابيع قليلة.

- يبدو عندك مخبرين يبحثون عن تصريحاتي! العامل السعودي بدأ يقبل بكل المهن، وهذه بداية الإصلاح.

ليس هناك مهن وضيعة

- صحيح، تحدّثت دكتور أنه لا بد من أن تنتهي أسطورة تتحدث عن أن السعودي لا يقبل العمل بالمهن اليدوية، يمكننا القول إن المهن متدنّية الأجور؟

- لا، لا ما أعتقد أن هناك مهناً، إن جاز التعبير يعتبرها المواطن السعودي وضيعة، أو لا تليق به، أريد أن أعرف ما هي هذه الوظائف؟ لأني أرى بنفسي أن السعوديين يعملون في الصرف الصحي، يعني في وظيفة مثل الصرف الصحي، إذا كنا نتكلّم عن إنسان لا يُريد ملامسة الوساخة بيده، فإن الصرف الصحي في وزارة المياه والكهرباء عندما أعلن عن عشرين وظيفة تقدم للحصول عليها 200 و300 و400 و500 عامل... وهناك طباخون، وأنا غداً سوف أذهب لمقابلة مجموعة كبيرة من متدرّبي الطباخين والحلاقين، هناك دفعات كثيرة من الحلاقين.

- تقصد في جدة؟

- في جدة، وفي مكة المكرمة أيضاً، هناك دفعات كبيرة من الطباخين مستمرة، ومن الحلاقين، ومن سائقي سيارات الأجرة، ومن العاملين في الصرف الصحي، ومن العاملين في الفنادق، ومن الذين يشتغلون نوادل أو غرسونات، أو حتى يشتغلون البل بوي. أنتم ماذا تريدون من السعودي أن يعمل؟ يعني قصة أن السعودي يأنف من هذا... العمل أو ذاك، أنا لا أرى وظيفة الآن السعودي يأنف من العمل بها.

- حتى وظيفة مدير عام؟!

- حتى وظيفة وزير. يعني هذا التشبث على البقاء في قوقعة الماضي، السعودي لا يعمل، السعودي غير منضبط، السعودي يطلب أجرة كبيرة، رجل الأعمال لا يفكر إلا بالمصلحة، رجل الأعمال عدو للمواطن. هذه كلها أساطير يجب أن نتخلّص منها، يجب أن ننظر.

- وهل تعتقد أن الأمر انتهى تماماً؟

- لا لم تنتهِ تماماً، لكننا عندنا صورة فيها جوانب مضيئة وجوانب مظلمة أيضاً، فيها جوانب إيجابية وجوانب سلبية. أنا أقول لماذا لا نركّز على الجوانب الإيجابية ونقوّيها ونوسّعها، ونترك الجوانب السلبية. الجوانب الإيجابية الآن موجودة في كل مكان.

تكريم رجال الأعمال

- طيب الجوانب الإيجابية، لكن لماذا يا دكتور ما تحدّثت عن ما فعله رجالُ الأعمال مع السَعودَة خلال السنوات الماضية؟

- تحدّثتُ بإسهاب، لكن الصحف لا تنشر، ألا تعرف قصة الذي يعض الكلب!

- عضّ كلبُ رجلاً...!

- لا تنقل الصحف مثلاً تكريمنا في «منتدى الموارد البشرية» عشرين أو ثلاثين من رجال الأعمال مثلاً!

- نقلتها الصحف، للأمانة يا دكتور، لكن أثر هذا عند الناس ليس قوياً، يعني هل هذه هي الإشكالية، أم أن الصحف تنقل الجانبين؟

- شوف، شوف يا تركي، أنا أقولك بكل صراحة إن في رجال الأعمال من وصل إلى سَعودة 100 في المئة، ومنهم عدد كبير جداً يملكون مؤسسات كبيرة جداً، لا تزال السَعودة فيها تساوي صفراً، أي يعني يرفضون أن يعينوا مراسلاً سعودياً مثلاً، فهل تتوقع مني أن أعامل الجميع بالمعاملة نفسها، لا أستطيع هذا، سوف أهيل على النموذج الأول الثناء والشكر والتقدير.

- نعم الثناء والشكر والتقدير، لكن كيف يمكن أن تقدموا إليهم أشياء عملية وإيجابية؟

- أشياء عملية عندما يطلب تأشيرات دخول إلى المملكة، ففي حد علمي واستطاعتي أمنحه إياها، وفي المستقبل يمكن التفكير في حوافز أخرى، ليس هناك مشكلة من هذا النوع، لكن هناك مؤسسة فيها ألف عامل، لا يوجد فيها عامل سعودي واحد، فهل تتوقع مني أن أكتب له قصيدة ثناء؟

- أتوقع قصيدة هجاء؟

- مثلاً، أو أن نقول له «يا أخي استحي شوي».

- يا دكتور أنا ليس لي مصلحة أن أفزع لرجال الأعمال، بقدر ما أحاول نقل وجهة نظر الطرف الآخر.

- لا، لا بالعكس، ليس عندي مشكلة مع رجال الأعمال، أنا قلت: هذه الوزّة التي تبيض وظائف أنا معتمد عليها في الوظائف التي أطمع أن يعمل فيها العامل السعودي، فلا توجد لديّ مصلحة في التضييق على رجال الأعمال، لكني كل ما أقوله إنني ألتقيهم في منتصف الطريق، هذه أول مرة وزير عمل يقول: لن أطلب من أحد نسبة 100 في المِئة، أليس هذا تنازلاً كبيراً؟! لأول مرة أقول سوف أجلس معكم ولن أُطالبكم بشيء، لا تستطيعون تحقيقه لأول مرة، أقول اجلسوا معنا وأخبرونا عن حاجتكم وسوف نعمل برامج تدريبية. أريد أن ألتقي معهم في منتصف الطريق، مع الأسف هناك أقلية لا تستطيع أن تتفاهم معها، كما أن هناك أقلية من البيروقراطيين الحكوميين الذين يركبون رؤوسهم ويأخذون قرارات تعسفية، كما أن هناك أقلية من العمال السعوديين غير المنضبطين، يأتي شخص عندك اليوم وتدرّبه، وتصرف عليه خمسين ألف ريال، ثم يخرج ويتركك، يعني هناك سلبيات... ما في شك.

القطاع الخاص وتدريب العمالة

- وضعت هذه النقطة يا دكتور ضمن الأسئلة، هناك حديث عن ضرورة أن يدرب القطاع الخاص السعوديين لتأهيلهم للوظائف، هناك دائماً أو غالباً ما يتحدث رجال الأعمال بإنهم دربوا هذا ونصرف عليه وبعد ذلك يتركوننا؟

- هذا صحيح.

- كيف ستوفّرون؟ هل ستقولون يكفي أن تدربوا لأجل الوطن؟

- لا، لا التدريب من أجل الوطن لا يضيع، ولا يذهب العرف بين الله والناس، لكن بعضَ رجال الأعمال أيضاً يديرون أعمالهم بطريقة فوضوية، لا توجد إدارة لشؤون الموظفين جيدة، ولا توجد ملفات، ولا يوجد إدارة موارد بشرية، والآن الأخ محمد جميل، وأنا أذكر اسم الأخ محمد جميل، لأنه قام بتدريب المئات، وعن قريب سيصل العدد إلى آلاف السعوديين، وهو لم يدرب أحداً منهم مجاناً، جميعهم درّبهم بقروض، وجميعهم يُسدّدون القروض، صحيح أنها قروض من غير فوائد، وقروض حسنة، لكنهم يُسدّدون القروض، ونسبة التسديد أكثر من 90 في المئة، ليس هناك ما يمنع رجل الأعمال من المشاركة مع الوزارة في إعداد برنامج، بحيث أن التدريب الذي يحصل عليه العامل هو قرض يُسدّده، ولا في أي شيء يمنع رجل الأعمال من وضع عقد، فالعقد شريعة المتعاقدين، يقول: إذا أنت خرجت قبل سنتين أو ثلاثة أو أربعة تُرجع لي ما أنفقته على تدريبك، هذا كله وارد ممكن أن يكون.

- ستضمنون في مكتب العمل ما يحفظ حق التاجر؟

- شعار اللجان العمالية مثل شعار أي جهة قضائية في العالم، العقد شريعة المتعاقدين، وإذا صار اتفاق على أنه إذا خرج المتدرب يدفع التعويض، فاللجان العمالية سوف تحترم هذا النص.

- نعم، طيب دكتور هناك تصريح لك أيضاً.

- ما عندي تصريح جديد غير هذا؟!

- هناك تصريحات أخرى، كما أرجو أن يُتاح لها وقت، تصريحات كثيرة ما شاء الله، صرّحت كثيراً في فترة قصيرة لأن الملف ساخن، هناك من يتحدث عن أن الحكومة السعودية تنوي أن تفرض ضريبة على الأجانب لأجل تعزيز موقع السَعودة، هل هذا صحيح؟

- في الوقت الحاضر، كما يعرف الأخوة المشاهدون، هناك ضريبة أو رسم الضريبة غير الرسم 2000 ريال على التأشيرة، وهناك رسوم تجديد، لكن لمعلومات الأخوة المشاهدين والأخوات المشاهدات، لم تؤدِ هذه إلى نقص حتى 1 في المئة من العمالة الوافدة، بالعكس تضاعفت الرسوم، ورسوم التجديد، ومع ذلك لم ينقص عدد القادمين عاملاً واحداً. لكن ردّاً على سؤالك، هذه الأمور أنا أعتبرها آخر العلاج الكيّ، يعني في النهاية، الحل الجذري هو أن تجعل العامل الأجنبي عالي التكلفة، بحيث تفوق تكلفته تكلفة العامل السعودي، أنا أفضّل أن أخلّي هذا أو الدولة تفضل أن تخلّي هذا آخر المطاف، وأرجو أن لا نصل إليه.

- آخر العلاج...!

- آخر العلاج الكيّ، لكن في الوقت الحاضر لا توجد نيّة لزيادة الرسوم، لا رسوم الاستقدام ولا رسوم التجديد.

محاباة الشركات الكبيرة

- بالعودة إلى تصريحاتك، أنك ستتشدد في منح التأشيرات للشركات الصغيرة، مع أن شريحة عريضة من المجتمع تستفيد

من هذه الشركات الصغيرة، لماذا استهدفت الشركات الصغيرة دون الشركات الكبرى؟

- أولاً أنا أشكرك، لأنه هناك كما يبدو نحن قصّرنا في شرح بعض الحقائق، الكلام هذا نُشِر في الصحف، وفي الإنترنت على نطاق أوسع، وفي هذه الأيام الفرق بين ما يُنشَر في الصحف والإنترنت أصبح ضئيلاً جداً، خصوصاً في مستوى بعض الكتابات لا يكاد يوجد فرق.

- هذا ثناء على الإنترنت دكتور؟

- يعني ذلك.

- فيه إساءة للصحافة؟

- افهمها أنت كما تشاء، لكن في الواقع الدولة عندها نسبة سَعودة مرتفعة، عندها نسبة السعودة 90 في المئة، أرامكوا دائماً تقول لماذا لا تتشرط على أرامكو، أرامكو عندها نسبة السعودة 90 في المئة، لماذا لا تتشاطر على سابك، سابك عندها 87 في المئة، شركة الكهرباء عندها 85 في المئة، شركة الاتصالات عندها 84 في المئة، هؤلاء أكبر داعم للشاب السعودي في الوظائف، شركة الكهرباء عندها 25 ألف وظيفة.

- هذه قطاعات شبه حكومية يا دكتور في النهاية؟

- لا، لا، الآن شركات، الكلام لماذا ما تتشاطر عليهم، لا تتشاطر عليهم!

- لماذا لم تتشاطر على القطاع الخاص يا دكتور الذي عنده شركات كبيرة، لكن ما عنده سَعودة؟

- يعني جميعهم.

- لماذا تقصَّدت الشركات الصغيرة دون غيرها؟

- كنت أشرح لك قبل قليل.

- لأنها فيها نسبة عالية من السَعودة؟

- لأن المؤسسات الصغيرة هي الأكثر متاجرة بالتأشيرات، كما شرحت لك قبل قليل، ما عندنا أحد نتشاطر عليه، وآخر لا نتشاطر عليه، يعني عندنا مشكلة نعالجها من كل جوانبها، نعالجها مع الشركات الكبيرة، ذكرتُ لك قبل قليل نُعالِجُها مع الشركات الصغيرة، لكن أنا أرجو إنه نبتدئ نفكر في شيء اسمه العامل السعودي، لماذا أول شيء يفكر فيه المواطن عندما يبدأ بمؤسسة أريد عمال، أريد عشرين عاملاً، لماذا ما يفكر يا أخي المطاعم في كل محل في العالم، كل مطاعم في العالم من يديرها؟ تديرها الأسرة نفسها الأب، الابن... فنحن عندنا أي إنسان يفكر في أن يبدأ في رزق أو في تجارة لا يفكر إلا في العمالة المستوردة، يعني لماذا لا تصبح العمالة جزءاً من المعادلة.

- يمكن هذا مظهر إنساني، يعني اهتمام بالإنسان قبل الأشياء يا دكتور؟

- يجوز، لكن كنا نقول نريد من الشاب السعودي الطموح أن يكون طموحاً بالفعل، أن يبدأ عملاً بنفسه، لا نريده إنساناً قاعداً

فقط يفكر بجلب عشرين عاملاً مثلاً، أو 25 عاملاً، هذا ما هو طموح، هذا استغلال، وأرجو يعني بالفعل العامل الطموح يبتدئ هو يخدم في مطعمه، ثم يأتي بزملاء له يخدمون في المطعم، ثم يتوسع المطعم على العين والرأس يصل يبني فندق إن شاء الله، أنا أعطيه ما يحتاج إليه من عمالة.

عام واحد للقضاء على البطالة

- دكتور قلت!

- في تصريح كمان؟!

- في تصريح أيضاً، أكيد أنا ما أسمعك في مجالس، أسمع لك تصريحات، قلت يا دكتور في تصريح إنني سأقضي على البطالة خلال عامٍ واحد، إذا لم تقضِ عليها خلال عامٍ واحد ماذا نعمل؟

- لا، لا هذا كلام لم أقله، ولا يقوله إنسان عاقل، البطالة كما شرحنا قبل قليل مشكلة تحتاج معالجتها إلى حُزمة من الإجراءات، وإلى وقت، قلت سوف تظهر. كنت أتكلم عن الحد من سياسة خفض سقف العمالة الوافدة، وقلت سوف تظهر آثار إيجابية لهذا القرار خلال سنة.

- ما قلت بالقضاء عليها خلال سنة؟!

- لا، لا أنا قلت القضاء على البطالة يتطلب بضع سنين، وأضفت أيضاً أنه في اللغة العربية بضع من ثلاثة إلى تسعة.

- من ثلاثة إلى تسعة، لكن هناك أناساً يعتبرونه تراجعاً يا دكتور، وإلا لِمَ تنقل الصحف؟

- إما أن أُكذّب أو يعتبر تراجعاً؟ هذا الكلام الذي قلته، قلت سوف تلمسونه خلال سنة، على كل حال لا بد من أن يكون الحديث مسجلاً، ولو كنت أعتقد أنه بوسعي أو بوسع الدولة القضاء على البطالة خلال سنة، فبالعكس هذه بشرى.

- يحتاج إلى وقت.

- يحتاج إلى بضع سنوات، وأرجو ألا يحتاج إلى أكثر، يعني لم تصل الآن إلى أنها تخرج عن السيطرة.

2 - تعيينُ الوزراء وصناعة القرار[1]

تعيين الوزراء بحسب الكفاءة

- سنتحدّث عن غازي القصيبي الذي تولّى أربع وزارات، وشارك في أكثر من تشكيل وزاري في المملكة العربية السعودية، لنتناول من خلاله، كيف يعمل مجلس الوزراء في السعودية، سأبدأ معالي الوزير من السؤال الذي يَبدُر في أذهان كثير من الناس، كيف يتم اختيار الوزير في المملكة العربية السعودية؟

- هذا سؤال جيد، ووقتي في الوقت نفسه. عموماً تعيين الوزارات في كل أنحاء العالم يتم على أساس نوعين، إما الكفاءة، وإما الولاء، في الأنظمة الحزبية والأنظمة الدكتاتورية والأنظمة الشمولية، عموماً كما تعرف، الولاء يأتي قبل الكفاءة، جميع الذين يُعيّنون إما من حزب أو محسوبين على حزب، أو على الدكتاتور، نحن من حسن حظ المملكة السعودية لا توجد عندنا حزبية ولا دكتاتورية، فأعتقد أن المعيار في تعيين الوزير هو توخّي الكفاءة. أقول توخّياً لأن صانع القرار يبذل جهده في البحث عن الكفاءة، لكن بطبيعة الحال لا يوجد نظام مضمون يأتي بهذه الكفاءة، فقد يوفق صاحب القرار في العثور

(1) أُجري اللقاء في 12 شباط/فبراير 2007.

على الكفاءة المنشودة، وقد لا يوفّق، لكن بحسب علمي البحث دائماً يتم عن كفاءة، وليست عن ولاء، لأن الدولة تفترض ولاء الجميع لها.

- ألا يوجد في تقديرك معايير واضحة لمسألة الكفاءة؟

- أعتقد ينشأ هناك نوع من التوافق في المجتمع حول بعض الأشخاص، أنهم استطاعوا أن يبذلوا جهوداً، وينجحوا في مجال معيّن، مثلاً رجل تولّى إدارة مؤسسة نجح فيها تكثر الترشيحات لتعيينه وزيراً، دائماً يُقال يا ليت والله، فلان نجح والله خلينا نقول يصلح وزير، إذا كثرت كلمة يصلح وزير وتداولها الناس، وخصوصاً في القرارات المرتبطة بصنع القرار، أعتقد في النهاية هذا هو المعيار.

- بمعنى هناك صدى للقرار الذي يتخذه الملك لاختيار الوزراء باعتباره رئيس مجلس الوزراء، فيه صدى شعبي للاختيار أحياناً، يصلح وزيراً، مثل ما تفضّلت يتردد على ألسنة الناس، فيمكن أن يرى من الذي يصلح وزيراً؟

- يعني هناك لجنة عُليا يرئسها صاحب السمو الملكي، الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد، هي المعهود إليها اختيار الوزراء، ومكوّنة من عدد من أصحاب السمو الملكي وأصحاب المعالي، لن أقول لك أسماءها حتى لا تكثر المكالمات و(يضحك).

لجنة عُليا لاختيار الوزراء

- هل اللجنة سرّية غير مُعلنة؟

- باعتبار اللجنة لا تقوم بعمل ذي طبيعة عامة، يعني زي ما قلت لك لو عرفوا الناس الترشيح سيُتصل بعضو من الأعضاء، وهي للوزراء،

ونواب الوزراء ورؤساء المؤسسات العامة، فهذه اللجنة موجودة، وهي التي تصب فيها الاقتراحات، ثم ترفع إلى خادم الحرمين الشريفين الذي في النهاية بطبيعة الحال يتخذ القرار. تتبع هذه اللجنة كل الأساليب الممكنة: السؤال، التحري، كما قلت قبل قليل عندما يتوافق الناس على شخصية معينة، يعني العملية لا تتم ببساطة، ولا تتم عفوياً، إنما يسبقها فترة طويلة من الاختيار، ومن استعراض أسماء كثيرة، يعني بالتأكيد التشكيلة النهائية قد تكون عشرين وزيراً، إنما بالتأكيد مرت على اللجنة هذه أضعاف هذا العدد.

- عشرات الأسماء وربما أكثر، المئات؟

- مئات! أعتقد لا تصل الأسماء إلى مئات، لكن إلى عشرات الأسماء.

- طيب هل يُرفع إلى الملك أكثر من اسم، أم أشخاص، وفلان صالح للوزارة الفلانية؟

- لا، لا يعني هي بحث كامل عن خلفيات المرشح وإنجازاته والأسباب التي دفعت إلى ترشيحه.

- يُقدّم اسم المرشح إلى وليّ الأمر؟

- نعم. وفي العادة يُقدّم لكل وزارة ثلاثة مرشحين، مع خلفية حول كل واحد، والملك في النهاية هو الذي يتخذ القرار. طبعاً قد يقع اختيار الملك على شخص من دون أن يمر عبر هذه اللجنة.

الملك قد يختار بعيداً من اللجنة

- يعني قد يكون الاختيار خارج الترشيحات التي تُقدّمها اللجنة؟

- نعم، وقد يكون أحياناً يعني مفاجأة، الملك يختار شخصاً لم يكن اسمه مطروحاً، أو العكس، ربما يكون، ونأتي هنا إلى موضوع التكهّنات، قد يكون هناك اسم مطروح، لكن في النهاية لا يقع عليه الاختيار، لسبب أو لآخر، فلا يظهر اسمه، لذلك أنا قلت، أظن أني قلت في «حياة في الإدارة» إنه يجب أن يصبر الإنسان حتى يسمع اسمه يُذاع عبر الإذاعة في التشكيل الوزاري قبل أن يتصرف وكأنه عيّن.

- أشرتَ في «حياة في الإدارة» أنه بعد أن بُلِّغتَ بأنك أصبحت وزيراً للصحة كان في تلك الليلة بضعة أشخاص يتلقون مكالمات تبارك لهم بأنهم أصبحوا وزراء للصحة!

- نعم أعتقد يحصل هذا مع كل تشكيل وزاري.

- طيب، دكتور، أشرتَ قبل قليل إلى مسألة سكّة الحديد، وقد ذكرتَ في كتابك «حياة في الإدارة» أنه أصبحت سكة الحديد مدرسة لتدريب الوزراء، ربما كنت آخر وزير خرج من السكة هل ما زال ذلك جارياً؟

- لا، لا.

- هل ما زالت سكة الحديد مدرسة لتأهيل الوزراء؟

- لو نحسب عدد الذين تخرجوا من هذه المدرسة -إن صحَّ التعبير- منهم: معالي الأستاذ عبدالرحمن علي آل الشيخ أصبح وزيراً

بعد أن كان مديراً للسكة، ومعالي الأستاذ عبدالعزيز القريشي، أصبح وزيراً بعد أن كان مديراً عاماً للسكة.

- في مرتبة وزير تقصد؟

- لا، لا. أصبح وزير دولة لفترة طويلة، والأخ خالد القصيبي الذي أتى بعده أيضاً أصبح وزيراً، بعد خالد أتيت أنا، أيضاً دخلت الوزارة، بعدي أتى الأستاذ عمر فقيه أيضاً دخل الوزارة، فكم صار العدد؟ خمسة عملوا في السكة. أنا على كل حال أستبق سؤالك أعتقد كان ذلك محض الصدفة، وليس بالفعل كانت سكة الحديد مدرسة لتدريب الوزراء.

من أين يأتي الوزراء؟

- طيب هل هناك فعلاً أشبه ما يكون بمعاهد لإعداد الوزراء؟ فهناك تحليلات صحفية كثيراً ما تذكر أن مجلس الشورى، بعد تشكيله في بداية التسعينيات في عهد الملك فهد، بات هو معهد تخريج الوزراء، فتخرّج بضعة أو أكثر من بضعة وزراء، العديد منهم اختير من مجلس الشورى؟

- يا أخ تركي أنا قلت لك يمكن أهم شي أن يبرز حول الشخص نوع من التوافق على أنه فاعل في أدائه، هذا قد يبرز في مجلس الشورى، وقد يبرز في الجامعة، وقد يبرز... وأعتقد أن هناك مواسم في الحياة السياسية، يعني مثلاً في الماضي كان الموظفون أو الوزراء في الغالب من موظفي الدولة، أيٍ في التشكيلات الأولى، أن وكيل وزارة يصبح بصفة شبه تلقائية وزيراً، حصل في عهد حكومة الدكاترة إن كنت تذكر.

يأتون من الجامعات ومجلس الشورى

- تقصد التكنوقراط؟

- أظنك لا تذكر، إن الجامعة كانت هي المحل الطبيعي أو مكتب التوظيف، معظم الوزراء أتوا من الجامعة، لأنها عند نشأتها كان عدد الدكاترة السعوديين قليلاً، ويلفتون الأنظار، وكانت ظاهرة الدكتور جديدة.

- يعني دكاترة قليلين في مجتمع ليس فيه الكثير من الأكاديميين؟

- صحيح صحيح، وبعضهم كان نشطاً، بعدها جاء مجلس الشورى، بالفعل مجلس الشورى يتيح فرصة للظهور، وتتيح التصريحات في الصحف الظهور أيضاً، والآن يتم الظهور عبر بعض الجلسات.

- وعبر النقاشات في مجلس الشورى؟

- نعم عبر النقاشات، وهي تُذاع على الملأ، طبعاً مجتمع الأعمال كان دائماً أيضاً مجالاً لتعيين بعض الوزراء منهم.

- كيف يُبلّغ معالي الدكتور غازي القصيبي، الوزير، باختياره وزيراً؟ هل يُبلّغ قبل ذلك أو يسمع بالإعلام؟ مثل ما أشرت أنت في «حياة في الإدارة»؟

- أنا لم أعاصر تلك الفترة، لكن حصل أيام جلالة الملك سعود (رحمه الله) أن عُيّن الأستاذ محمد سليمان الشبيلي، وكان سفيراً، وعُيّن بالصدفة وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية، وبعد أن عُين اعتذر

عن قبول التعيين وزيراً، بالقول: لا أحب أن أكون وزيراً، أنا سعيد في عملي كسفير.

- اعتذر بعد أن عُيّن رسمياً، وأعلن أنه عُيّن؟

- بعدما صدر التشكيل الوزاري، ولم يقسم اليمين، فمن ناحية قانونية صرفة يُعتبر لم يباشر عمله، ولذلك عندما وضعتُ صور الوزراء السابقين في مبنى الوزارة الجديد لم أضع صورته معهم، ليس إهمالاً مني بفضله، وهو رجل كما تعرف يكاد يكون أسطورة، وإنما لأنه لم يداوم في الوزارة، بعد ذلك اتخذ قرار على مستوى القيادة السياسية أن لا يُفاجأ أحدٌ بتعيينه وزيراً.

أخذ موافقة الوزير قبل توزيره

- يُبلَغ مِن قبل؟

- بل يجب أن يُبلّغ المرشح للوزارة، ويجب أن تؤخذ موافقته، لذلك أنا لا أفهم الذين يقولون أنا فوجئت بتعييني، أو سمعت الخبر بتعييني.

- هناك من يقول فوجئت بتعييني.

- لا بد من أنك سمعت بشيء من هذا النوع.

- أنا أسألك يا دكتور؟

- أنا سمعت، ولا أدري، لا أود أن أُكذّب أحداً، لكن جرى العُرف أنه قبل التعيين يُبلّغ الوزير المرشح. يُبلغ قبل ثلاثة أو أربعة أيام، إما عن طريق رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء، أو رئيس الديوان الملكي،

أو أحد مستشاري خادم الحرمين الشريفين، أن يتصل بالشخص المرشح، ويقول له: لقد وقع عليك الاختيار لشغل الوظيفة الفلانية، فبطبيعة الحال هو من ناحية نظرية يستطيع أن يعتذر، لكن لا يُعيّن إلا إذا وافق وأُخبر، لذلك أنا الآن على الأقل خلال العشرين سنة الماضية لا أعتقد أن أحداً فوجئ بتعيينه وزيراً في نشرة الأخبار، لكن فوق كل ذي علم عليم.

- جميلٌ، أيضاً إعفاء الوزير أو انتهاء مدة خدمته هل تتم بالطريقة نفسها، يُبلّغ أم أيضاً يسمع من نشرة الأخبار؟

- يعني في معظم الحالات عندما يُعاد التشكيل، يُوجّه الملك قبل إعلان التشكيل رسائل شكر إلى الوزراء الذين انتهت خدمتهم، يشكرهم فيها على خدماتهم السابقة.

- بمن فيهم الأشخاص الذين سيُجدَّد لهُم؟

- الذين سيُجدَّد لهم لا، يُخبَرون أنهم سيُجدَّد لهُم، لكن الذين انتهت مدة تكليفهم، لا يُفاجأون، قد تحصل في حالات معيّنة أن يصدر قرارٌ بإعفاء وزير من دون أن يكون لديه علم مسبق، لكن هذه حالات نادرة.

- طيّب دكتور، السؤال المهم هل تعتقد أن الوزير لا يقوم بعمل مهني في أثناء وزارته؟

- لا، لا، قصدي هناك مهن معروفة، شخص مهنته المحاماة وآخر مهنته كذاك.

- لكن ليس هناك مَن مهنته الوزارة.

- إنما ينبغي ألا يكون هناك شخص مهنته الوزارة، الوزارة تكليف، وبطبيعته تكليف موقت، قد يمتد بعض الشيء أو يطول، لكني لا اعتقد أنه يجب أن يتحوّل إلى مهنة، إذا تحوّل إلى مهنة يعني أن الحماسة والاندفاع والرغبة في إحداث التغييرات، التي هي الصفات الضرورية في الوزارة، سيضعُف، حيث يتحوّل العمل إلى عمل روتيني.

- تقصد يتحوّل العمل إلى روتين يومي؟

- عندما تكون أنت محامياً أو طبيباً، يعني عملك يتكرر كل يوم، الوتيرة نفسها، والأسلوب نفسه، كلما كان العمل مقنناً وتحكمه قواعد معروفة؛ كلما كان ذلك أفضل بالنسبة إلى المهنة، لكن الوزارة تحتاج إلى تجديد مستمر، وإلى مبادرات مستمرة، واعتقد أنها إذا تحوّلت إلى مهنة فسوف تُضرّ بالكفاءة.

مخاطِر المنصِب

- تُضر! طيب، أشرت أيضاً في الكتاب نفسه دكتور غازي إلى أن لكل مهنة مخاطرها، وأشرتَ في هامش الكتاب بعد أن تحدّثتَ عن أن الحلاق مثلاً خطره المهني أنه يتكلّم!

- الثرثرة.

- نعم الثرثرة، وتحدّثت عن الأخطاء المهنية، ثم قلت هل ذكرت الوزراء؟ أقول إن الغرور أو شيئاً من هذا القبيل!

- أنت أولاً قل لي ما هو الخطر المهني بالنسبة إلى الصحفيين؟!

- الخطر المهني بالنسبة إلى الصحفيين، هو غضب الوزراء عليهم، إن الدولة تعتب عليهم.

- هذا فقط؟

- لا، حتى هذا، في كل المهن غرور بطبيعة الحال.

- هذا وارد فيها.

- وارد فيها؟

- طبعاً بطبيعة المنصب الإداري العالي، ومن طبيعة البشر في كل مكان وزمان، أن يُخاطب بأسلوب معيّن، بعبارات من التفخيم، عندما تكون معارضةً تكون معارضةً بأسلوب هادئ ورقيق، وقد لا تكون، أعتقد أن الإنسان إذا لم تكن لديه حصانةٌ نفسيةٌ بعد فترة يبدأ يقول والله آرائي كلها صحيحة.

- يُصدّق...!

- يُصدّق نفسه، وإذا صدّق الإنسان نفسه فهذه مشكلة، فمن حُسن الحَظ...!

- هل يسمح...!

- أقول من حُسن الحَظ عندنا، وعند غيرنا، إن أكثر الذين يُختارون للمنصب الوزاري تكون لديهم قوّةُ شخصية، ما يجعلهم فوق التأثر بهذه، لكن هذا خطر وارد... بالتأكيد وارِد.

- أن يُداهمَه الغرور فيعتقد «نعم» التي يسمعها حقيقية، وأن آراءه عظيمة.

- كلما تُبدي رأياً يقال لك إنه رأي عظيم، كل ما تُبدي فكرة يقال لك إنها فكرة عظيمة، بالتأكيد كثير من الموظفين العاملين معك سوف يقولون هذا، والاستماع إلى هذا «النفاق» هو محنة في الواقع، لكن لو صدّقتها فستتحول المحنة إلى مصيبة، أو إلى كارثة.

الوزير ووسائل الإعلام

- طيب. أشرتَ قبل قليل إلى مسألة الإعلام، في ما يتعلّق بتعاطي الوزير مع الإعلام، يعني عند بعض الوزراء هاجس بسيط من انتقاد الإعلام، لأنه اعتاد أن في الوزارة لا ينتقده أحد؟

- دعنا نقول إن للصورة جانبين، بالتأكيد يريد الوزير، أو أي شخصية عامة، جَنى النحل من دون ...!

- اللسع!

- يريد العسل من دون إبر النحل، وبالتأكيد أنه يعني كل إنسان. أنت وأنا نُسرُّ بالإطراء، ونغضب أو لا نرتاح للنقد، عندما يتخذ النقد جانباً شخصياً أنا أو أنت أو أي إنسان، نشعر بنوع من عدم الرضا، لا أعتقد أن الوزراء يختلفون في هذا عن غيرهم، يعني دعنا نأخذ مثلاً الشعراء، ينطبق هذا عليهم أيضاً.

- لكن الشعراء لا يتعاطَون العمل العام.

- يتعاطون مع نقدهم، يعني أيضاً الشاعر شخصية عامة. لا أعتقد أن الوزراء يختلفون عن غيرهم في هذا الشيء، إنما أحياناً ترى ذلك لأن الوزير شخصية عامة، أو لأن خدماته يتأثر بها الجميع،

اعتقد أنه يتعرض للنقد، وبطريقة عنيفة، يندُر أن يتعرّض لها غير الوزراء. لا أقولها شكوى من رجال الصحافة، بل أقولها بحكم طبيعة الأمور، أنت عندك رجل مسؤول عن قطاع واسع جداً، بلاش نقول العمل، التلفونات كل إنسان عنده مشكلة من نوع أو آخر مع التلفون، فأحياناً تفتح الصحيفة وتلقى عشر مقالات كلها نقد عليك، بالتأكيد تشعر بنوع من المرارة. لكن في النهاية للوزراء، ما يسمونه بالإنكليزية، جلوداً سميكة، تتكسر النصال على النصال.

العمل داخل مجلس الوزراء

- العديدُ من الناس لا يعرفون تفاصيل العمل داخل مجلس الوزراء، بل اعتبروا أنك كشفت أسراراً عندما تحدّثت في «حياة في الإدارة» عن طريقة عمل المجلس. في أكثر من عقد كنت وزيراً، كيف يُدار العمل في مجلس الوزراء؟ كيف تُدار شؤونه؟

- للعمل داخل مجلس الوزراء جانبان: الإداري والهيكلي، هذا معروف ومنشور وتُنظّمُه مراسيم وأنظمة، بمعنى ليس هناك جوانب سرّية، مداولات مجلس الوزراء في المملكة، وفي غير المملكة، ليست هناك سرية، ونظام المجلس ينص على أن المداولات التي تتم قبل الوصول إلى قرار أنها تبقى مداولات سرية، وهذا الشيء موجود في كل محل في العالم، لكن تنبثق من المجلس لجنة اسمها اللجنة العامة، تتألف من أحد عشر وزيراً.

- عفواً هل من الممكن التعرف على وظيفة اللجنة العامة؟

- أقول لك: تنبثق من اللجنة العامة لجنة فرعية ولجنة تحضيرية. اللجنة التحضيرية تتلقى كل ما يأتي إلى مجلس الوزراء،

ومكوّنة من ستة وزراء، واللجنة العامة مكوّنة من أحد عشر وزيراً، وهي التي تتخذ القرار.

- وماذا عن اللجنة الفرعية؟

- لا، اللجان اثنتان، العامة والفرعية، والأخيرة هي التحضيرية.

- أعضاء التحضيرية غير الأعضاء اللجنة العامة؟

- لا، هي جزء منها، هي لجنة متفرعة من اللجنة العامة. فيأتي الطلب، يعني تأتي إلى مجلس الوزراء طلبات من وزراء، قرارات، أشياء، فاللجنة، نستطيع أن نسميها اللجنة الفرعية، هي المصفاة التي تمر بها أي معاملة قادمة إلى مجلس الوزراء.

متى وكيف تُعرَض القضايا على المجلس

- هل هي اللجنة التي تحضّر الأعمال؟

- قبل التحضير، تقرر مثلاً هذه تحتاج إلى دراسة قانونية، إذن تُحال إلى شعبة الخُبراء، إلى هيئة الخبراء التي هي عبارة عن مجموعة من المستشارين القانونيين، أو ترى أن هذا الموضوع يعني ليس من اختصاص مجلس الوزراء، بل من اختصاص مجلس آخر، مثل مجلس البترول الأعلى، أو مثلاً المجلس الاقتصادي الأعلى، إذن تُعيدها إلى ديوان الرئاسة، كل شيء يمر على مجلس الوزراء، يمر أولاً على ديوان الرئاسة، يعني عندما يُعرَض موضوع، يُعرَض على رئيس الديوان، الذي يَعرضه بدوره على خادم الحرمين الشريفين، ثم يقرر خادم الحرمين الشريفين عرضه على المجلس.

- تعني رئيس ديوان مجلس رئاسة الوزراء؟

- نعم، الخطوة الأولى هي اللجنة التحضيرية، أو التي نُسمّيها اللجنة التحضيرية، أو اللجنة الفرعية. بعدها تُقرّر اللجنة الفرعية أن هذا يحتاج إلى مزيد من الدراسة، أو تُقرّر أن يذهب إلى اللجنة العامة. واللجنة العامة لا تعرض شيئاً على مجلس الوزراء إلا بعد أن يناقش بالتفصيل وفي تفاصيله، ويحدث النقاش، وقد يكون النقاش عنيفاً، أو قد يكون لطيفاً، وقد لا يكون هناك نقاش من الأساس، أي يُشبع الموضوع بحثاً ودراسة في اللجنة العامة، ثم ينتهي بتوصية.

- طيب، لكن، عفواً دكتور، متى تجتمع اللجنة التحضيرية واللجنة العامة إذا كان مجلس الوزراء يعقد اجتماعه بشكل دوري أسبوعياً؟

- تجتمع اللجنة التحضيرية في نهاية الأسبوع عادةً مساء الأربعاء.

- اجتماع واحد أسبوعياً؟

- تجتمع اللجنة العامة يوم الاثنين، قبل اجتماع مجلس الوزراء، لكن طبعاً يعني ما تجتمع لتناقش القرارات التي سيناقشها المجلس في ذلك اليوم، وإنما للأسبوع الثاني، الأسبوع القادم أو الذي بعده. فعندما يأتي القرار إلى مجلس الوزراء يأتي جاهزاً لاتخاذ قرار بالنسبة إليه، إن كان يحتاج إلى دراسة قانونية، فيُدرَس دراسة قانونية، وإن كان يحتاج إلى دراسة اقتصادية فيُدرَس دراسة اقتصادية، وإن كان يحتاج إلى استطلاع مختلف الآراء يعني وزارات مختلفة اللجنة...

هيئة الخبراء تستدعي جميع الجهات التي لها صلة، وقد تستدعي أناساً من الجمهور، أي إذا كان موضوعاً تجارياً قد تستدعي تجّاراً مثلاً، أو تستدعي خبراء من الغرف التجارية والصناعية. فعندما يأتي القرار للمجلس يكون جاهزاً للتصويت، جاهزاً لإقراره، أحياناً المجلس في الغالبية العظمى يرى أن القرار بالفعل جاهز.

- ممكن أن يُقدّم في مسألة واحدة قرارٌ، وآراءٌ، أي وجهة نظر أولى وهذه ثانية وهذه ثالثة؟

- جداً جداً جداً.

- هذا مرفوع من هيئة الخبراء؟ تقول إنه هذا رأي، وسلبياته وإيجابياته... وهكذا؟

- أحياناً تجتمع هيئة الخبراء، وفيها سبعة مندوبين، ثلاثة يرون رأياً وأربعة يرون رأياً آخر، لكن اللجنة العامة تحرص على الخروج برأي واحد إلى مجلس الوزراء، أحياناً المجلس عندما يبدأ بمناقشة الموضوع يرى أنه على الرغم من هذه الإجراءات لم يستكمل الموضوع، وغير ناضج لاتخاذ قرار، فيُعيده إلى الجهة التي يختارها.

- هذا مجلس الوزراء!

- نعم، قد يُعيده إلى الجنة العامة، وقد يُعيده إلى هيئة الخُبراء، وقد يُشكّل لجنة فرعية أو لجنة موقتة من أعضائه لدراسة الموضوع، يعني لا يبتّ في قرار إلا بعد أن يرى المجلس أنه استوفي كل الأسباب، ويعني بحث من كل جوانبه. لكن في الواقع - بكل موضوعية - أقول إن البحث الذي يسبق القرارات يعني هو بحث موضوعي ودسم وشامل، ليس هناك قرار يتخذ ارتجالاً، ليس هناك شخص يقول والله تعالوا...

- اعملوا هكذا في الموضوع.

- أنا رأيي هذا القانون أقروه بالفعل، بل أحياناً يمكن قد يشعر المواطنون أن بعض الأنظمة، أو بعض الأشياء، تتأخّر لأنها بالفعل تمرّ بسلسلة طبعاً، مثلاً عندما نتكلّم عن نظام مجلس الشورى نجده ينص على اختصاصه لأشياء يشارك بها مجلس الوزراء.

- يُحيلها رئيسُ مجلس الوزراء؟

- يُحيلها إلى مجلس الشورى، وأحياناً تبدأ في مجلس الشورى، عندك الأنظمة، الامتيازات، الاتفاقيات، كل الأشياء هذه، يُشارِك مجلس الشورى بصنعها، إذاً عندما يأتي القرار إلى مجلس الوزراء يكون قد مر بمجلس الشورى، أي مرّ بلجنة فرعية، وقد مرّ باللجنة العامة.

- يعني أُشبِعَ بحثاً.

- يأتي بشكل متكامل، ولا يأتي أي موضوع إلى جدول الأعمال إلا إذا مر بهذه المراحل...

- لكن، ألا تُساهِم هذه التفاصيل، أحياناً، في خلق شكل من أشكال البيروقراطية في العمل؟

- تُريد تسميتها بيروقراطية، لكن المواضيع عندما يكون لها أكثر من جانب، لا بد من أن يمثل كل جهة الجانب الذي له علاقة بالموضوع، يعني أحياناً المواضيع مُتشابكة، أي إن أكثر المواضيع يُندَر أن تكون مُختصّةً بوزارة واحدة بعينها، يعني أفرض عندي موضوع متعلق بوزارة العمل، في الغالب الأعم، هو جانب مالي، إذاً له تفاصيل

مالية، أو له جانب متعلق بالخطة الخمسية، إذاً وزارة الاقتصاد هي الجهة المختصة، وهلُمّ جراً. وتجري الأمور هكذا، وقد يأتي موضوع من الوضوح ومن السهولة، فأحياناً يذهب وزير إلى مؤتمر ويقدم تقريراً، التقرير يُقرأ.

- لا يحتاج يمرّ على اللجنة التحضيرية أو...؟

- في الغالب تجري الأمور مثلما أخبرتك.

- وماذا عن القضايا التي تحتاج إلى دراسة؟

- التنظيمية، التشريعية، الأمور التي تُشرّع القرارات قد يأتي قرارٌ أحياناً لا يحتاج إلى الدورة هذه كلها.

تواصُل الوزارات عبر الديوان

- لكن هل يتم التعاطي من خلال الوزير في وزارة معيّنة، إذا كان لها علاقةٌ بوزارة المالية مباشرة مثلاً، أم لا بد من أن يتم التعامل من خلال مجلس الوزراء؟

- لا، لا. يُحال الموضوع إلى شعبة الخبراء بتوجيه معيّن، إما من اللجنة العامة، وإما من اللجنة الفرعية.

- لكن كل وزارة ترفع الأمر مباشرة إلى مجلس الوزراء، لا ترفعه إلى وزارة ثانية؟!

- لا، الوزارة لا ترفع إلا إلى الملك مباشرة، أو إلى رئيس الديوان ليَعرضه على الملك، ليس هناك وزارة تخاطب وزارة ثانية في موضوع متعلق بمجلس الوزراء، لكن عندما يكون له جانب اللجنة الفرعية، أو

اللجنة العامة توجّه بأسماء الوزارات المعنية، فاللجنة، أو رئيس هيئة الخبراء يخاطب كل وزير، ويطلب منه اختيار مندوب، العادة يجتمع المندوبون، خلال أسبوع أو عشرة أيام، ويدرسون الموضوع، قد - كما قلتُ لك قبل قليل - يصلون إلى توافق، يحصل هذا في حالات كثيرة، وقد ينقسمون إلى آراء، قد ينقسمون إلى ثلاثة آراء، فتأتي إلى اللجنة العامة، وفي الموضوع أكثر من قرار، وأكثر من خيار، فاللجنة العامة تُرجّح، وقد نرى اللجنة العامة تذكر لمجلس الوزراء أن هناك أكثرَ من خيار، ففي النهاية يُصبح الرأي النهائي للمجلس.

- كم ساعة يكون متوسط اجتماع مجلس الوزراء؟

- في الغالب الأعم من الحالات ما بين ساعتين إلى ثلاث ساعات.

- قد يكون فيه استثناءات أكثر أو أقل؟

- يبدأ المجلس عادة الاجتماع في حوالى الساعة الثانية والنصف ظهراً، ثم في الرابعة والنصف أو الخامسة مساءً، أحياناً قد يستمر الموضوع ويستغرق ثلاث ساعات، وفي حالات نادرة يمكن أن يستغرق الاجتماع أكثر من ذلك.

الأمانة العامة والنقاش في أثناء الجلسة

- جميلٌ، جاء موضوع إلى اللجنة التحضيرية، وأحالته بدورها إلى الهيئات التي لها علاقة، ثم رُفع إلى الجنة العامة تمهيداً لعرضه على مجلس الوزراء، وجرى تداوله في مجلس الوزراء، كيف يتم طرحه؟ يتم طرح الموضوع وتُقرأ الآراء؟

- تُعدّ الأمانة العامة في مجلس الوزراء ملخصاً دقيقاً جداً وموضوعياً للمعاملة، يتضمن مسراها منذ ولدت (يضحك).

- ما نراه في الملفات عندما تُعرض الجلسات بالتلفزيونات!

- نعم، هذا جدول الأعمال. دعني افترض أنني أقول مثلاً وزير العمل، وضع معاملة، فمذكّرة الأمانة تقول إنها رفعت هذه، أُحيلت من ديوان الرئاسة بتاريخ كذا إلى اللجنة الفرعية التي رأت فيها كذا، ثم اللجنة العامة، ثم إلى... يعني كل معاملة معها ملخص.

- لدورتها الإدارية.

- ليس لدورتها الإدارية فقط، وما طرح من آراء، يعني عندما تُقرأ المُذكّرة، كل عضو في مجلس الوزراء يكون لديه ما نُسمّيه تاريخ المعاملة، بالضبط، والظروف التي مرت بها الآراء حولها.

- وهذا يكون لديكم قبل كل جلسة؟

- لا، يصل ملخص قبل كل جلسة، لكن التفاصيل تُقرأ في الجلسة، لكن يأتي ملخّص وافي قبل الجلسة.

- لأجل التحضير، برنامج التحضير

- عندما يُقرأ هذا الموضوع...!

- من قبل الأمانة العامة؟

- الأمين العام.

- الأمين العام؟

- يُعد الملخص، إن جاز لي القول، بطريقة متقنة، يعني بالفعل الوزير لا يحتاج لكي يعرف كل شيء عن هذه المعاملة إلى أكثر من مذكّرة، بعد أن تُقرأ المذكرة، رئيس الجلسة الذي هو في الواقع في معظم الحالات خادم الحرمين الشريفين، قد ينوب محله أحياناً ولي العهد، يلتفت إلى الوزراء ويطلب رأيهم، لا يبدأ هو باتخاذ موقف، إنما يترك المجال، وفي حالات كثيرة يمر الموضوع من دون نقاش طويل، مثل المعاهدات والاتفاقيات الدولية.

- إجرءات رسمية؟

- أحياناً يكون نقاشاً خفيفاً بسيطاً، وأحياناً يكون نقاشاً طويلاً، ممكن أن يكون نقاشاً طويلاً جداً.

- يُجري نقاشاً، أو يطلب من كل واحد من الوزراء أن يُبدي رأيَه؟

- لا، لا يُطلب من كل واحد.

- يُطلب ممن لديه رأي؟

- من لديه، من يرغب، أحياناً هناك موضوع بعيد عن اهتمامات الوزير، لا يرى من المناسب أن يتحدث فيه، إنما كل من يريد أن يتحدّث يُعطى له المجال للحديث، ولا يوجد قيد، ليس عندنا في مجلس الوزراء أنه ما لك سوى عشر دقائق، ولاّ ما لك سوى دقيقة، أو أنه انتهى وقتك. لا شيء من هذا النوع، يعني تتم بروح طيبة، وبروح ودّية، لأن عدد المجلس قليلٌ.

- ذلك يصير أحياناً في المجالس التي فيها أعداد بالعشرات، فوق 50 و100؟

- بالضبط، في معظم الحالات يصل المجلس إلى توافق، الجميع موافقون على هذا الرأي، في حالات قليلة قد لا يكون هناك توافقٌ، قد يتطلّب الأمر التصويت، في هذه الحالة يطلب رئيس المجلس رئيس مجلس الوزراء، الذي هو خادم الحرمين الشريفين، التصويت عليه، ويتم التصويت بحريّة تامة، والرأي الذي يفوز.

- التصويت علني بطبيعة الحال... من الذي يُوافق؟

- نعم العدد قليل أصلاً.

- التصويت؟

- نعم التصويت.

ديمقراطية الملك في أثناء التصويت

- هل مثلاً رئيس مجلس الوزراء، خادم الحرمين الشريفين، أو من ينوب عنه وليّ العهد، أو من يكون نائباً لمجلس الوزراء، أيضاً يصوّت؟

- في الغالب الملك يكتفي بالاستماع، يعني الملك يتمتع بتقدير ومحبة واحترام كبير جداً من الجميع.

- بالإضافة أن صلاحياته الدستورية تُعطيه أنه...!

- بالإضافة إلى الصلاحيات، فهو يعرف أنه لو تكلم برأي قاطع في الموضوع، يُحل الموضوع ويُحسَم، فهو في المواضيع التي فيها أكثر

من رأي يحرص على أن يترك للأعضاء المجال، طبعاً أحياناً قد يقول أنا رأيي في الموضوع بهذا الشكل، لكن يعني لن أصرّ عليه.

- ويحدث هذا، أكثر من مرة؟

- يحدث، أحياناً يقول أنا رأيي كذا، لكن إذا كنتم ترون أنتم هذا الشيء... لا مانع.

- ثم بحسب نتيجة التصويت، يُؤخذ بالرأي الذي رجَحَت كفته؟

- العدد الأغلب.

- لكن بعض الناس يظن أن هناك أعضاء في مجلس الوزراء، الملك أو وليّ العهد، عنده صوت بأكثر من صوت مثلاً؟

- (يضحك) لا، لا، هو في الواقع كأي مجلس إدارة، إذا تساوت الأصواتُ يُرجّح الجانب الذي معه الرئيس، فهذه موجودة في كل مجلس إدارة، وموجودة في نظام مجلس الوزراء.

- لكن إذا تساوت الأصوات؟

- يُرجّح الجانب الذي معه الرئيس، فالرئيس في كل مجلس لا يصوّت، لكن يكون صوته مرجحاً. فالملك عبدالله بطبيعته يَحرِص، حتى خارج مجلس الوزراء، على ما يُمكِن أن نُسمّيه بالشوري، يعني يؤمن بالشورى، ويؤمن بتعدد الآراء، ويؤمن بالاستماع إلى أكثر من وجهة نظر، فهو نفسه حريصٌ على أن يتكلّم الوزراء، وهو يسمع أكثر، حتى أحياناً يقول طيب هذا الكلام المعروض هنا ألا يوجد وجهة نظر أخرى؟ يعني هو يستحث النقاش.

- أريد أن أتحدث عن الملك عبدالله بن عبدالعزيز بشكل أوسع، وعندي أكثر من عنصر إذا سمحت لي. كنتَ قد تحدّثتَ في «حياة في الإدارة» عن طريقة إدارة الملك فهد لمجلس الوزراء، وقلت إنه ديمقراطي، يترك المجال للجميع، ويستمع لكل الآراء، سواء المحافظة أم المنفتحة، ثم يتّخذ بعد ذلك ما يراه مُناسباً، قد يكون أحياناً رأيه ميّالاً إلى هذه الكفة، وقد يكون إلى تلك. أريدك أن تحدثني أيضاً بتفاصيل عن طريقة الملك عبدالله في إدارة مجلس الوزراء؟

- كما كنت أقول لك إن الملك عبدالله عرفته منذ سنوات بعيدة، يمكن تعود إلى أكثر من..

علاقته بالملك

- قلت في الكتاب إن علاقتك فيه تعود إلى العام 1970.

- يعني أكثر من ثلث قرن تقريباً، ومنذ عرفته وهو لديه بعض الصفات الإدارية والسياسية التي لم تتغير، ومنها الصراحة. يعني إذا كان غير راضٍ عن أداء وزارة أو سمع، لا يُجامِل في هذه الناحية، يقول الناس يقولون عنك كذا وكذا، يعني حتى في مجلس الوزراء يطرح ما يقال، أحياناً قد يقال، يقصد في الرأي العام أو في الصحافة. وأيضاً من طبعه أنه لا يحب أن يتخذ قراراً إلا بعد الاستماع إلى الآراء، ولا يحب أن ينفرد باتخاذ قرار من دون أن يسمع رأياً، ولا يسمع فيه رأياً واحداً. هذا ينعكس على طريقته في إدارة مجلس الوزراء، كما ينعكس على طريقته أيضاً في إدارة الأعمال اليومية للدولة. يعني أي قرار يتّخذه يحرص على أن يكون قبل أن يتّخذه قد استمع إلى آراء، على

الأقل آراء (ذوي الاختصاص). طبعاً ما أتكلم عن القرارات الروتينية العادية، أتكلم عن القرارات الأساسية، وفي مجلس الوزراء هو حريص جداً على أن يستمع إلى أكثر عدد ممكن من الآراء، حتى أحياناً، كما ذكرت لك، يقرأ الموضوع ويبدو أن هناك موافقة، لأنه إلى حد ما في عملنا يكاد يكون، أو في عمل كل مجلس، إذا قرئ الموضوع ولم يطلب أحد الكلمة كأنه يكون الجميع موافقين، فأحياناً هو يستحث النقاش.

- إجماع سكوتي يصير...!

- إجماع يمكن تسميته سكوتياً. ويحصل هذا يحصل، كما قلت، في الأشياء التي لا تكون فيها اختلافات في الرأي، مثل المعاهدات والاتفاقيات.

- القضايا الروتينية أو التقليدية. قبل قليل ذكرتَ، أنه أحياناً رئيس مجلس الوزراء أو الملك يُبدي رأيه، فيقول أنا وجهة نظري هي كذا، لكن أنتم لكم حرية الاختيار وإبداء وجهة النظر، قد يبدي أحياناً البعض وجهة نظر تختلف مع الملك؟

- يحصل هذا كثيراً جداً.

- أيكون هذا بشكل طبيعي؟!

- الملك يستمع وقد لا يتفق معك في الرأي، طبعاً مع كل الاحترام بمقامه وباحترام الأعضاء الشديد له، يحدث هذا أحياناً، وهذا لا يزعجه، لا يزعجه أن يسمع آراء تختلف عن رأيه هو، وفي النهاية هو صاحب القرار، لا يُناقِش أحداً، بمعنى نحن جميعاً نعرف أنه في النهاية هو صاحب القرار، لكن صاحب القرار بمشيئته وإرادته

لا يريد أن يتخذ قراراً إلا بعد أن يستمع إلى جميع الآراء، بما فيها الآراء التي قد لا تتفق مع رأيه، ولذلك أنا اعتقد أنه يعني ما يقوم به.

- بمعنى، أن طبيعته في التعاطي مع الأشياء تُشجّع أحياناً بعض الوزراء على أن يبدوا آراءهم حتى لو كانت مختلفة معه؟

- جداً جداً، واعتقد، نحن لا نستطيع أن نتكلم عن مجالس وزراء أخرى.

- لأنك ما قد جرّبت تشتغل في مجالس أخرى؟

- أسمع من بعض الزملاء، لكن اعتقد أن ما يدور في مجلس الوزراء السعودي، وهذا ليس مجاملة لأحد، من نقاش موضوعي، ومن حريّة، ومن إبداء الرأي لأبعد الحدود... اعتقد أنه ربما لا يوجد في كثير من مجالس الوزراء، على الأقل العربية، أعتقد ولا أجزم، وهذا طبعاً يعني في النهاية من حُسن حظ الوطن، أن يكون هناك نقاش حر، وأن تسبق اتخاذ أي قرارات آراء.

- ومن حُسن حظ الوزراء أنهم يناقشون.

- ومن حُسن حظ الوزراء أنهم يجدون رئيساً يسمح بهذا الهامش الكبير من الحرية في إبداء الرأي.

الملوك الثلاثة

- أنت عملت في ثلاث وزارات مع الملك خالد (رحمه الله)، ومع الملك فهد (رحمه الله)، ومع الملك عبدالله، هل كان هناك تباين كبير في الأداء بينهم في تقديرك؟

- جلاله الملك خالد كان ميّالاً إلى تفويض السلطات، لم يكن يباشر العمل اليومي بنفسه، بمجرد تولّيه العرش أصدر أمراً ملكياً يقضي بتفويض وليّ العهد بأمور الدولة اليومية، ووزّع هذا على الوزراء، فكأنه يعني أبقى لنفسه الخطوط العامة والتوجيهات، وهو لم يكن يرئس جلسات مجلس الوزراء إلا في حالات نادرة، يعني جلسة الميزانية، ما أدري إن كنت تذكر أنت، أم كنتَ في ذلك الوقت بالمرحلة الابتدائية، أو يمكن بالحضانة؟

- على الأقل أقرأه في الأرشيف.

- كان الملك خالد يحضر جلسات الميزانية على الأقل، عندما تكون جلسة مجلس الوزراء على مستوى من الأهمية، أو تمثل منعطفاً مهماً، كان يرئسها بمعدل مرتين أو ثلاثة في السنة. لكن كان يعهد بإدارة الجلسات إلى وليّ العهد في ذلك الوقت، وأحياناً وليّ العهد في ذلك الوقت أيضاً كان يعهد إلى النائب الثاني.

- الأمير عبدالله في ذلك الوقت.

- الشيء نفسه في عهد الملك فهد (رحمه الله) كان أحياناً يعهد للأمير عبدالله برئاسة المجلس، وأحياناً أيضاً يعهد في حالة عدم وجود الأمير عبدالله إلى النائب الثاني الذي كان في ذلك الوقت الأمير سلطان.

- الأمير سلطان. حسناً، تحدّثت عن طبيعة الملك فهد، فهل كانت هناك سياسة ثابتة مثل السياسة السعودية العامة تقريباً في إدارة المجلس؟

- هناك وجوه شبه كثيرة، فكل من العاهلين حريص على أن يكون هناك نقاشٌ صريحٌ، وأن تُبدى الآراءُ، وأن يُترك لكل وزير الحريّة، يعني حتى أنا لم أشهد الفترة التي سبقت قدومي إلى المجلس، لكنني في أول جلسة في التشكيلة التي دخلتها وزيراً قال...

- بعد السفارة في لندن تقصد؟ أم في الأولى؟

- لا، في الأولى، كان ولي العهد يقول: عندما يكوت هناك تصويت بعض الوزراء يمتنع عن التصويت، فهو يقول: أرجوكم ما في داعي أن يمتنع أحدٌ عن التصويت، الجميع يجب أن يبدوا رأيهم، لأنه في أول جلسة قال أرجو من الجميع أن يبدوا رأيهم، وأرجو أن لا يمتنع أحد عن التصويت.

- بعدها ما عاد أحد يمتنع عن التصويت؟

- نعم، ما عاد فيه أحد يمتنع.

- إلى الآن تقريباً!

- إلى الآن، إلى الآن.

- هل كان الامتناع عن التصويت بسبب عدم وجود رؤية واضحة لدى الوزير أحياناً، أو لسبب آخر؟

- كأن يتخذ موقفاً في موضوع لا يهُم وزارته أحياناً، حيث ليست كل الموضوعات تهُم الوزراء كافة، قد يكون موضوعاً بعيد الصلة عن وزارته.

- ليس عنده رأيٌ محدد؟

- لا يشعر أن الموضوع يهمه كثيراً.

الوزراء بين المحافظة والانفتاح

- حسناً، في «حياة في الإدارة» أشرتَ أيضاً إلى أن عند الوزراء منهجين تقريباً في التعاطي مع القضايا الإدارية، منهج محافظ - إن صحّت العبارة - ومنهج منفتح، أو يعني أسلوباً دفاعياً هجومياً - إن صحّت العبارة أيضاً - هل لا يزال ذلك موجوداً؟!

- أعتقد أن في أمر هذا التقسيم يجب النظر إلى الأمور في إطارها الزمني، في ذلك الوقت كانت المملكة مُقدِمة على ثورة تنموية، وكانت ثورة هائلة بكل المقاييس، وكانت تخيف الكثيرين من الناس بمن فيهم الوزراء. الوزراء بشر، هل نحن ذاهبون إلى مغامرة مجهولة بتبنينا الخطة الخُماسية الثانية؟ هل هذا الانفتاح على العالم (يكون) بهذا الشكل؟ فكان من الطبيعي أن يكون هناك معسكران، معسكر يودّ التريّث والتأنّي، ومعسكر يودّ المُضي في التنمية. الآن، لم تعد الأمور بهذا الوضوح، يعني أصبحت الآن أستطيع أن أقول إن كل موضوع يُعالج في ضوء خصوصيته.

- لكن، في كل شؤون الحياة هناك أُناس منفتحون في تعاطيهم مع الأشياء، وأُناس أكثر محافظة.

- هذه طبيعة البشر، لكن في تلك الفترة كان الموضوع واضحا، لأنه كان هناك قرارات كثيرة، كانت تتطلب إما أن نمضي في التنمية بكل تبعات هذا القرار، وإما أن نأخذ الأمور ببطء.

- هل دفعَتْ، في تقديرك، شخصيةُ الملك فهد المنفتحة التنميةَ إلى الأمام؟

- بالتأكيد، بالتأكيد، لأن قرار التنمية، أو قرار التصنيع من القرارات التي كانت في وقتها تكاد تكون راديكالية.

- بمعنى ثورة إدارية؟

- من كان يصدق في ذاك الوقت دولة مثل المملكة تنشئ أكبر مدينتين صناعيتين في الشرق الأوسط؟ يعني كان يبدو الموضوع...

- حُلُماً، وأنت أشرتَ إلى هذا، إلى أن الكثيرين كانوا، حتى من الشركات الأجنبية...

- لم يصدّقوا.

- بل كانوا يجزمون بفشل مشاريع من هذا النوع.

- حتى كان الكثير من المواطنين، وأنا أعتقد أن نيّتهم كانت حسنةً، يقولون لن تنجح هذه الصناعات، وستأتينا عمالة أجنبية، وهناك مخاوف. بالتأكيد كانت مخاوف مشروعة، لكن لا بد من اتخاذ قرارات حاسمة وقد اتخذت.

- الآن قد تجاوزت الأمور تلك المخاوف.

- الآن تجاوزت هذا الحد، لا أظن أحداً عندما يُتخذ قرار بإنشاء مدينة اقتصادية جديدة، وبتطوير مدينة صناعية جديدة، سيُخيفه ذلك، أصبح الموضوع مرحباً به من قبل الجميع، ما عاد أحد يقول يا جماعة تعالوا...

- لا نريده.

- لا نريده، أو هذا الموضوع سيأتي لنا بعمال أجانب، انتهى... العمال في البلد كُثُر.

- لكن ما زال عند المجتمع بعض التحفّظات من بعض أشكال الانفتاح، وما قد يجلبه مثلاً للمجتمع من زعزعة في الهوية.

- هذا صحيح.

- وهذا يُدرَس أيضاً عندكم مثلاً؟ يتم تناول مثل هذه الطروحات؟

- تُثير بعض الموضوعات بطبيعتها أشياءً من هذا النوع، لكن لم يعد بالحدّة التي كانت عليها قديماً، لأن تلك الفترة كانت انتقالاً من اقتصاد يسير ببطء، ومجتمع يسير ببطء، إلى مجتمع قرر أن يتبنّى التنمية السريعة. صار الآن لنا مع التنمية تقريباً ربع قرن، فلم يعد هناك شخص يتخوّف من التنمية، بقدر ما هو يعني ما كان في الماضي، حتى لو كانت لديه مخاوف لم تكن بالعنف والشدة التي كانت عليهما في الماضي. لذلك يعني عندما تُبحث الأمور في اللجنة العامة وغيرها لا تُبحَث من وجهة نظرنا هذا ليبرالي، وهذا محافظ، تُبحَث من وجهة نظر الموضوع في حدّ ذاته، يعني قد تتخذ اليوم ما يعتبره البعض موقفاً محافظاً، ثم في اليوم نفسه موقفاً آخر في موضوع آخر.

- لم يكن في السابق هناك محافظون، بقدر ما كانت رؤيتهم مقابل رؤية آخرين غيرهم، فعندما كانت تُطرح آراء آنذاك متخوّفة يُقال إنها آراء محافظة.

- لا، على العكس، هذا التوصيف أتى مني في مرحلة لاحقة، غير أن التوجّهات كانت في معظم الحالات واضحة.

مجلس الوزراء واستطلاعات الرأي

- حسناً، ورد في ذهني سؤال قبل قليل، وأنت تتحدث عن أن المواطن دائماً يكون في صلب اهتمام مجلس الوزراء، ممثلاً برئيس مجلس الوزراء وأعضاء مجلس الوزراء، فهل يتم أحياناً استطلاع لآراء مواطنين في بعض القضايا، ويُستَنَد إليها في أثناء درس القضايا والأمور في مجلس الوزراء؟

- عندما تهُم القضية المعروضة قطاعاً أو شريحة من المواطنين يتم استطلاع رأي هذه الشريحة.

- من قبل مجلس الوزراء أم من قبل جهات أخرى؟

- عن طريق هيئة الخُبراء. كما ذكرتُ لك، قبل قليل، هيئة الخُبراء تستدعي مندوبين، وقد يكون، أو نفترض، أن الموضوع يتعلّق بجمعية خيرية، هنا، ممكن أن يُستدعى أناس يعملون في الحقل الاجتماعي.

- مسؤولون؟

- غير مسؤولين.

- أقصد المسؤولين في حقل الجمعيات الخيرية أو نحوها؟

- قس على ذلك في المواضيع الأخرى.

- في كل موضوع يُؤتى بأهل الخبرة؟

- عندما يمس الموضوع مصالحهم مباشرة، في الغالب يكون لهم نوعٌ من إدخال آرائهم في صلب القرار، أذكر مثلاً عُرض موضوع يتعلق بتسعيرة الأدوية، فكان للتجار الذين يتعاملون بالأدوية دور في المداولات التي سبقت وصول القرار إلى مجلس الوزراء... وهلمّ جراً.

- تحدّثت عندما كُلّفت بوزارة الصحة، وأشرتَ إلى أنها كانت عطلة نهاية الأسبوع، وكان أكثر من مواطن يتلقّى التهنئة بعد أن سمِع من مصادر مُطّلعة أنه سوف يكون فلان وزير الصحة الجديد، الآن هناك تكهّنات تملأ الأرجاء ورسائل جوال، وكلام في منتديات أن فلاناً للوزارة الفلانية، وفلاناً للوزارة الفلانية... وفلاناً.... على ماذا تُعتمد قائمة التكهّنات. على ماذا يبني الناس تكهّناتهم؟!

- أقول لك مثلاً ماذا حدث في التشكيل الوزاري الذي دخلته لأول مرة، في عهد الملك خالد (رحمه الله)، في ذلك العهد كان التغيير الوزاري كبيراً وشاملاً، وكان هناك رغبة بالفعل في إعطاء تشكيل مختلف.

- دفعة جديدة يعني؟

- تشكيل مختلف عن مجالس الوزراء السابقة، يمكن وصفه بمجلس تنموي، أو مجلس تكنوقراطي، أو شيء من هذا النوع، فماذا حدث؟ سُئل أشخاص كثيرون عمّن يرشحون للوزارة من المسؤولين، كأن مثلاً أقول لك تركي أنت من تعتقد أنه يصلح للوزارة فتقدم قائمة. أنت عندما تُسأل عمّن تعتقد أنه يصلح للوزارة بطبيعة الحال، تظن أنك مرشح للوزارة، وإلا ما سُئلتَ هذا السؤال.

- أجل، بطبيعة الحال أنا مرشح تعتبرني؟!

- ما دام أنت سئلت من ترشح للوزارة، طبعاً يوهم هذا السؤال بأنك مرشح... فعندك جزء من التكهّنات يأتي من هذا السبيل، طبعاً الآن الأمر مؤسس، لم يعد هناك ما كان سابقاً.

- خلال اللجنة؟

- ما عادت اللجنة تستفسر، ولم يعد أحد يعتقد لأنه لمجرد أنه سُئل، فمعنى هذا أنه مرشح للوزارة، لكن أحياناً يحصل هذا، وأحياناً تجلس أنت مثلاً مع مسؤول ويأتي ذكر إنسان، مسؤول كبير في الدولة فيثني عليه بكلمة عاطرة تستنتج منها أنه سوف يصبح وزيراً، أو الشيء نفسه أن المسؤول يسمع كلمة، ووُلاة الأمر لدينا يعني مؤدبون ومهذبون ويعني يشجعون ويرفعون الروح المعنوية للمسؤولين، يقولون لهم كلمات طيبة، فترى المسؤول يعتقد أن هذه الجملة هي عبارة عن تهيئة للوزارة، كذلك أن أشخاصاً يروّجون لأنفسهم، وهذه حالات نادرة، هو يشيع أنه سوف يصبح وزيراً فعندما تُجمع هذه الأشياء كلها تفسر لك مصادر تكهّنات الناس.

- أنت كنت وزيراً في أكثر من تشكيل وزاري، وأكيد سمعت معظم تلك التكهّنات، كم تعتقد بنسبة صدقها؟

- أعتقد أنه في تجربتي الخاصة الغالبية العُظمى من التكهنات لا تقوم على أساس.

- ما لها أصل!

- هناك شيء بسيط، أو قاعدة معروفة، الذين يتكلمون لا يعرفون، والذين يعرفون لا يتكلمون.

- **لا تُصدَّق.**

- أحياناً، افرض أنه حصلت مشكلة معيّنة مثل انطفاء الكهرباء مثلاً، وأنا أضرب هذا المثل، لأني كنت وزير كهرباء، فيعني لا أقصد به غيري، يجيك واحد يقول لك شوف الكهرباء انطفت، أنا أعتقد أنه يأتي وزير جديد للكهرباء، أو أحياناً الناس يعتقدون...

- **قائمة على تحليلات غير قائمة على معلومات!**

- قائمة على أشياء غريبة جداً أحياناً، بالفعل غريبة جداً.

3 - «حياة في الإدارة»
والمواجهة مع الإسلاميين

- بدايةً أسألك عن «حياة في الإدارة» الذي وصلت طبعاته تقريباً إلى 14 طبعة، كيف ترى تقبّل القارئ العربي لهذا الكتاب؟

- يا أخي تركي كنت أول من فوجئ بالنجاح الكبير لهذا الكتاب، لم يبع أي كتاب من كتبي عدداً يقارب هذا البيع من هذا الكتاب، حتى «شقة الحرية» التي بيع منها أعداد كبيرة لم يبع منها هذا العدد، وعندما كتبته، أو كنت أفكر في كتابته اعتقدت حينها أنه سيُقرأ من قبل عدد قليل من المختصين.

- مختصون بالإدارة؟

- نعم في بالإدارة، أو ربما من متابعي الشأن الحكومي، لكنني لم أكن أحلم حتى بطبعة ثانية منه. عشرون طبعة أو لا أدري كم الطبعات، فهذه مفاجأة سارة ليس لي شخصياً ككاتب مع أنه بالتأكيد هناك نوع من الرضى، وما يخص القارئ العربي فأرقام التوزيع كانت كبيرة ليس في المملكة فقط، إنما في كل مكان وُجد فيه الكتاب، بما فيه دول المغرب العربي، فيعني هناك الكلام الذي يقال إن القارئ العربي لم يعد يقرأ الكتب الجادة، لم يعد يقرأ إلا الكتب التافهة والهزيلة والغثّ

منها، أعتقد هذا الحكم ليس صحيحاً بدليل أن كتاباً مثل كتاب في الإدارة مهما قال الإنسان فيه فهو كتاب جاد بمعنى من المعاني.

- مع الملاحظات التي قيلت في الكتاب، لكنه يبقى كتاباً جاداً. الكتاب يبدأ من أول صفحاته حتى أكثر من 300 صفحة، أجده بلا فهارس، وبلا محتويات، هل تعمّدت ذلك على ما يبدو؟

- بالتأكيد بالتأكيد، أولاً: لقد تُرجم الكتاب إلى الإنكليزية، وكان الناشر يصرّ على أن توضع له فصول، ووضعت له فصول، يعني لم يكن وضع الفصول مشكلة، كان في ذهني شيئان، لو تعيد قراءة الكتاب تجد أن القصة التي تُروى في الكتاب قد بدأت منذ الطفولة، كيف تعرّف الطفل على الإدارة في بيته، ثم في مدرسته، ثم... فهي حلقة متكاملة، بعدها كيف تحوّل الأستاذ الأكاديمي تدريجياً إلى إداري، ثم كيف انفتحت شهية الإداري للمزيد من التحدّيات، هذه لو قسّمتها لفصول مصطنعة، أعتقد أن هذا التدفق أو الاستمرارية في القصة سينتهي، والشيء الثاني...

- لذلك أنت أردته أن يكون حلقة واحدة من دون أن تُقسّمه فصولاً؟

- والشيء الثاني: أنا لم أرد قراءة انتقائية، ما كنت أبغيه أن شخصاً يقول خلينا نروح نشوف السر في وزارة الصحة، خلينا نروح نشوف، يعني مثلاً...

- أو إذا فيه فهرسة أسماء تساعد على الكشف بما قلت عن فلان وما هو رأيك بفلان مثلاً.

- أحسنت. فلذلك اعتقد الذين قرأوه من دون فهرسة، قرأوه كله أو لم يقرأوه، والغريب أنني لم أجد شكوى من هذا الأسلوب، فالناس أبدوا ملاحظة من باب الاستغراب وليس من باب الاستنكار، إنما كثير من الذين قرأوه لم تزعجهم هذه الطريقة.

المذكّرات والحفاظ على الأسرار

- جميلٌ. أشرت في مقدمة الكتاب إلى زيارة والدك (رحمه الله) إليك للعلاج في لندن في صيف ١٩٦٨، عندما عرضت عليه أنت أن تكتبا مشاركةً مذكرات، لأن والدك عاصر الملك عبدالعزيز، وعاصر تأسيس المملكة العربية السعودية في طورها الحديث، أو في دولتها الحديثة، ورفض رفضاً قاطعاً هذه الفكرة، وقال: إما أن نضيف فيه جديداً، وإما لا تكتب، وإذا كتبت لن أفشي أسراراً ائتمني الناس عليها. أشرت أيضاً إلى أن رأي الوالد ككل الآراء قابلة للأخذ والرد، يبدو أنك لم تأخذ برأي والدك، وبدأت تكتب سيرتك الإدارية، هل يمكننا القول إن الوالد ينتمي لمدرسة محافظة مثلاً في الكتابة، أو في التعاطي مع شيء من هذا القبيل، وأنت مدرسة مختلفة؟

- بالنسبة إلى سيدي الوالد (رحمه الله) كان قد عاش في ظروف مختلفة، من ضمنها أن كتابة المذكّرات لم تكن أمراً شائعاً في تلك الأيام، لم تكن أمراً مألوفاً، لكن اعتقد أن ليست هذه هي المشكلة، بل هناك مشكلتان، أولاً: واحدة تتعلق بتعريف السر، ما هو السر؟ وهناك مشكلة وهي تعني ليس كل من مرّ بتجربة قادراً على الكتابة عنها، يعني هل لديك القدرة الفنية الإبداعية على أن تكتب بطريقة مشوّقة عن تجربة مرت بك؟

- لكن الغربيين يتجاوزون هذا الأمر بالاستعانة بمحررين للمذكرات.

- صحيح، صحيح، للأسف هذا التقليد لا يوجد عندنا، وإن كنت اعتقد أنه يجب أن يوجد لأنه يحرم القارئ من تجارب ناس كثيرين، لكن الموضوع الأهم هو: ما هو السر الذي لا يُفشى؟ أنا في رأيي أن الناس ينسون، مثل أبي (رحمه الله). ينسون أن السر هو كائن له عمر، يبدأ ويعيش ويموت، ليس هناك سر يبقى سراً إلى الأبد، فعندما يتحدّثون عن أسرار، والمثل يقول: «الخبر اليوم بفلوس بكرة ببلاش»، يعني حتى عندنا في الرأي العام لما تأخذ التشكيلات الوزارية، حتى لحظة إصدارها، فهي من أعظم الأسرار.

- بعد ما تصدر خلاص...!

- بعد ما تصدر انتهى، فما هو السر؟

- لذلك أنت لم تكتب عن مرحلتك في لندن على الرغم من أنك أصدرت الكتاب في لندن؟

- تعريفي للسر ربما يختلف، فهو ليس المعلومة التي تعرفها أنت ويجهلها الآخرون، وبهذا المعنى هناك ملايين الأسرار، يعني أنا أعرف «إيش ياكلوا أولادي»، وأنت ما تعرف «ياكلوا أولادي»، لكن هذا لس سراً لأنك أنت لا تعرف هذا. أعتقد أن السر هو ما يتعلق بالشخصية العامة، هي تلك المعلومة التي يؤدي إفشاؤها إلى إضرار بمصالح الدولة، سواءً كانت اقتصادية أم شخصية.

- أو ما يخص شخصاً معيّناً؟

- أو شخص معيّن، لكن لا يمكن اعتبار كل أمر لا يعرفه الناس سراً، مع الأسف بعض الناس يأخذون موضوع السر، أو قسم اليمين، طبعاً يقسم الوزراء وأعضاء مجلس الشورى وبعض المسؤولين يقسمون اليمين.

- وُجّه لك الانتقاد أنه أنت أقسمتَ اليمين فكيف كتبت عن أشياء كانت سراً؟

- أنا ذكرت في المُقدّمة، لا أعتقد أن أحداً يستطيع أن يقول إن هناك سراً واحداً في الكتاب، لأن السر بالمفهوم الذي يقصد به المحافظة عليه وعدم إفشائه هي تلك المعلومة التي لا يجوز إفشاؤها، وليست كل معلومة لا يعرفها الناس سراً، بعض الناس يأخذون موضوع السر بحرفيته بمعنى أنه للأبد سوف يبقى سراً.

- السر يبقى سراً حتى لو تقادم قيمته وانتهت.

- يعني بعد فترة أمست الأشياء التي كتبتها يعرفها الناس.

المذكّرات وذِكْر الحقيقة

- حسناً، لننتقل إلى آخر كلمة ذكرتها في المُقدّمة، وذكرتها بذكاء، أو أردت أن تُخلي مسؤوليتك، قلت: بقيت كلمة تقتضي الأمانة التاريخية أن أقولها، وهي لا أدّعي أنني قلت هنا الحقيقة كاملة، لكني أرجو أن كل ما قلته هنا هو حقيقة.

- دعني أقول لك...!

- يعني نصف الحقيقة...!

- دائماً أُسأل هذا السؤال، ويبدو أنه أثار كثيراً من التكهّنات، لكي تروي الحقيقة كاملة يجب أن تتعرض لأشياء، تتعرّض لشخصيات الناس، وتتعرّض لنواحي ضعفهم، وقوتهم، فهناك تفاعل إنساني على أكثر من مستوى، أنا تجنّبت هذا كله. لو تقرأ الكتاب كله فلن تجد فيه تحليلاً نفسياً لأحد، ولا محاولة الإساءة إلى أحد، بينما لو رويت الحقيقة الكاملة، فكان يجب أن يُروى هذا كله، إنما هذا هو الجانب الوحيد فقط الذي تجنّبت ذكره.

- ذكرتَ أيضاً في المقدمة، فقلت: «عندما أوشكتُ أن أبلغ الـ٦٠ خفت على المعلومات من أن الذاكرة تتقادم، وبالتالي تفقد كثيراً». دكتور مضى الآن أكثر من عقد (ما شاء الله) على صدور الكتاب، وأوشكت على دخول العقد السبعين تقريباً.

- تقريباً ليس بالتحديد.

- ألم تصل السبعين بعد؟

- لا.

- ما فكرت أيضاً بأن تكتب عن المراحل المختلفة، بالتأكيد خلال الـ12 سنة التي مرّت على صدور الكتاب، تقريباً، حدثت أحداثٌ كبيرة، ومرت تجارب أيضاً كبيرة؟

- هناك عاملان مهمان، أولاً: لكي تكتب كتابة من هذا النوع، يجب أن تكون لديك فسحة من الوقت، يعني أنا عندما كنت سفيراً كان لديّ فسحة من الوقت، الآن ليس لديّ فسحة من الوقت للكتابة.

- مع أنك لازم تبقى مُتنتجاً يا دكتور؟

- لكن هذا النوع من الكتابة يحتاج إلى مجهود أكبر، وتركيز أكبر. الشيء الثاني الأهم من هذا، أعتقد كي أتمكّن من كتابة الكتاب، والآن يصعب عليّ هذا، إذ لنفترض الآن أنني أريد أن أروي قصة وزارة العمل، فسيصعب عليّ كبشر أن أرويها بموضوعية وحياد.

- وأنك لا تزال وزيراً.

- لا، وأنا ما أزال في غمار التجربة، سوف يكون فيها الكثير من الحِدّة، والانغماس العاطفي في المشكلة التي أنا بصددها، فسوف تأتي الكتابة مهما حاولت متحيّزة، عندما أكتب عن شركات الكهرباء بعد مرور 25 سنة على واقعة ما، أستطيع أن أتكلم بحياد، أستطيع أن أقول: إني أخطأت في هذه الناحية وهم أخطأوا في الناحية، لكن عندما تكتب وأنت تحت ضغط العمل، أعتقد أنه يندر، إن لم يستحل، أن تكون الكتابة موضوعية.

أزمة «معركة بلا راية»

- حسناً. دعنا ننتقل إلى قضية ذكرتها في صفحة 74 من الكتاب، عندما تحدّثت عن إشكالية ديوانك الذي أصدرته «معركة بلا راية»، والوفود التي توافدت أو تتالت على الملك فيصل تستنكر كتابك «معركة بلا راية»، وتعتقد أنه كتاب سيّئ في ما يتعلق بالفضائل، وأشرت أنت أيضاً إلى أن معظم، أو جميع الذين جاءوا وانتقدوا الكتاب لم يقرأوه، وأنه شُكّلت لجنة وزارية لدرس الكتاب، واللجنة الوزارية وصلت إلى أنه يحوي شيئاً، بل إن أحد الأعضاء قرّر تكريمك.

- قال: إنه يستحق التكريم.

- يستحق التكريم، النقطة التي أشرت إليها في صفحة 74 التي هي علاقتك بالملك عبدالله، قلت: «جزى الله الشدائد كل خيرٍ، لم أكن أعرف الأمير عبدالله قبل هذه الأزمة، سمعتُ من أحد المقربين إليه أنه اتخذ خلال الأزمة موقفاً نبيلاً، وحثّ الملك على عدم الاستجابة إلى مطالب الغاضبين المتشنّجة، عندما سمعتُ بهذا الموقف بعد انتهاء الأزمة ذهبتُ لأسلّم عليه وأشكره، وكان هذا اللقاء بداية التعرف على الذين يرون في الصلات الشخصية تفسيراً لكل شيء، أن يذكروا أن هذه الصلات يمكن أن تبدأ في عمق، أو في أعماق الأزمات». كانت هذه بداية علاقتك بالملك عبدالله؟ هل مررت بأزمات في علاقتك مع الملك عبدالله؟!

- أنا قصدي تعرفت إليه بسبب هذه الأزمة.

- صحيح، لكن أنا أقصد الآن منذ عام 1970 تقريباً، أي أكثر من 30 عاماً، حوالى 36 عاماً، هل هناك أزمات أيضاً تكررت في ما يتعلق بك أنت، وكان للملك عبدالله مواقف منها بهذا الإطار؟

- يعني، أعتقد أن أزمات بمعنى الأزمة الحقيقية لم يكن هناك شيء من هذا القبيل.

- لكن هل هذه تعتبرها أزمة حقيقية؟

- كانت في ذلك الوقت بالتأكيد أزمةً حقيقيةً، فكانت هناك ضغوط شديدة، ومطالبات بالفعل متشنّجة.

مواجهة مع التيار المحافظ

- ماذا كانت المطالبات؟

- الفصل من الجامعة، عقاباً... ومطالبات من هذا النوع.

- طيّب، أنت خضتَ بعدها «معركة بلا راية»، دعنا نقول لم تخُضها في البداية، لكن المحافظين واجهوك، هناك تيار محافظ واجه «معركة بلا راية»، واعتبرها شكل من أشكال الفساد أو التغريب، خضت معركة ثانية مع التيار المحافظ في حرب الخليج في عام 1990 وكتبت كتاب: «حتى لا تكون فتنة»، ثم خضت معركة ثالثة، أو معارك، أبرزها من خلال محلات بيع ملابس النساء الداخلية، فكيف ترى المعارك الثلاث؟

- قد لا يُصدّق الناس، أنا الذين يعرفونني سيقولون لك، إذا كانوا صادقين، بأنني مُسالمٌ، ويمكن أنا ذكرت في الكتاب أن طفولتي كانت مسالمة جداً.

- هل أنت مُسالم قبل وزارة العمل أو بعدها؟

- طوال عمري... طوال عمري. لا أتذكّر أنه في حياتي دخلت معركة مع أحد، ولا عمري تشاجرت مع أحد، ولا عمري تشاتمت مع أحد، ولا عمري تضاربت مع أحد، ولم أدخل خلال عمري معركة مع أحد. حتى عندما كنا طلاباً وأنت كنت طالباً، وكان هذا شيئاً عادياً أن تحدث مشاجرة عندما كنا صغاراً، يعني في الابتدائي والثانوي... عموماً كنت مسالماً. لم أكن صاحب مشاجرات مع الناس، ولا مشاكل،

فهذه الأشياء أنت لا تطلبها ولا تبحث عنها، ولا تريدها، ولا تريد المواجهات، عندما تكون مسؤولاً ويتطلب منك عملك اتخاذ قرارات معيّنة تجد نفسك، شئت أم لم تشأ، في خط النار، وبفوّهة المدفع، فلا خيار أمامك إلا أن تترك المسؤولية التي كُلّفت بها، وإما أن تمشي بالمعركة إلى نهايتها.

- لكن، أنت ابن المجتمع، وتستطيع أن تتفهّم كيف تُفكّر التيارات الاجتماعية، فإذا أنت تقول أنا مُسالِم، وأكيد أنك تعرف ردود فعل الناس، ألا تتوقع ردة فعل التيارات المحافظة مثلاً على بعض القرارات التي قدّمتها؟

- نعم، لكن أنت قبلت أن تتولّى مسؤولية معيّنة، فلماذا تقبلها...

- هذا في ما يتعلّق بمحلات الملابس الداخلية.

- عموماً في كل القرارات التي يتّخذها الإنسان عندما يكون في موقع مسؤولية، وخصوصاً عندما يكون في موقع مسؤولية كبيرة مثل الوزارة، أنت تعرف أنه لا بد من اتخاذ قرارات معيّنة، وأن هذه القرارات سوف لن تلقى قبولاً من الناس بالتأكيد، أنا في «حياة في الإدارة» ذكرتُ أنه يعني اتخاذ القرار هناك ثلاثة عناصر، ومعرفة القرار الصحيح أولاً وهذه صفة عقلية، بعدها القدرة على اتخاذ القرار الصحيح وهذه صفة نفسية، الأولى تتعلق بالحكمة والثانية تتعلق بالشجاعة، والصفة الثالثة هي القدرة على تنفيذ القرار الصحيح وهذه تتعلق بالمهارة. إذاً القرار الإداري الناجح يجب أن يكون متصفاً...

- عقلية ونفسية ومهارة...!

- نعم، وحكمة وشجاعة، أحياناً الشخص يفتقر إلى الشجاعة، لا يريد أن يُسيء إلى أحد.

- لو نقلت الفاصل[1]، فهل تعتبره افتقاراً للشجاعة؟

- لا، أعتبره منتهى الشجاعة.

- كنتَ تقول إن هناك ثلاثة عوامل للقرار الصحيح: عقلي، ونفسي، ومهارة. معرفة القرار الصحيح، القدرة على اتخاذه، ثم تنفيذه كما يجب. هذا جاء في إطار حديثك عن معارك تقول إنك لم تخترها؟

- جاء ذلك في إطار الحديث في الكتاب عن صفات القائد الإداري الناجح، أي ما الذي يجعل القائد الإداري ناجحاً.

- في معركتين من هذه المعارك لم تتحدّث بوصفك إدارياً، تحدّثت بوصفك مفكراً، أو تطرح رأياً.

- في النهاية أنت تتخذ قراراً بأنك تعمل شيئاً أو لا تعمله، قد لا يكون قراراً إدارياً، لكن هذه في الواقع تسري على كل القرارات، الإدارية منها وغير الإدارية.

- هل تعتقد أن لديك مشكلةً ما مع التيار المحافظ؟!

- هم عندهم مشكله معي، أنا لا توجد لدي مشكلة معهم.

---

(1) أي الإعلان في أثناء بث هذا اللقاء على «قناة العربية».

- ما هي مشكلتهم معك؟!

- كتبتُ في الكتاب أنني بدأتُ عندما بدأ برنامج الأنظمة في معهد الإدارة، وكان جميع المستشارين القانونيين غير سعوديين، وفكّرتِ الدولة أن تضع برنامجاً يدرّس خريجي الشريعة الأنظمة السعودية لمدة سنتين، وأصبح البرنامج ناجحاً جداً، بالصدفة لم أكن معروفاً في ذلك الوقت، فكُلّفتُ بإدارة هذا البرنامج، أو بوضع منهجه، فتصوّر الكثيرون بما أنني أُدرّس الأنظمة، فأنا إذن أقوم بتدرس القانون الوضعي.

- القانون... وتخرج عن الشريعة؟!

- فبدأت المشكلة!

- من هناك بدأت؟!

- كات هذه القصة في عام 1971م.

- وهناك تشكَلت صورة نمطية عنك؟

- أبداً، بعدها تكوّنت هذه الصورة، بعد هذا بدأ المرض، ديوان «معركة بلا راية»، كان عُرضَةً. أصبح أي شيء يمكن أن أقوله يفسر في ضوء الصورة النمطية السابقة التي بدأت من هذا الموقف.

- هل لا يزال نتاجك يتعرّض للموقف المتشنج ذاته بتقديرك؟

- من بعض الجهات، ومن بعض الأشخاص لا يزال، لكن، كما تعرف، هناك وجهة نظر عامة نحو إنتاج الأدب الحديث، والخلط بين الحداثة بمعناها الغربي، والحداثة بمعنى التجديد والأشياء الأخرى،

بدلاً من أن تكون مشكلة فردية، أصبحت جزءاً من مشكلة المثقفين عموماً، خصوصاً المثقفين الذين أستطيع تسميتهم تجديديين.

- هل تعتبر نفسك منهم؟

- قدري أن أكون منهم.

- هل عندك علاقات جيدة مع التيار المحافظ، مثلاً تتعاطى مع أقطابه؟

- ليس هناك أي علاقة، والموضوع ليس موضوعاً شخصياً، كما قلت لك الذين هاجموا الكتاب لم يقرأوه، حتى لم يتصفّحوه. إن الذين هاجموني أيام حرب الخليج، ولاحظ هم الذين هاجموني، أنا لم أهاجم أحداً، لم أكن قد رأيت أحداً منهم، أو قد رآني أو... أو... أو تعرفت إلى أحد منهم، يعني القصة لم تكن عداءً شخصياً بقدر ما كانت خلافاً بين مواقف، وفي تلك الحال كانت المواقف واضحة، أي كانت مفهومة، والحدود بيّنة، لا نريد أن نثير المعركة من جديد.

- أصبح هناك، بينك وبين بعضهم، تواصلٌ؟

- نعم، الآن علاقتي مع بعضهم ممتازة.

علاقته بالإعلام

- تحدّثتَ في الكتاب عن علاقة الوزير بالإعلام، فهل خدم الإعلام غازي القصيبي، أم أن غازي القصيبي خدم الإعلام؟ في تقديرك هل خدمت أنت الإعلام؟ أم أن الإعلام خدمك؟!

- أنا قلتُ في كتاب آخر، من كتبي، مَن يستفيد من الإعلام

مثل راكب الأسد، دائماً راكب الأسد يُخيف الناس بالأسد، وهو من الأسد أخوف، وقلت إنه عندما تترك الحرية للإعلام، كما هي موجودة في الغرب، ينتهي في معظم الحالات بأكل راكبه، هناك تناقض في أن يجعل الإعلام من شخص ما نجماً، ثم يكوّن عنده شهوة باتجاه معاكس لتحطيم النجومية.

- يعني الإعلام مثل الأسد؟

- أو أسوأ، يمكن أن نقول مثل سمك القرش، ومع الأسف، طبعاً، دبّت هذه العدوى إليكم معشر الصحفيين العرب، فأصبح للصحفي دورٌ يتجاوز نقل الأخبار، يريد أن يصنعها، ويريد في بعض الحالات إما أن يصنع صانعيها، وإما أن يحطّم صانعيها، وفي الغرب العكس.

- لكن، في الإعلام عموماً، على مستوى العالم، هناك أناس أحياناً يُحطّمون صانعي الأخبار، يعني هذا لا يقتصر على الإعلام العربي فقط.

- قلت هذا من طبيعة الإعلام، من طبيعته الوحشية، كما يُقال عنه بالإنكليزية، ليس الوحش بالضرورة هو الوحش الكاسر، لكن يعني الوحش موضوع الدراسة، فأعتقد أن التعامل مع الإعلام هي عملية لا تخلو من مؤامرة ومن مغامرة.

- أخَسِرتَ مع الإعلام كثيراً؟

- يصعب تقييم أنني خسرت أو ربحت، لأن الإعلام هو الذي يجعلك مشهوراً في النهاية، والسؤال: هل الشهرة هذه مكسب أم غرمٌ أو غُنمٌ؟ تتفاوت الآراء بهذا موضوع.

- أنت ما رأيك به؟

- اعتقد أن علاقتي مع الإعلام أفادتني ولم تضرني، حتى هذه اللحظة.

- كنتَ قد أشرتَ أيضاً إلى أن الإعلام سلاحُ فاعلٌ، لكنه ككل الأسلحة سلاح ذو حدين، فهل انتبهت للحد المؤذي في الإعلام واستطعت أن تتجاوزه في تقديرك خلال تجربتك الإدارية؟

- في وزارة الصحة لم أستطع، وأنت تعرف الكلام الذي يُقال عندما تتركز عليك الأضواء، فأنت تحترق في الأضواء، اعتقد أن التركيز الإعلامي أيام وزارة الصحة بلغ حداً أدّى بالفعل إلى الإضرار بي، والمشكلة في الإعلام.

- ولذلك أنت أشرت إلى أن وزير الصحة طلب من الصحف عدم نشر أخباره؟

- وجعلوها خبراً.

- ونشرت!

- وزير الصحة يطلب عدم نشر الأخبار.

- نُشر لأنه خبر!

- يقال إن الشهرة مثل الكلب، إذا ركضت عنها جرت وراءك، وإذا جريت وراءها ابتعدت عنك. بمعنى أن الشهرة ترى كل إنسان يريدها تصرف النظر عنه. ليس كل إنسان، الغالبية العُظمى من

الناس بصرف النظر عما يقولونه، الغالبية العُظمى من البشر تودّ لو أصبحوا مشهورين، يودّون أن يستمتعوا بالشهرة، كل إنسان...

- يبحث عن نجومية.

- كل إنسان يُسعَد عندما يذهب إلى محل ويُسلّم الناس عليه، ويعرفونه، لكن لا تتاح لكلٍّ منهم، يعني ليس كل من يريد أن يصبح مشهوراً يصبح مشهوراً، أحياناً الشهرة تُفرَض فرضاً. في وزارة الصحة صدقني لم أكن أريد الشهرة التي انفجرت بالشكل الذي انفجرت فيه.

- انفجرت الكرة، يعني أنت كان عندك كرة وانفجرت عليك؟

- بدأت الأضواء تبرزك للناس، بدأت تحرقك.

- تُحرِقك في الصحة... وفي الوزارات الأخرى التي شغلتها؟؟

- في الوزارات الأخرى لم يحدث هذا، كان هناك توازن.

قلة المحترفين في الصحافة السعودية

- في وزارة العمل تحديداً؟

- حتى في وزارة العمل كان هناك توازن، يعني هناك مقالات تهاجم، ومقالات تنتقد، ومقالات... عندنا ظاهرة غريبة جداً في الصحافة السعودية، وهي: أن كثيراً من الذين يكتبون غير محترفين، وهذا طبعاً غير موجود في الصحافة الغربية، أكثر الذين يكتبون في مواضيع لا يعرفون عنها شيئاً، ليسوا خبراء فيها، ليسوا اختصاصيين فيها.

- يعني أكثرها تكون انطباعية؟

- يعني واحد مهندس مواصلات يتكلم عن أدق المشاكل الاقتصادية، لم يدرس في حياته مادة اقتصاد واحدة، فعندنا صحافة من نوع غريب، يعني أبوابها مشرّعة للجميع، عندما تكون الأبواب مشرّعة للجميع بطبيعة الحال ستجد الغث والسمين، وتجد المنضبط وغير المنضبط، وهذا يزعجك أحياناً بالتأكيد. إن شخصاً لا يعرف شيئاً عن الموضوع ينتقدك، ويقدم إليك محاضرة في موضوع هو يجهله تماماً.

- هل تعتقد أنه من وظائف الوزارة أحياناً أنها تثقف الصحفيين الذين يتعاطون معها في موضوع الوزارة؟

- اعتقد أنه على الأقل يجب أن يكون هناك نوعٌ من تبادل الفائدة، أنت تعرف ماذا يحصل في الغرب؟ في الغرب هناك رئيس تحرير، لكن هناك محرر لكل موضوع، يعني هناك محرر ثقافي...

- متخصص بالثقافة.

- لا يستطيع رئيس التحرير تجاوزه، ولا يستطيع أن يأمره حتى بأن يكتب عن كتاب معين، ولو طلب منه هذا لاستقال، هناك محرر متخصص بشؤون العمل وهلم جراً. نحن نفتقر إلى هذا التقليد.

- في الحد الأدنى؟

- في الحد الأدنى من المصداقية، بالنسبة إلى مسائل القرّاء، عندنا في بعض الصحف أربعون أو أو خمسون عموداً، ليس هناك من صحيفة في العالم فيها هذا العدد من الأعمدة، وأكثرها من أناس

لا علاقة لهم بما يكتبون إطلاقاً، طبعاً اعتقد أنها مرحلة سوف نمر بها، إنما في المستقبل لا بدّ من أن تنتهي، لا يُعقل أنه كل من يستطيع الكتابة يحتل عموداً ويتكلم في كل شيء.

- لنعُد إلى التوازن، أنت تقول إنه في وزارة العمل أصبح هناك توازن للنقد.

- صحيح.

المذبحة في وزارة الصحة

- هل تعتقد أنه في وزارة الصحة، خلال عقدين، صارت تجربتك أكثر نضجاً؟

- لا، لا، وزارة الصحة كانت موضوعاً محتقناً، كان يُزعج الناس، يعتقد الناس أن الوزارة ميؤوسٌ منها، أستطيع القول إن هناك ظلامات كثيرة مدفونة في نفوس المواطنين، عندما بدأت الإجراءات التي بدأتُ بها فكأن الناس وجدوا تحقيقاً لكل أحلامهم، وفي الواقع أنا ذكرت أنه بولغ في ما فعلتُ في وزارة الصحة، لا يستطيع أحد أن يُصلح وزارة الصحة في سنة ونصف، لكن هناك نوعاً واحداً من الإعلام، كان كله إعلام تقريضي، ويصل إلى حدود المبالغة والإساءة إلى كثير من الزملاء، بالمقارنة بين أعمالي وأعمالهم، وأنا قلت في الكتاب حتى وزراء من دول عربية أخرى، قال لي: يا أخي أنت أحرجتنا، لأن الصحف عندنا بدأت تقول لماذا لا تقلّدون ما يفعله فلان.

- أشرتَ قبل قليل إلى ما حدث في وزارة الصحة، وما تحدّثت عنه في ملمَح المذبحة الإدارية في كتابك «حياة في الإدارة»، قلت

إن المذبحة الإدارية تفتح الطريق أمام الدماء الجديدة، وأشرت إلى تجربتك في وزارة الصحة، فيما أنت كررت في الكتاب الحديث عن طفولتك، وكررت في مقابلة نُشرت قبل وقت قصير في جريدة «اليوم»، أنك إنسان مُسالم، كيف يكون مُسالماً من يرتكب هذه المذابح الإدارية؟

- أولاً: كلمة المذبحة الإدارية كانت دائماً موضوعة بين قوسين أو هلالين.

- أي لا يعني هذا في النهاية أن هناك ذبحاً إدارياً؟

- لا، لا، قصدي أن هذا الكلام الذي كان يقال، وبعدها ذكرت الأرقام، أنه في وزارة الصحة منذ إنشائها كان هناك عدد من المسؤولين لا يتحركون، وفقدوا القدرة على التحرك السريع لأنهم بدأوا بدايات لم تكن فيها عمليات التنمية قد بدأت، فالمذبحة الإدارية، كما ذكرت هنا، حوالى خمسة منهم ربما أُحيلوا إلى التقاعد، وعشرة نقلوا من الوظيفة فقط، هذه التي اعتبرتها مذبحة إدارية، لأنه عندنا في المملكة مثل هذا الشيء يعتبر شيئاً غير عادي، لم تكن هناك مذبحة بالمعنى المفهوم والمعروف.

متاعب وزارة العمل

- في وزارة العمل، ألا تعتقد أن سياساتك المُتشددة كانت شكلاً من أشكال المذبحة باتجاه آخر في التعاطي مع الناس الذين يتعاطون مثلاً مع التأشيرات وغيرها...؟

- بالتأكيد من وجهة نظرهم، هذا يعتبر عملاً من أعمال الغاب، وأعمال السطو المسلح، لكنني عندما أكون مسؤولاً تجاه السواد الأعظم

من الناس، ذكرتُ في وزارة العمل، من أول يوم، أن الأولوية المطلقة بالنسبة إليّ هي توظيف السعوديين والقضاء على البطالة، كل طريق وكل هدف وكل شيء يجب أن يكون بهذا الاتجاه.

- وفي هذا الهدف ينصبّ...!

- لذلك عندما يكون القرار يضرّ بمصالح أحد ممن، بطبيعتهم البشرية لا يفكرون بالمصلحة العامة ، يفكرون فقط بمصلحتهم الخاصة، لهذا من يوم الله خلق الدنيا: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ (الفجر: 20)!

- وتحبون المال حباً...، حسناً، هل أثّرتْ، بتقديرك، هذه المواجهة التي كنت أنت رأس الحربة فيها أمام رغبات كثير من الناس، هل أثرت في شعبيتك؟

- طبعاً بالتأكيد.

- أيؤلمك هذا؟

- والله لا، أحياناً يؤلمني بعض الكلامِ الذي يُقال، خصوصاً عندما يكون فيه الكثير من التجنّي، يعني مثلاً عندما تنتقدني ليست عندي مشكلة، لكن واحد يقول هذا عنده في بيته كذا.

- شغّالات؟

- عنده خمسون شغّالة أو ستون شغالة، عندي واحدة أو يمكن اثنين، لما يكون كلام فيه الكثير من التجني بالتأكيد كبشر يؤلمك، لكنك تتذكر أن القضية في النهاية ليست خاصة، يعني أنا في اللحظة

التي أترك فيها موقعي لن يهاجمني أحد، فهم لا يكرهون غازي الإنسان والأب والزوج والصديق. هم يكرهون غازي الإداري الذي يتخذ قرارات.

- **في ما يتعلق بمصالحهم.**

- تؤذي مصالحهم، وهذا شيء مفهوم.

- **عوداً إلى وزارة العمل، ولن نطيل فيها، أشرتَ إلى أن السَعودة تحتاج إلى جهد كبير.**

- بالتأكيد، وتحتاج إلى تضحية أيضاً، وهي باهظة التكاليف، أنا شبّهتُها بالدواء المرّ.

- **كم تعتقد، وقد مضى سنتان تقريباً من استلامك الملف؟**

- ثلاث سنوات.

- **إلى أي حدّ تعتقد أنك قطعت ما تتوخّاه في السَعودَة؟**

- لا، لم أصل إلى ما أتوخّاه، لكني دعني أقول، بصورة عاجلة جداً، إننا استطعنا أن نضع المعالم الصحيحة لتوجّهات جديدة، الآن أصبح من المقبول أنه لن يأتي أحد إلى المملكة إلا إذا كانت هناك حاجة حقيقية لخدماته، في البداية هذا كان لم يقبله أحد، الآن أصبح قد لا يُحبه الناس، لكن أصبح مقبولاً، تدريجياً بدأ الشعب السعودي يعرف أنه لا يحصل على وظيفة لأنه سعودي إنما يحصل على وظيفة لأنه متدرّب، فبدأ الآن الإقبال على المعاهد الفنية والتقنية يزداد، أيضاً أصبح رجال الأعمال يشعرون، حتى لو كان على مضاضة، أن

عليهم مسؤولية اجتماعية، لا يكفي أن تبحث عن أرخص أجراً، في النهاية أصبحت معالجة البطالة مسؤولية كل مواطن. اعتقد أن الوزارة ليس أنا، الوزارة استطاعت أن تُرسي.

- **تقاليد في هذا المجال.**

- تقاليدٌ جديدة، ونوع جديد من التفكير.

- **ألا يؤذيك مثلاً ما انتشر من أحاديث حول التضخم، وأن غازي القصيبي ساهم بالتضخم وغلاء الأسعار بانتهاجه هذه السياسة؟**

- هذا لا يؤذيني، بل يشعرني بقوة عجائبية. أنت سمعت ماذا قيل، قيل: سبب الأسهم هو أنا، لأني لو أعطيت الناس عمالاً لما اتجهوا إلى المضاربة، ثم قالوا: إن سبب ارتفاع الأسعار هو أنا، لأني لو أعطيتهم جميع العمالة، التي هم بحاجة إليها، لما ارتفعت الأسعار، ثم قالوا: سبب الإجرام هو أنا لو اتخذت إجراءات أخرى لما حصلت سرقة في السوق، حتى أصبحت ما لم يبقَ شيئاً أنا غير مسؤول عنه، يمكن الإنفلونزا والصداع، ويمكن كمان يقولون: لولا قراراته لما أصبنا بالصداع والانفلونزا، هذا لا يزعج بل يُضحك، عندما أقرأها أضحك.

- **... تقرأها يعني مكتوبة؟**

- أقرأ كل ما يُكتب عن الوزارة، من واجبي أن أقرأ كل ما يُكتب، كل ما ذكرته لك كان مكتوباً.

- **في الصحف؟**

- في الصحف، اليوم أو أمس. قيل إن أزمة الخضار سببها وزارة العمل.

نجاحي على حساب فشل الآخرين

- لن نُطيل في ملف العمل لأنه ملف لا نهاية له، سننتقل إلى قصة ثانية تحدثت عنها في كتابك: «حياة في الإدارة» أنه أي نجاح لا يتحقق إلا بفشل الآخرين، هو في حقيقته هزيمة ترتدي ثياب النصر»، هذا الكلام واضح نظرياً، لكن ألا يمكن أن يعتبر أيضاً بعض القرارات الحاسمة التي ممكن أن يتخذها الإداري لأنها تسيء لأشخاص تُصنّف بأنها هزيمة بالنسبة إلى الآخرين؟

- أعتقد في كثير من الحالات، الأمور بالنيّة، والنوايا لا يعلمها إلا الله، أحياناً بالفعل يأتي شخص ويقول إن القرار هذا ليس هدفه المصلحة العامة، لكن هدفه الإضرار بشخص معيّن.

- في هذا الكلام تُخاطب نوايا الناس، يصبح كل واحد هو ونيّته؟

- نعم، عموماً أنا لست من أعداء النجاح، ودائماً أقول إن هذا العالم يتّسع لكثير من الناجحين، ليسعندي مشكلة في أن ينجح غيري.

- لستَ معقداً، وتعتبر النجاح واحداً في العالم كله؟

- حتى في الدراسة، دائماً أقول للأولاد انجحوا وليس من داعٍ أن تكونوا من الأوائل، ليس عندي عقدة في هذا الأمر، فالتفوق أو البروز في كثير من الحالات يُحطّم صاحبه، ليس هناك إنسان يستطيع أن

يكون متفوقاً وبارزاً وناجحاً وفاعلاً طيلة الوقت، فأنا ليس عندي مثل هذه المشكلة، لكن إذا نجح زميل من زملائي سواءً في الوزارة أم في العمل... فهذا يُسعدني، لا يوجد أسعد من أن يكون عندي وكيل وقد أصبح يوماً من الأيام وزيراً، أو أن شخصاً كان طالباً عندي وأصبح (وزيراً) في يوم من الأيام، ومن حُسن حظي الآن هناك مجموعة كبيرة من طلبتي هم الآن معي في مجلس الوزراء.

- أصبحوا زملاء! دعنا نمر على موضوع طريف، تحدّثتَ عن زيارتك إلى مصر من أجل التعاقد مع بعض الأساتذة، وقلت إنه عندما دخلت كنت من دون ربطة عنق، أو جاكيت، وكنت داخل بقميص... فالمسؤول عن...

- الحرس الجامعي.

- الحرس الجامعي قال لك: مين أنت؟ قلتَ: أنا غازي القصيبي، فقال لك: متأكد أنك عاوز سيادة العميد؟

- لا، متأكد أنه عندك موعد مع سيادة العميد؟

- موعد، على اعتبار أنك لم تستخدم لقب «الدكتور»، وبعد ذلك أصبحت تستخدمه، تقصد في مصر طبعاً، لأنه كان يفتح الأبواب.

- في تلك الفترة، نعم.

- ألا تعتقد أنه ما زال لقب «الدكتور» يفتح الأبواب في كل العالم العربي تقريباً؟

- أنت بعد ما تصبح وزيراً.

- **خلاص...!**

- (ضاحكاً): الأبواب تُفتح تلقائياً، المهم أن الوزير يكون «دكتور» أو غير «دكتور». ولكن حتى هذا اللقب أتحاشاه عندما أتكلم، أقول أنا فلان.

- **أعتقد أن اللقب ليس مفروضاً، الشخص الذي يقدّم نفسه باللقب يعني...**

- كثير من الناس يفعلون ذلك.

- **ممكن يقول أنا الكاتب فلان، أو أنا الـ...**

- كثيرون ممن يتّصلون بالمكتب يُخبرون بلقب الوزير السابق أو السفير السابق أو...

- **يمكن من باب التعريف فقط؟**

- يمكن.

الأعداء والشجاعة في اتخاذ القرار

- **تقول في الكتاب إنه في سن ألـ31 حصلت على شهادة الدكتوراه، وأصبحت أيضاً عميداً لكلية التجارة، وبعدها أصبحت وزيراً وأنت في سن ألـ35. ألا تعتقد أنه كان مُبكِراً أن تتولّى الوزارة في عمر 35 عاماً؟**

- أولاً الناس دائماً يا أخي تركي أشبه بزمانهم منهم بآبائهم، يعني ترتبط الظاهرة بالفترة الزمنية التي تمّت فيها، والفترات الزمنية تختلف، في تلك الفترة كان جميع الوزراء الجدد الذين دخلوا المجلس في سن متقاربة، يعني كنت أنا، وكان معالي الدكتور سليمان سليم، وكان معالي الدكتور محمد عبده يماني، وكان معالي الدكتور عبدالرحمن آل الشيخ، وكان معالي الدكتور حسين الجزائري كنا عمداء، وكنّا جميعاً في سن متقاربة، كان في ذلك الوقت هذا هو الشيء المقبول.

- هو العُرف الجاري، لأنه أنتم المتعلَمون في البلد، كان الحاصلون على تعليم عالٍ قلةَ؟

- نعم، ولم يكن هؤلاء فقط حاصلين على تعليم عالٍ، بل برزوا في مجالهم على نحو أو آخر، بحيث إن كلاً منهم أصبح عميداً لكلية، هل هذه هي السن المناسبة أم لا؟ بطبيعة الحال أعتقد لا تستطيع أن تحدد السن المناسبة للوزير إلا في ما يتعلق بالحيوية والنشاط، بالتأكيد عندما يكون الوزير شاباً فسوف يكون أكثر نشاطاً مما لو كان في سن مثل سني الآن.

- مختلف، أشرت أيضاً في الكتاب إلى أنك تركت عداوة في كل مكان عملت فيه.

- هذا ما كتبه واحد من الذين علّقوا على الغلاف.

- على الكتاب...

- أنا لم أقلها.

- ألا تعتقد أنك تركت عداوات في الأماكن التي عملت فيها؟

- لا، لا، كما ذكرت لك يجب أن يكون الوزير على معرفة، أو المسؤول عندما يتخذ قراراً لا يكاد يوجد قرار مهم لا يمس مصالح الناس على نحو أو آخر، وبالتأكيد لا يوجد قرار إصلاحي لا يمس مصالح الناس، عندما تُمس مصالح الناس سيتخذون موقفاً سلبياً يحاربونك، وكما قلت يحاربونك بأسلحة مشروعة أحياناً.

- وغير مشروعة أحياناَ؟

- وغير مشروعة، يقول المتنبي: «لولا المشقّة ساد الناس كلهم...»، فكثير من عدم فاعلية المسؤولين، وأنا لا أتكلم بالضرورة عن وزراء، فقد يكون مدير مدرسة ثانوية، أو مدير إدارة صغيرة، يتجنّب إغضاب الناس، سينتهي في النهاية بلا عمل، وقد شلّ عن العمل، لأنه لا يمكن أن تكون فاعلاً إذا كنت لا تريد أن يغضب منك أحد، هذا لا يمكن.

- يقول عجزُ البيت الذي أشرت إليه للمتنبي: «الجود يُفقِر والإقدام قتّال»، لكن في صفحة 156 من الكتاب أشرت إلى أنك لديك اندفاعاً شديداً عادة في اتخاذك للقرارات، هل ما زال من خصالك مثل هذا الاندفاع؟

- الآن يمكن كلمة اندفاع قد تبدو في هذا السن غريبة قليلاً، لكني ما أزال أعتقد أنه عندما تواجهك قرارات صعبة، فيجب أن تتخذها وتتحمل المسؤولية.

- باندفاعك؟

- قد يبدو اندفاعاً في نظر الآخرين، لكن في نظري أنا لا يبدو اندفاعاً، لكنك لا تستطيع وأنت وزير في قمة الهرم الإداري، أن تتهرب من اتخاذ قرارات على أساس أن هذا سيغضب فلان من الناس، بالحالة هذه لن تكون فاعلاً.

- هل القتل الذي يشير إليه المتنبي هو غضب الناس مثلاً؟

- إقدامك على دخول مواجهات مع الناس بالتأكيد سيؤذيك، هذا الشاعر أو الناظم بالأصح الوردي منذ متى؟ من 1000 سنة قال: «إن نصف الناس أعداءٌ لمن وُلّي الأحكام هذا إن عدل»، بيت شعر ركيك لكن معناه سليم، أن قرارات الشخص الحاكم، أو الشخص موضع المسؤولية حتى القاضي عندما يحكم، حتى أعدل الناس حكمه سوف يُسيء إلى أحد الطرفين.

التغيير بأهداف ورؤية واضحة

- صحيح، أيضاً أشرتَ في مسألة التغيير ثم التنظيم، هل تعتقد أن المسؤول يجب أن يبدأ بإحداث تغيير، ثم بعد ذلك ينصرف إلى الأمور التنظيمية؟

- في الظروف التي أشرت إليها، أو في التجارب السابقة، كان هذا ضرورياً، لكني أعتقد أنه أهم من هذا كله عندما يتولّى الوزير المسؤول عموماً يمكن من أهم الأشياء أن تكون لديه فلسفة واضحة، وهدف واضح عما يريد أن يفعله في هذه الوزارة، وإلا فسوف يكون عمل الوزير لا يُطاق. يا تركي الأوراق بحجم المسؤوليات، ستجد نفسك مشغولاً بملفات يومية قد تكون مهمة.

- مع بريق الوزارة، على الرغم من كل هذا الوصف لا يطاق العمل!

- يمكن الذين يريدون الوزارة هم بالأساس لا يريدونها.

- الضرروة من أجل العمل؟

- للإصلاح أو لإحداث تغييرات إيجابية في المجتمع يريدونها، لأنها في كثير من المجتمعات هي قمة السلّم، أقصى ما يصل إليه الإنسان من نجاح في العالم السياسي، فبالتأكيد لها بريق، ويمكن البريق هذا في الدول العربية أو دول العالم الثالث أكثر منه في الدول الأخرى.

أحزان الوزارتين

- تحدثتَ في الكتاب أيضاً عن سياسة حافة الهاوية، التي استخدمتها في موسم الحج، هل استخدمت سياسة حافة الهاوية في أماكن أخرى في حياتك الإدارية؟

- تعرف الأمثلة التي ضربتها كانت خارجة عن المألوف بعض الشيء، وأحياناً تضطر لأن تتخذ سياسة بهذا الشكل الدرامي الذي وصفته بالنسبة إلى قيادة السيارة، وتهديدهم، أنني لن أقف، لكن أحياناً في دخولك بمواجهات تقف على حافة الهاوية، يعني المهم أنك لا تسقط فيها.

- هل ما زلت تعتبر وزارة الصحة هي أتعس فترات حياتك الإدارية؟

- الآن بدأت منافسة جدّية من وزارة العمل.

- تنافس...

- نعم

- ألم تتفوق إحداهُما على الأخرى، لذلك أنت قلت إن وزراء الصحة جميعهم في العالم العربي مساكين؟

- وزارة الصحة بالنسبة إليّ كانت مأساة، لأنك بحكم عملك اليومي ترى مشاهد...

- مآسي الناس مع المرض!

- خصوصاً الأمراض المُستعصية وأمراض الأطفال وأمراض... فأعتقد لها جانب إنساني إذا كان الإنسان حساساً لمشاعر الآخرين، يعني أنت تدخل في مستشفى وتجد أربعين أو خمسين شاباً مشلولاً نتيجة حوادث المرور، وهم في زهرة العمر، كنت أروح البيت وأبكي. وتذهب إلى مستشفى أمراض نفسية وتجد بنات مثل الورود والأزهار أهلهم تركوهن بعد أن فقدوا الأمل منهن، يعني هذا الشيء بالمرة مؤلم، ولذلك أنا يمكن أخطأت عندما انغمست عاطفياً، ربما بقدر لا يجوز، الإنسان يجب أن ينغمس عاطفياً في عمله فقط.

- إلى حدٍ ما؟

- يجب أن يترك بينه وبين العمل مسافة.

- كيف انعكس انغماسك العاطفي في أثناء عملك كوزير للصحة سلبياً عليك؟

- كنت بعض الساعات أعود إلى البيت وأبدأ بالبكاء.

- كان هذا يؤثر في قراراتك أو...؟

- لا.

- في حالتك النفسية، أو في إحباطك؟!

- الشعور بالكآبة المستمرة، طبعاً في كل عمل هذا الشيء موجود، الآن أنا عندما أرى شاباً يبحث عن عمل أتمزّق من الداخل، كما لو كنت قد رأيت شاباً مريضاً بالفعل، ربما عيب الإداري، أو عيب من العيوب الإدارية، أنني لا أترك لنفسي هذه الفسحة - المسافة، فالطبيب عندما يُعالِج مرضاه لا يستطيع أن يعالجهم إذا كان...

- منغمساً عاطفياً...!

- مرتبطاً بهم عاطفياً، أنا في كل عمل أتولّاه مهما كان هذا العمل، أجد نفسي قد ارتبطت بهذا العمل عاطفياً، اعتقد هذا يؤذي صحياً، ونفسياً، عندما تنام يطاردك العمل حتى في النوم، وهذا شيء ليس بيدك، هذا الذي كان الملك فهد (رحمه الله) يقصده عندما قال «لا تشتط أكثر من المطلوب».

- وأشرتَ إلى هذا في الكتاب عندما قلت إنه يضع دائماً رأسه (رحمه الله) على الوسادة وينام حالماً.

- كان يقول إذا مت على المكتب فسوف يقول الناس هذا المجنون قتل نفسه بالعمد.

- في رسالتك للدكتوراه أشرتَ إلى أنك استعنت بنموذج نظري طوّره أستاذ أمريكي في ما يتعلق بتحليل نظام الإمامة في اليمن، وإنك تجاهلت النماذج العربية التقليدية السياسية، وعللت هذا بأنه لو لجأت إلى النظريات العربية المعروفة لما أتيت بجديد. وفي الكتاب نفسه أيضاً تشير إلى أنه لا يمكن استيراد الديمقراطية المطبّقة في الغرب إلى الشرق. ألا تعتقد أن المثالين يتعارضان بشكل أو بآخر؟

- لا. ليس هناك تعارض بينهما، أولاً آخذ بجدية تامة قصة أن الدكتوراه يجب أن تُضيف شيئاً جديداً إلى العلم، يعني طبعاً هذا هو التعريف للدكتوراه، إذا أنت قد تكتب رسالة ماجستير عظيمة من 500 صفحة، لكن ليس فيها جديد، أنت جمعت من 200 أو 300 كتاب. الدكتوراه يجب أن تأتي بشيء جديد، والشيء الجديد الذي أتيت به أنني استطعت أن أثبت أن النظرية التي طُوّرت في مجتمع سياسي غربي يمكن أن تفسّر ما يدور في مجتمع من العالم الثالث، بمجتمع في دولة كانت في ذلك الوقت من أقل دول العالم نمواً، وإذا كنا نطمع بعلم دقيق من العلوم الاجتماعية، يجب أن تكون لدينا قواعد تنطبق على كل الأنظمة السياسية. نحن لم نصل إلى هذه المرحلة، ولكننا إذا كنا نريد بالفعل علوم السياسة وعلوم الاجتماع ولبقية العلوم الاجتماعية أن تصل إلى دقة العلم فيجب أن تكون لدينا قوانين تسري على كل الأنظمة السياسية حتى نستطيع أن نتوقع التصرفات السياسية للدول والأفراد.

- حسناً، في ما يتعلق بوزارتك للصناعة والكهرباء، أشرتَ إلى مبدأ الشراكة مع الشركات الأجنبية، وقلت إنك كنت تميل إلى هذا

المبدأ، هل لا تزال تعتقد أن السعودية ما زالت بحاجة إلى شراكة من الشركة، أقصد في ما يتعلق بالاستثمارات؟

- اعتقد أن مبدأ الشريك الأجنبي، في حالات كثيرة، هو مبدأ جيد، لأنك تتعلم الكثير منه، وأنا لا أتكلم هنا لعمل مزرعة ألبان أو مصنع بلاستيك، الأشياء التي عرفناها ولا يستطيع الشريك الأجنبي أن يقدم جديداً فيها، لكن في ما يتعلق بتقنية لا توجد لدينا، أو منافذ توزيع لا توجد لدينا، أو تدريب لا يوجد لدينا، يكون في هذه الحالات وجود الشريك الأجنبي ميزة، والآن أصبح هذا مقبولاً.

- **نعم، أصبح مقبولاً.**

- في فترة من الفترات كان يعتبر نوعاً من الانحياز نحو الإمبريالية، وكنت أعاني الأمرّين.

- **كان التخصيص في الخمسينيات من القرن العشرين، حيث الموجة نحو التأميم، مرتبطاً بالتأميم، وأصبح الآن بالتخصيص، لقد تغيّرت المجتمعات!**

- هناك عبر التاريخ البشري تأتي أمواج من الأفكار وتذهب، وبعضها تبقى، وبعضها تذهب وتعود، وبعضها بالتأكيد كما تقرأ في الخمسينيات والستينيات كان يعني الكلام عن شراكة مع شركة إنكليزية أو شركة أمريكية يكاد...

- **عمالة.**

- يكون خيانة وطنية أو عمالة، العمالة لا تأتي على ذكر العمالة. (يضحكان)

- عمالة سعودية!

- (ضاحكاً): كما تريد.

الوقت وهموم الكتابة

- السؤال الذي يطرح نفسه، وربما أنت أشرتَ إليه، هو كيف تجد الوقت لتأليف كل هذا الزخم (ما شاء الله) من مؤلفات. بينما أنت مرتبط بأعمال إدارية، وتحرص على الدوام بشكل كامل كما أشرت في «حياة في الإدارة»؟

- يا أخ تركي إذا سمحت، أنا اليوم جيتك الساعة كم؟

- السابعة.

- قبلها بدقيقة أو بعدها بدقيقة؟

- لا.

- يعني طلبت من يقيس الطريق وحسبت بالضبط المسافة، اليوم الصبح قابلت سبعة أشخاص، إنما كل شخص قابلته بعضهم لمدة ربع ساعة، وبعضهم لمدة ثلث ساعة. أعتقد أن تنظيم الوقت هو هذا السر الذي يبحث عنه الكثيرون ولا يجدونه، عندما تنظّم وقتك تستغرب من الوقت المتاح لك خلال الـ24 ساعة.

- تكون حاسماً، لا يدخل شيء بشيء ثانٍ؟

- لا بد من أن يكون فيها حسّ مطلق. أنا ذكرت، ربما في كتاب «المواسم»، لا أعرف هل رأيته أم لا.

- الذي أهديته إلى خالد القصيبي؟

- أجل. إنه خلال أربع سنوات في الرياض لم أقبل العزائم على شرفي إلا عشر، عشر عزائم في أربع سنوات، يعني قصة أن بكرة تتفضل عندنا، وقبله تتفضل عندنا، هذه لا أقبلها طول عمري، وهذه تؤدي إلى أنه يقول لك هذا مغرور. إذا تسوّي هذا الشيء، إذا تقضي كل ليلة أربع ساعات في عزيمة على الأكل أو لعبة لوتو...

- كي تنفي الغرور... تنتهي القصة.

- الغرور أو لا غرور، الناس أحرار في فهمهم، لكن هذا جزء من تنظيم الوقت، كيف تستطيع أن تقضي أربع ساعات على العشاء، ويبقى لك وقت لشيء آخر؟ لا يمكن.

- هل تفكر بأن تكمل كتابة «حياة في الإدارة»، أو تجارب مماثلة، خصوصاً وقد وجدت هذا الإقبال الكبير لما توقعته من المتلقي العربي؟

- أنا الآن أشعر، وأُصارحك، لا أستطيع أن أكتب عن أي تجربة من هذه التجارب، لأنه لا يزال المدى الزمني بيني وبينها قريباً جداً، وإذا كتبت أخشى أن تكون الكتابة ملوّنة بعواطفي الحالية، وهذا لا يجوز في كتابة من هذا النوع، يجب أن يكون عندك من المدى الزمني ما يجعلك أن تنظر إليه كما تتفرج على حادث يشترك فيه آخرون وأنت جزء منه.

- تخرج من الانفعالات الآنية التي تتعلق بالحدث.

- من الانفعالات الآنية، من العداوات الأنانية، من الصداقات، لعلّه أنا كما كنتُ أذكر قبل قليل، كثير من الأشخاص الذين لم يكونوا يتعاطون معي أيام بعض المواجهات في «حياة في الإدارة»، الآن لم يعد لي مشكلة معهم.

الفهارس

فهرس الأعلام

(و)

(ي)

فهرس البلدان والأماكن والمواضع



قالت لي القصيبي

الإبحار في ما ورّثه القصيبي من أدبٍ وفكرٍ يُغني أي باحث عن أي مصادر أخرى لاكتشاف غازي الإنسان، وقد استثمر ما مُنح له من مواهب وفرص وملكات وحضور وإبهار، لينسجَ قصته، ويصنعَ «أسطورته»، وكان راضياً بما وصل إليه، مطمئناً لمسار حياته، وقد ذكر مرة بأنه لو ولد من جديد، لاختار أن يبدأ القصة نفسها كما هو، وأن يولد بالاسم نفسه، في ظلّ الظروف نفسها، «فحياتي بفضل الله ممتلئةٌ وسعيدة ومثيرة». كان هو الأكثر تأثيراً وإلهاماً لجيل نشأ في مناخٍ سياسي واجتماعي وثقافي، كان غازي حاضراً في كل منعطفاته ومحطاته. وليس غريباً أن يحتلَّ مكانةً متقدمةً في قائمة عظماء السعودية في تاريخها الحديث.



 مجموعة تركي الدخيل

 EdaatCom

 www.turkid.net

 @TurkiAldakhil


ISBN 978-9953-566-20-7

